

الجزء الأول

المجلد الثالث والثلاثون

مَجَلَّةٌ

المجمع العلمي العربي

دمشق



١ كانون الثاني سنة ١٩٥٨ م

٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ

مجلة
المجمع العلمي العربي
دمشق

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي }
في سورية ولبنان ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري

تدفع مقدماً

جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام

تأليف أمين الدين أبي الغنائم مسلم بن محمود الشيزري

صاحب هذا الكتاب من المؤلفين الأدباء عاش في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع في دولة الأيوبيين ، واتصل بأحد ملوكهم الملك المسعود صاحب اليمن .

والمؤلف هو أمين الدين أبو الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري ، ذكره ابن خلكان (في ترجمة طفتكين بن أيوب ١ / ٢٩٨) فقال : « كان أديباً شاعراً وكان موجوداً سنة ٦١٧ وتوفي في هذه السنة أو بعدها ، وكان أبوه أبو الثناء محمود نحوباً متصدراً بجامع دمشق لإقراء النحو وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير ، والعماد الكاتب في كتاب الخريدة وقال توفي بعد سنة ٥٦٥ وكان جده أرسلان بملوك ابن منقذ صاحب شيزر » والصحيح أنه عاش الى ما بعد سنة ٦٢٢ بدل على ذلك أرجوزة له في التاريخ ذكر فيها حوادث العالم من خلق آدم الى سنة ٦٢٢ والأرجوزة موجودة في جمهرة الإسلام . وقد ورد في مقدمة الكتاب أنه ألفه لخزانة صاحب اليمن الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب المتوفى سنة ٦٢٦ .

وكان المؤلف صار من خاصة الملك المسعود فلقد ترك دمشق وسكن اليمن وأكثر من مدح الملك المسعود ، وقصائده في هذا الشأن مع قصائد ابنه أحمد موجودة في الجمهرة .

وكتاب الجهرة في جزءين عدد صفحاته ٥٢٦ صفحة في كل صفحة ٢٩ سطراً ، وقد جعله ستة عشر كتاباً تشتمل على مختارات من النظم والنثر ، وفي كل كتاب عشرة أبواب خمسة منها للنظم وخمسة للنثر ، فالجميع مائة وستون باباً نصفها نظم ونصفها نثر . وفي آخر كل كتاب قصيدة للمؤلف وأخرى لابنه أحمد في مدح الملك المسعود . ولم يختار في هذه المجموعة الضخمة شيئاً من شعر الجاهليين ولا من نثرهم ولذلك سماها جمهرة الإسلام .
من هذا الكتاب نسخة مصورة في المجمع العلمي العربي عن نسخة مخطوطة في جامعة ليدن رقم ٤٨٠ تاريخ نسخها سنة ٦٩٧ . وفي هذه المجموعة نصوص من الأدب العالي شعراً ونثراً لا تكاد توجد تامة في غيرها من المظان ؛ من ذلك قصيدة منصور النمري التي أولها :

ما تنقضي حسرة مني ولا جزعُ إذا ذكرت شباباً ليس يرتجعُ

وقصيدة عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي التي أولها :

فما أم سقبٍ أودعته قرارةً من الأرض وانساحت لترعى وتمجعاً

وقد حققنا هذه القصيدة ونشرناها في هذه المجلة م ٣٢ ص ٥٦٣
والقصيدة الرصافية لعلي بن الجهم أولها :

عيون المها بين الرصافة والجسر جانبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وقد حققناها ونشرناها مع تكملة ديوان علي بن الجهم .

ومن ذلك رسائل نادرة ليعقوب بن اسحق الكندي ، وابن قنيبة ، ومحمد بن زكريا الرازي ، وأبي العلاء المعري ، والشريف الرضي وغيرهم . وهاك بياناً بما اشتملت عليه هذه المجموعة من الكتب والأبواب :

الكتاب الأول في المدح ، الكتاب الثاني في الغزل ، الكتاب الثالث في الافتخار ، الكتاب الرابع في الرثاء ، الكتاب الخامس في الهجاء ، الكتاب السادس في الزهد ، الكتاب السابع في العتاب ، الكتاب الثامن في الجحون ،

الكتاب التاسع في الأراجيز ، الكتاب العاشر في الشكوى ، الكتاب الحادي عشر في التهاني ، الكتاب الثاني عشر في المثلث ، الكتاب الثالث عشر في الأوصاف ، الكتاب الرابع عشر في الاعتذار ، الكتاب الخامس عشر في الخمس والموشح ، الكتاب السادس عشر في الجواب والخطاب .

الكتاب الأول في المدح عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .
الباب الأول : قصيدة الأعمى ميمون في مدح النبي عليه السلام وأولها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدنا وبت كما بات السليم مسهداً
الباب الثاني : أخبار نبوية وبشائر لمن اسمه أحمد أو محمد أو عبد الله .

الباب الثالث : قصيدة الأخطل في عبد الملك بن مروان وأولها :

خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك أوبكروا وأزعجتهم نووى في صرفها غيرُ
الباب الرابع : رسالة للقاضي الفاضل في أخذ أسطول الأفرنج بأسطول

الملك العادل سنة ٥٨٨ .

الباب الخامس : قصيدة الحصكفي في أهل البيت وأولها :

أقوت مغانيهم فأقوى الجلدُ ربهان كلُّ بعد سكتي فدغدُ
الباب السادس : عبد الله بن عباس يصف الخلفاء الراشدين وأباه العباس في

مجلس معاوية على سبيل الإجابة .

الباب السابع : قصيدة ابن قيس الرقيات في مصعب بن الزبير وأولها :

أفرتُ بعد عبد شمس كذاه فكدي فالركن فالبطحاء

الباب الثامن : رسالة للقاضي الفاضل في فتح القدس .

الباب التاسع : قصيدة منصور النمرى في هرود الرشيد وأولها :

ما تنقضي حسرة مني ولا جزعُ إذا ذكرتُ شباباً لبس يرتجمُ
وهذه القصيدة على طولها من أجود الشعر ، ولم أجدها كاملة إلا في هذه المجموعة .

- الباب العاشر: أبيات لصاحب المجموعة في الملك الكامل تقرأ على عدة وجوه .
- الكتاب الثاني في الغزل عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .
- الباب الأول : قصيدة عمر بن أبي ربيعة الخزومي التي أولها :
 أمن آل نعم أنت غادٍ مبكرٌ غداة غدٍ أم رايحٌ فمهجِرٌ
- الباب الثاني : خبر الفتي العذري وعمر بن أبي ربيعة الخزومي .
- الباب الثالث : قصيدة المكوك الكندي التي أولها :
 هل بالطلول لسائلٍ ردٌّ أم لها بشكلمٍ عهدٌ
- الباب الرابع : يوم في دير سران لأبي الفرج البيهقي .
- الباب الخامس : قصيدة لذي الرمة في صاحبه مي وأولها :
 ألا أيهذا المنزل المدارس أسلمٍ وأسقيت صوب الباكر المنعيمِ
 وتلي هذه القصيدة قصيدة أخرى له أولها :
- ألربعم ظلَّتْ عينك الماء تهملُ رشاشاً كما امنن الجمان المفصلُ
- الباب السادس : حديث وسفي بنت أبي سلمة المهلبية والفتي القرشي .
- الباب السابع : قصيدة مسلم بن الوليد الأنصاري (صربع الغواني) التي أولها :
 وساحرة العينين لا تعرف السحرا تواصلني سرّاً وتقتلني جهرا
- الباب الثامن : في أخبار مسلم بن الوليد مع هرون الرشيد في هذا الغزل .
- الباب التاسع : قصيدة لديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصي أولها :
 سهام لحاظٍ من قسي الحواجبِ نظمن الأُمى في القلب من كل جانبِ
- الباب العاشر : في ذكر القاضي يحيى بن أكثم .
- الكتاب الثالث في الافتخار عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .
- الباب الأول : قصيدة في الفخر للملك المعز اسمعيل بن الملك العزيز سيف الإسلام طفتكين الأيوبي صاحب اليمن وفيها بدعي أن بني أيوب أمويون والقصيدة طويلة يذكر فيها مناقب بني أيوب وبني أمية .

- الباب الثاني : في كسر أسطول الروم على الاسكندرية
- الباب الثالث : في الافتخار بالحرمين
- الباب الرابع : فصول لابن أبي الشخباء (١)
- الباب الخامس : قصيدة أبي فراس الحمداني التي أولها :
أراك عصي الدمع شيمتك الصبرُ أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ
- الباب السادس : رسالة بفتح طبرية
- الباب السابع : قصيدة علوي البصرة صاحب الزنج أولها :
رأيت المقام على الافتصاد فتوَعًا به ذلّةً في العبادِ
- الباب الثامن : حديث علوي البصرة
- الباب التاسع : قصيدتان لمحمود بن نعمة الشيزري والد صاحب المجموعة
- الباب العاشر : سبج عن الملك العادل بولاية قوص وأسوان
- الكتاب الرابع في الرثاء عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر
- الباب الأول : قصيدة دعبل الخزاعي في رثاء آل البيت وأولها :
مدارس آياتٍ خلت من تلاوةٍ ومنزلٍ وحجٍ مقفر العرصاتِ
- الباب الثاني : جواب تمزية بأسد الدين شيركوه
- الباب الثالث : قصيدة لابن الرومي يرثي فيها قتلى أهل البصرة في ثورة علوي
البصرة صاحب الزنج أولها :
- زاد عن مقاتي لذيذ المنام شغلها عنه بالدموع السجامِ
- الباب الرابع : رسالة الشريف الرضي الى أبي القاسم سليمان بن أحمد
- الباب الخامس : قصيدة عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي في رثاء أخيه
سعيد وأولها :

(١) المذكور في كتب التراجم ابن الشخباء وهو الحسن بن عبد الصمد بن الشخباء ويقال له الشيخ المجيد ، منشيء له خطب ورسائل جيدة وله نظم . أصله من عسقلان وتوفي بالقاهرة سنة ٤٨٢ (الأعلام للزركلي) .

فما أم سقبر أودعته قرارة من الأرض وانساحت لترعى وتهجما
 الباب السادس : رسالة لأبي اسحق الصابي بعزي أبا الفتح بن العميد
 عن أبيه أبي الفضل .

الباب السابع : قصيدة الشريف الرضي في رثاء أبي اسحق الصابي وأولها :
 أعلمت من حملوا على الأعواد رأيت كيف خبا ضياء النادي
 الباب الثامن : رسالة لابن أبي الشخباء في ولد كافي الكفاة وقدمات غريبة .
 الباب التاسع : قصيدة الرقاشي في رثاء البرامكة وأولها :

لا يفرحن بهيشة متنعم كل السرور بأهله يتصرم

الباب العاشر : جواب تمزية بولد شمس الدولة توران شاه بن أيوب .

الكتاب الخامس في الهجاء عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لجرير يهجو الفرزدق أولها :

لاخير في مستعجلات الملام ولا في خليل وصله غير دائم

الباب الثاني : سجل القاضي الفاضل إلى هاشم بن محمد اللواتي .

الباب الثالث : قصيدة للفرزدق يهجو بني جعفر أولها :

عرفت بأعلى رانس الفأو بعدما مضت سنة أيامها وشهورها

الباب الرابع : رسالة لابن أبي الشخباء في بعض الكتاب .

الباب الخامس : قصيدة لابن حجاج في رجل كبست زوجته مع ابنه أولها :

أوضح الحق منهج البرهان ومحا السر شائع الإعلات

الباب السادس : فصول لشمس المعالي قابوس بن وشمكير .

الباب السابع : قصيدة في الهجاء لابن واسانة أولها :

ويلك بأوجه الخشب يا جرداً بلا ذنب

الباب الثامن : رسالة لابن أبي الشخباء .

الباب التاسع : قصيدة لابن منبر الطرابلسي كتبها الى الرئيس عفيف الدين المستوفي بجلب وهو صريض في حماة وقد انصل به أنه نعي بجلب ودخلت الحشربة داره وأثبتوا ما فيها وختموا عليها ، وبعرض ببعض اليهود أولها :

يا عفيف الدين الذي بده صر ف به أمتكفُ صرف الزمان

الباب العاشر : رسالة علي بن وشاح في ذم محمد بن جعفر الجهري .

الكتاب السادس : في الزهد عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدتان في الزهد لمحمد بن عبد الله بن سنان الخفاجي

مطلع الأولى :

أستغفر الله من تركي وإخلالي وهفوقٍ خطرتُ مني علي بالي

ومطلع الثانية :

استغفر الله العظيم وعذُ به من شر غارٍ في الخصاص منافس

الباب الثاني : خطبة واصل بن عطاء في مجلس عمر بن عبد العزيز وقد

تجنب فيها حرف الراء .

الباب الثالث : قصيدتان لأبي العتاهية مطلع الأولى :

لله عاقبة الأمور طوبى لمعتبر ذكور

ومطلع الثانية :

خيلبي إن الهم قد يتفرجُ ومن كان يبغي الحق فالحق أبلغُ

الباب الرابع : خطبة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأولها :

الحمد لله فاطر الخلق وفالق الإصباح .

الباب الخامس : قصيدة لعلي بن هشام أولها :

بيننا النتي في الأرض فوق الثرى أصبح في الملحود تحت الثرى

الباب السادس : منام حمزة بن حبيب الزيات .

- الباب السابع : قصيدة لأبي جعفر النجار أولها :
 شبابٌ كلامع برقٍ رحلٌ وشيبٌ كمثل غريمٍ نزلٌ
 الباب الثامن : الخطبة الرمزية للمؤلف .
- الباب التاسع : قصيدة لمحمد بن ابراهيم الكيراني في الزهد أولها :
 شكر الإله مزيدةٌ لك فأشكرُ وانظر إلى الطافه وتدبرُ
 الباب العاشر : حديث الباجي في الزهد .
- الكتاب السابع في العتاب عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .
- الباب الأول : قصيدة لأبي العلاء المعري بعاتب خاله علي بن محمد بن صبيكة أولها :
 تفديك النفوس ولا تنادا فأدنِ الوصل أو أطل البعادا
 الباب الثاني : رسالة لابن أبي الشخياء في العتاب .
- الباب الثالث : قصيدة لمهيار الديلمي أولها :
 أروم الوفاء الصعب بالمطلب السهل وأرتاد جود الحب في منبت البخل
 الباب الرابع : رسالة لشمس المعالي قابوس بن وشمكير بعاتب خاله .
- الباب الخامس : قصيدة لأبي الطيب المتنبي أولها :
 حتام نحن نساري النجم في الظلم وما سراه على خفت ولا قدم
 الباب السادس : رسالة للصابي بعاتب علي ابن الأنباري .
- الباب السابع : قصيدة لأبي بكر محمد (بن عيسى) المعروف بابن اللبانة (الأندلسي) في العتاب أولها :
 ضحك الربيع بحيث تبكي الأربعُ لما بكى للغيث فيها مدمعُ
 الباب الثامن : رسالة للقاضي الفاضل في العتاب .
- الباب التاسع : قصيدتان في العتاب للحسين بن علي بن محمد القمي .
- الباب العاشر : رسالة للصابي بعاتب الخالد بن .

الكتاب الثامن في المحون والدعابة عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة للضنوبري أولها :

شربنا في بعاذين^(١) على تلك الميادين -

الباب الثاني : رسالة تهنئة بمولود لقابوس بن وشمكير على سبيل المحون .

الباب الثالث : قصيدة في المحون لمحمد بن المجلي بن الصائغ الطيب بذكر

فيها أحوال الشيبية والشيخوخة أولها :

ألم المشيب فأجلى أماما وأضحيت حبال هواها راما

الباب الرابع : رسالة في المحون والدعابة للقاضي الفاضل .

الباب الخامس : أرجوزة في المحون لأبي محمد الحسن بن وكيع التنبسي أولها :

يا سائلي عن أطيب الدهور وقعت في ذاك على الخبير -

الباب السادس : حديث القدور وشهادة الحمير وأخبار حسان :

الباب السابع : مقصورة أبي الحكم الحكيم التي قالها في جماعة من شعراء

دمشق أولها :

هاج الهوى يوم النوى جمر الجوى فالقلب موقوف على جمر الفضا

الباب الثامن : علي بن الجنيد الإسكافي وما جرى له مع المعتصم .

الباب التاسع : قصيدتان في المحون لأبي الرقعمق مطلع الأولى :

عادل كم فيه تعذليني وكم إلى كم تؤنبيني

ومطلع الثانية :

عدّ عن قال وقيل - وصعود - وتزول -

الباب العاشر : رسالة كتبها العتيبي إلى صديق له قاصر بكتبه وكان لها

خطر فقصر .

(١) بعاذين قرية من قرى حلب .

- الكتاب التاسع في الأراجيز عشرة أبواب •
 الباب الأول : أرجوزة في نظائر^(١) القرآن لأبي جعفر بن أحمد السراج
 القاري أولها :
 الحمد لله على ما ألهما من حمده فما يزال منعما
 • الباب الثاني : رسالة الخط والقلم لابن قتيبة •
 • الباب الثالث : أرجوزة في الفرائض •
 • الباب الرابع : رسالة أفلاطون في وصف النساء ترجمة محمد بن زكريا الرازي •
 • الباب الخامس : أرجوزة للمؤلف في التاريخ من آدم إلى زمان الخليفة الناصر
 سنة ٦٢٢ أولها :
 الحمد لله القديم الأول بلا ابتداء والأخير الأزلي
 • الباب السادس : رسالة بمقوب بن اسحق الكندي إلى بعض الخلفاء في
 جواهر السيوف •
 • الباب السابع : ملحمة الرئيس أبي محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري في النخوة أولها :
 أقول من بعد افتتاح القول بحمد ذي الطول الشديد حول
 • الباب الثامن : في منافع الخواص من تصانيف الحكماء وأقوال العلماء وهي
 في خواص الحيوان والأشجار والأحجار والصحوخ والعزائم •
 • الباب التاسع : أرجوزة عبد الله بن رؤبة المعروف بالعجاج أولها :
 قد جبر الدين الإله فجبَّرتُ وعورَّ الرحمن من ولى العور
 • الباب العاشر : كتاب الباه ومنافعه ومضاره ومداواته لمحمد بن زكريا الرازي •
 • الكتاب العاشر في الشكوى عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر •
 • الباب الأول : قصيدة كتبها من الحبس عبد الملك بن إدريس الأندلسي
 إلى ولده أولها :

(١) المراد بنظائر القرآن السور المتفقة في عدد الآيات .

- أولى بعزم تجلدي وتصبري نأي الأُحبة واعتياد تذكري
 الباب الثاني : رسالة للقاضي الفاضل بعث بها إلى الدبوان الإمامي الناصري .
 الباب الثالث : قصيدة للسري الرفاء كتبها إلى أبي اسحق الصابي يشكو
 سرقة الخالديين لشعره وبذكر إغارتها عليه ويحذره منها أولها :
 قد أظلمت يا أبا إسحاق غارة الشمر والمماني الدقاق
 الباب الرابع : رسالة لنشوان (الحميري) يشكو ضياع دفاتره .
 الباب الخامس : قصيدة للسامي يشكو حاله وسقطته في سكره أولها :
 محاسن غضت ناظري من تعتبا وفضلٌ نهاني وصفه أن أشبها
 الباب السادس : رسالة القاضي الفاضل إلى سيف الإسلام .
 الباب السابع : قصيدة لأبي اسحق الصابي يشكو زمانةً لحفته وزمانه وعجزه
 وضعفه وحاجته إلى الجلوس في محفة إذا أراد التصرف في حوائجه أولها :
 إذا ماتعدت بي وصارت محفة لها أرجلٌ يسمي بها رجلا
 الباب الثامن : خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند مسيره إلى الشام
 أولها : أيها الناس إن الله فرض الجهاد وعظّمه
 الباب التاسع : قصيدة لهارة اليماني في الشكوى كتبها إلى صلاح الدين
 الأيوبي أولها :
 أيا أذن الأيام إن قلتُ فاسمي لنفشة مصدرٍ وأنة موجه
 الباب العاشر : حديث حزنة امرأة مروان بن محمد مع الخيزران أم موسى
 الهادي وهرون الرشيد .
 الكتاب الحادي عشر : في التمهاني عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .
 الباب الأول : قصيدة لمحمد بن سلطان بن حيوس يمدح ناصر الدولة
 ويهنيه بمولود أولها :

سل عن فضائلك الزمان ليخبرا فنظير ملكك ما رآه ولا يرى
 الباب الثاني : رسالة القاضي الفاضل الى الامام المستضيء بهنيه بفتح مصر .
 الباب الثالث : قصيدة لاحمد بن محمد الخياط الدمشقي يمدح نحر الملك بن عمار
 وبهنيه بالعيد اولها :

أعطى الشباب من الآراب ما طلبا وراح يخنال في ثوبي هوى وصبا
 الباب الرابع : رسالة ابن أبي الشغباء الى أمير الجيوش بهنيه بكسر
 أطر بن أوق .

الباب الخامس : قصيدة لأبي علي ابرون بن مهرد ؟ العماني يمدح مؤيد
 السلطان بن مكرم وبهنيه بظفره على عدوه بالمهرجان سنة ٤٠٢ أولها :
 حسامك ماض والملوك تجانبه وجدك عال والسعود تناسبه
 الباب السادس : رسالة الشريف الرضي الى الوزير سابور بن ازدشير بهنيه
 بعودة الوزارة إليه .

الباب السابع : قصيدة لأبي القاسم محمد بن هانيء (الأندلسي) المعروف
 بابن المغربي يمدح بها جعفر بن علي وبهنيه بأخذ قلعة كتامة أولها :
 بلى هذه تيماء والأبلى الفردُ فسل أجبات الأسد ما فعل الأسدُ
 الباب الثامن : رسالة للصاحب بن عباد .
 الباب التاسع : قصيدة لابن أبي الشغباء .
 الباب العاشر : خبر عمرو بن مسعدة وحائك الكلام .

الكتاب الثاني عشر في المثلث عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .
 (والمراد بالمثلث هنا القصيدة أو الرسالة المشتملة على ثلاثة أغراض)
 الباب الأول : قصيدة للبعيث يتفضل فيها ويفتخر ويهجو أولها :
 أهاج عليك الشوقَ أطلالُ دمنةٍ بناصفة الجوين أو جانب الهجل .

الباب الثاني: رسالة للقاضي الفاضل كتبها عن صلاح الدين الى الخليفة المستضيء .
 الباب الثالث : قصيدة علي بن الجهم يمدح المتوكل أولها :
 عيون المها بين الرصافة والجسر جابهن الهوى من حيث أدري ولا أدري
 الباب الرابع : في ذكر أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني (بديع الزمان)
 وفصول من رسائله .

الباب الخامس : قصيدة لبكر بن النطاح يتغزل ويفتخر ويمدح بها أبا دلف
 العجلي أولها :

وليلة جمع لم أبت ناصياً لها وحين أفاض الناس من عرفات

الباب السادس : خطبتان لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الباب السابع : قصيدة للشماخ واسمه معقل بن ضرار أولها :

عفا بطن قوّ من سليمي فما لزل فذات الغضى فالمشرفات النواشِرُ

الباب الثامن : رسائل لأبي العلاء المعري .

الباب التاسع : قصيدة لعلي بن جبلة (العكوك) يمدح أبا دلف أولها :

ذاد ورد الغي عن صدره وارعوى واللهم من وطره

الباب العاشر : رسالة لأبي سهل الطوسي في ذكر الأمير أبي الفضل عبد الله

ابن أحمد الميكالي وإيراد محاسن من نظمه ونثره .

الكتاب الثالث عشر في الأوصاف عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة أبي نواس الحسن بن هاني يمدح الخصب بن عبد الحميد

ويصف الطريق أولها :

أجارة بيتينا أبوك غيور وميسور ما يرجي لديك عسير

الباب الثاني : رسالة لشمس المعالي قابوس بن وشمكير كتبها الى بعض

الكتاب وكان قد أهدى إليه دواةً جعل داخلها قلمًا وسكينًا ومقطًا .

- الباب الثالث : قصيدة خلف بن حبان المازني في وصف الفرس أولها :
 نأت دارُ سلمى فشط المزار فميناك ما تطعمان الكرى
 الباب الرابع : ولاية الحجاج على العراق .
- الباب الخامس : قصيدة لأبي طالب المأموني يصف داراً بناها بعض الوزراء أولها :
 قد وجدنا خطي الكلام فساها وجعلنا النسب منك امتداحا
 الباب السادس : وصف الأسد لأبي زيد الطائي .
- الباب السابع : قصيدة للخبص يبص في الأوصاف منها هذا البيت في إصابة المرعى :
 كأت مرماه مناطيس أنصله ففيه قبل انتحاء القصد تسديداً
 الباب الثامن : في وصف العشق .
- الباب التاسع : قصيدة في وصف الأسد للبخري أولها :
 أجذك ما بنفك يسري لزنبسا خيال إذا آب الظلام تأوَّبا
 الباب العاشر : رسالة للقاضي الفاضل في الأوصاف .
- الكتاب الرابع عشر في الاعتذار عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .
- الباب الأول : قصيدة لأبي تمام الطائي يمدح بها أبا المغيث ابراهيم أمير دمشق
 ويعتذر إليه من هجو بلغه عنه أولها :
 شهدتُ لقد أفوتُ مغانيكمُ بمدى وَحَّتْ كَمَا حَتَّتْ وشائع من بُرِدِ
- الباب الثاني : رسالة شمس المعالي قابوس بن وشمكير الى الشريف حمزة
 ابن قاسم العلوي يعتذر عن كسرة كسرهما في بعض بلاد العجم .
- الباب الثالث : قصيدة لصردر يعتذر عن تأخر الزيارة .
 قد آت للماظر أن يقتضى وأن يعافي الحب من أمراضا
- الباب الرابع : أبو العلاء المعري يعتذر الى أبي نصر الفلاحى أيام وزارته
 بحجاب لما استدعاه صاحبها عزيز الدولة ليحمل له دار علم .

الباب الخامس : قصيدة في الاعتذار لسعيد أحد الخالدين أولها :
 نيل المطالب بالهنديّة البتر لا بالأمنيّ والتأميل والقدر
 الباب السادس : رسالة لابن أبي الشخياء يعتذر إلى وزير بلغه أنه هجاه .
 الباب السابع : قصيدة لأسماء بن مرشد يعتذر إلى ابن عمه صاحب قلعة
 شيزر عن قول بلغه عنه أولها :

أطاع ما قاله الواشي وما هرفا فعاد ينكر منا كل ما عرفا
 الباب الثامن : رسالة القاضي الفاضل إلى عبد المؤمن صاحب المغرب .
 الباب التاسع : قصيدة لمحمد بن نصر القيسراني يمدح الوزير جمال الدين
 أبا الرضا محمد بن صدقة ويعتذر إليه أولها :

لو كان مرك للوشاة معرّضا لم أعض من دمعي على حجر الغضا
 الباب العاشر : رسالة من الملك بهاء الدولة بن بويه إلى الشريف الرضي .
 الكتاب الخامس عشر في الخمسات عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .
 الباب الأول : قصيدة لابن الهبارية أولها :

حيّ على خير العمل على الغزال والغزل
 على العذار والكفل على العناق والقابل
 على رياض قطربل

فإنها جنات ما مثلها مكان
 الروح والرياح والخور والولدان
 والوقت فيها معتدل

الباب الثاني : رسالة لابن أبي الشخياء مبنية على حروف غير معجمة .
 الباب الثالث : قصيدة لمهيار الديلمي خمسها مؤيد الدولة (أسماء) بن منقذ أولها :

أساتقها للبين وهي عجول تأنّ فما هذا المسير قفول
 م (٢)

- الباب الرابع : رسالة لأبي اسحق الصابي بتحويل ميلاد عضد الدولة .
 الباب الخامس : موشح لتاج الدين عثمان البلطي أوله :
 وبلاه من روعاً يجوره يقضي
- الباب السادس : رسالة للقاضي الفاضل بولاية الشرفية عن الملك العادل .
 الباب السابع : تخميس قصيدة فبس بن ذريح التي أولها :
 سقى طلال الدار التي أتم بها حناتم وبل صيف وريبع
- الباب الثامن : فصول لأبي العلاء الميري .
 الباب التاسع : قصيدة خمسة على حروف المعجم لمحمد بن ابراهيم الكيزاني أولها :
 عزّ الدواء وألح الداء أما لأحكام الهوى انتهاه
 أصبحت فيما حكم القضاء قضيتي قضية عمياء
 يا رب غفران
- الباب العاشر : فصول للشريف الرضي .
 الكتاب السادس عشر في الخطب والجواب عشرة أبواب خمسة نظم
 في كل باب منها قصيدتان وخمسة نثر في كل باب منها رسالتان .
 الباب الأول : قصيدة لأحمد بن عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي بعث بها
 الى الصاحب بن عباد يشكو إليه علو السن والنقرس أولها :
 إلى الله أشكو ضني شفتني وكم قبله من صبي قد شفاني
 فكتب إليه الصاحب مجيباً بقصيدة أولها :
 عناني من الهم ما قد عناني فأعطيت صرف الليالي عناني
- الباب الثاني : رسالة للشريف الرضي بعث بها إبي القاسم عبد العزيز بن
 يوصف وجوابها :
 الباب الثالث : قصيدة لابن الهباربة كتبها الى الرئيس البارع أبي عبد الله
 ابن الدباس أولها :

يابن ودي وأين مني ابن ودي أخلفت ظرفه الرياضة بهدي
فأجابه البارع بقصيدة أولها :

وصلت رقعة الشريف أبي بعلى فقامت مقام اقياه عندي
الباب الرابع : رسالة للصابي كتبها عن الوزير محمد بن بقيه إلى القاضي
أبي بكر ابن قريعة بعزبه عن ثور نفق فأظهر عليه الجزع وجلس للعزاء على
سبيل الهزه ، وجواب القاضي ابن قريعة :

الباب الخامس : قصيدة لأبي أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي كتبها
إلى القاضي التنوخي أولها :

شوقي إلى القاضي المنيف بمجده شوق يفوت الوصف أيسر حده
فأجابه القاضي التنوخي بقصيدة أولها :

نفسى فداؤك والورى من بعده جردت سيف صبابتي من غمده
الباب السادس : رسالة كتبها قابوس بن وشمكير الى الصاحب بن عباد
وجواب الصاحب -

الباب السابع : قصيدة كتبها أبو القاسم بن الطحان إلى أبي عبد الله محمد
ابن ابراهيم الكيزاني أولها :

أيها العالم الذي فاق في العالم على زعمه شيوخ الزمان
فأجاب الكيزاني بقصيدة أولها :

من عذيري من الفوي الماني منكر الحق جاهد الفرقان
الباب الثامن : رسالة للصابي كتبها إلى الوزير أبي محمد الحسن بن محمد المهدي
وقد توجه إلى عمان وجوابها .

الباب التاسع : قصيدة كتبها أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي الى
الصاحب بن عباد أولها :

إدا الغيوم ارجحنّ باشقها وحفّ أرجاءها بوارقها
فأجابها صاحب بقصيدة أولها :

بدت عذاري مدت مرادقها وأقسم الحسن لا يفارقها
الباب العاشر : خطاب من داعي الدعوة أبي نصر هبة الله إلى أبي العلاء
المعري وجوابه .

* * *

وقد ورد في آخر الجزء الثاني ما نسخته :

«تم كتاب جمهرة الإسلام

ذات النثر والنظام بحمد الله وعونه

تأليف مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري

وكان الفراغ من نسخته في نهار السبت الثالث والعشرين من شوال

من شهور سنة سبع وتسعين وستائة للهجرة الطاهرة النبوية

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم»

* * *

والكتاب على حسن خطه فيه كثير من التصحيف والغلط يحتاج تحقيق

نصوصه الى جهد ودقة وروية .

خليل مردم بك

—————

مصطلحات الاجتماعيات النباتية

كان في الدولة السورية ، في سنوات الانتداب الأخيرة ، مستشار في وزارة الزراعة اسمه دلبس Delbes انتقل بعد جلاء الفرنسيين عن ديار الشام الى إحدى مؤسسات الأمم المتحدة . وكان رحمه الله ذا اطلاع واسع على علم النبات ، وكان عنده معشبة أي مجموعة من النبات كبيرة جمعها من أقطار الشرق الأدنى ، ولا سيما من الشام .

وفي أحد الأيام زارني وأهدى اليّ رسالة بالفرنسية نُسخت على الآلة الكاتبة ، واشتملت على جملة من مصطلحات علم الاجتماع النباتي معرفةً تعريفاً علياً موجزاً ، ومرتبّة على حروف المعجم . وقد أطلق عليها اسم : معجم صغير لأهم ألفاظ الاجتماعيات النباتية :

Vocabulaire des principaux termes de Sociologie Végétale « Phytosociologie »

ويغلب على ظني أن المشار إليه هو الذي ألف هذه الرسالة أو هذا المعجم الصغير لمؤسسة الأمم المتحدة التي كان يعمل فيها مستشاراً أو خبيراً .

وكنتُ أنعمتُ النظر في هذه الألفاظ وفي تعريفاتها ، ونقلتها الى العربية ، ونصّنت الطبعة الثانية من « معجم الألفاظ الزراعية » عدداً منها^(١) . وقد رأت لجنة مجلة مجمعنا فائدة في نشرها كلها أو في نشر جلها في المجلة لكي يطلع عليها أساتيد النبات في جامعات الأقطار العربية وفي مدارسها الزراعية العالية .

(١) ورد أيضاً ذكر لبعضها في مقالي الذي عنوانه « جملة من المصطلحات النباتية » والمنشور في المجلد السادس والعشرين (سنة ١٩٥١) من هذه المجلة .

ومن المعلوم أن الألفاظ العربية الموضوعية هي الراجحة في نظري ، ولكنها لا تُعتبر ألفاظاً قد استقر الرأي عليها نهائياً ، وربما أدى فرط النقضي الى أن نبدل بعضها ما هو أصلح منه .

ولقد حازت عدم التصرف في التعريفات إلا قليلاً . ومن الواضح أن تعريف مثل هذه الألفاظ العلمية يختلف في الطول والقصر والتركيز والتمثيل . وقد جاءت التعريفات في هذه الرسالة مركزة ومقتضبة لأنها وضعت لاساندة النبات لا لجمهرة القراء :

Abondance وفرة . غزارة . - تقدير العدد النسبي لأفراد كل نوع نباتي بالنسبة الى جميع الأفراد التي تشمل عليها مجموعة من النبات .
Acaule لاساقى . - نبات ليس له ساق ظاهرة ، أو له ساق صغيرة جداً حتى لكان الأوراق قد وُلدت من الجذر .

« Accessoires « Plantes » نباتات تابعة أو ثانوية . - النباتات التي لا يقل مقدارها عن ٢٥ في المائة في بيانات « كشوف » الاجتماع النباتي لمنطقة معينة .
(من ألفاظ الأَطْراد Constance . انظر هذه الكلمة) .

« Accidentelles « Plantes » نباتات طارئة . - النباتات التي يقل مقدارها عن ٢٥ في المائة في بيانات « كشوف » الاجتماع النباتي لمنطقة معينة .
(من ألفاظ الأَطْراد Constance . انظر هذه الكلمة) .

Alliance رابطة . - وحدة عالية في الاجتماعيات النباتية ، وهي جملة المجموعات النباتية التي لها تركيب نباتي متماثل ، وفيها عدد من الأنواع النباتية المشتركة .

« Anémophiles « Plantes » نباتات رِيحِيَّةُ التَّلْقِيحِ أو الإلقاح . - النباتات التي تنثر الرِيحُ حبوبَ لقاحها فتلقح البَيْضَةُ « البذيرة » في مدقة الزهرة .

- Antarctique « Région » منطقة جنوبية . - منطقة نباتية تقع جنوبي
الدرجة السادسة والأربعين .
- Anthèse تمام التزهير أو التنوير . - الوقت الذي تنمو وتفتتح فيه جميع
أجزاء الزهرة .
- Anthropophiles « Plantes » نباتات أليفة الإنسان . - الأنواع
النباتية التي أثر فيها الإنسان بنفسه أو بغيره . والنباتات أوائل الإنسان في
منطقة ما هي الأنواع التي نقلها الإنسان الى تلك المنطقة .
- Aridité « indice d' » دليل القحولة . - صيغة تستعمل في الجغرافية
النباتية لوضع الخرائط الإقليمية :

$$ق = \frac{م}{ح \times 10}$$

$$ق = قحولة$$

$$م = \text{المطر المتوسط السنوي}$$

$$ح = \text{الحرارة المتوسطة اليومية}$$

- Association مجموعة . - جماعة من النبات لها مفهوم نباتي معين ،
وهو أن تكون مؤلفة من نباتات معلومة وثابتة .
- Basiphiles « Plantes » نباتات أليفة القواعد . - تسمى أيضاً عدوة
السكس Calcifuges فراجعها .
- Biologique « Spectre » طيف أحيائي أو بيولوجي . - تمثيل بياني
للنباتات وفقاً لتصنيفها البيولوجي ، وعلى حسب النسبة المئوية التي توجد في
جماعة نباتية أو في منطقة معينة .
- وفي تعبير « الطيف النباتي » الذي عرفه رُنكلر Raunklaer سنة ١٩٠٥
تُصنف النباتات خمس فئات أساسية وهي : النباتات البارزة Phanerophytes

والنباتات اللاطئة Chaméphytes ، والنباتات نصف الخفية Hémicryptophytes ، والنباتات الأرضية Géophytes ، والنباتات البزرية Thérophytes (راجع هذه الكلمات) .

« Facteurs » Biotiques عوامل حيوية أو أحيائية . - العوامل التي يتعرض لها النبات فتؤثر في حياته (كالشكافل ، والتطفل ، والتنازع بين الأنواع ، والتجمع في مجموعات) .

« Plantes » Calcicoles نباتات أليفة الكس . نباتات كسبية . - النباتات التي تستطيع النمو في أتربة مقدار الكس فيها كبير .

« Plantes » Calcifuges نباتات عدوة الكس . نباتات لا كسبية . - النباتات التي لا تستطيع النمو إلا في أتربة كسها قليل .

« Plantes » Caractéristiques نباتات متسيرة . صيغة تستعمل في تعيين نوع الألفة Fidélité « انظر هذه الكلمة » . والنباتات المتميزة ثلاثة أشكال : مائة أو منحصرة Exclusives ، ومشتقية Électives ، ومرجحة Préférantes « انظر الفرنسيات » .

« Plantes » Chamephytes نباتات لاطئة - . نباتات تكون براعمها الهوائية على أقل من ٢٥ سنتيمتراً فوق سطح الأرض .

« Plantes » Cheiroptérophiles نباتات خفاشية التلقيح . - نباتات يزور اخفاش أزهارها فيسهل تلقيحها .

« Plantes » Chionophiles نباتات ثلجية . - نباتات تتحمل البرد وتستطيع النمو تحت طبقة غليظة من الثلج .

Chorologie علم الكور . كوريات . - شعبة من علم الاجتماع النباتي تشمل جميع المعلومات المتعلقة بالموقع الجغرافي للمنغضيات ، وبمجمعات هذه المنغضيات (١) .

(١) الكور جمع كورة المرية أو قل المرية قديماً . والفرنسية من اليونانية بمعنى علم الكور أو الأقطار أو الأصقاع .

Climax قُمَّة • أَوْج • - منتهى ما تبلغه المجموعات النباتية في تطورها
المتري • وهو التجمع الإقليمي النهائي •
وتُدْرَك القمة «أو الأوج» عندما تكون التربة والنباتات التي تغطيها
قد بلغت حالة التوازن مع الإقليم •

« Compagnes « Plantes » نباتات مرافقة • - درجة من درجات الألفة
Fidélité فراجمةها •

Constance إطراد • - وجود أفراد من النبات ، وجوداً منتظماً ، في
بيان مجموعة نباتية • وفي صيغة الاطراد هذه تُصنّف نباتات المجموعة ثلاثة أصناف :
'مطرّدة Constantes ، وتابعة Accessoires ، وطارئة Accidentelles
(انظر الكلمات الفرنسية) •

« Constantes « Plantes » نباتات 'مطرّدة • - النباتات التي لا يقل مقدارها
عن خمسين في المائة في بيانات « كشوف » الاجتماع النباتي لمنطقة معينة
(انظر Constance) •

« Cryptophytes « Plantes » نباتات خفيّة • - نباتات عشبية تكون
أعضاؤها التناسلية في التراب • وهي ثلاثة أشكال : نباتات أرضية Géophytes ،
ونباتات متّقعبيّة أي نباتات المنافع Hélophytes ، ونباتات مائية Hydrophytes •
(انظر الفرنسيات) •

Dispersion تبدّد • تبديد • - صيغة في علم الاجتماع النباتي تستعمل
في بيان توزّع الأنواع النباتية • ومن حيث الإحصاء يكون التبدد نظامياً
أو قل كفايياً ، عندما يكون التوزع موافقاً لقوانين الاحتمالات ؛ ويكون
التبدد تحت الكفاء عندما يكون التوزع أكثر انتظاماً ، كما في الكروم
وبساتين الفواكه ؛ ويكون التبدد فوق الكفاء في الحالة المخالفة •

- Dominance غلبة . تغلب . — تقدير المساحة التي تشغلها نباتات من نوع واحد بالنسبة الى المساحة التي تشغلها أفراد النباتات جميعا .
- Écologie علم البيئة . بيئيّات . — دراسة الحياة الاجتماعية للكائنات الحية ، وتحليل تجمعاتها التي حصلت بتأثير العوامل الطبيعية والإقليمية فيها ، وعلى حسب تطورات تلك الكائنات في العصور السالفة .
- Ectodynamomorphes «Sols» تُرب خارجية التكوّن أو التَشَكُّل . — الأتربة التي يكون تكوّنُها تابعاً على الأخص للإقليم وللنباتات المرتبطة به . وهي التُرب «الناضجة» التي تكون في مناطق النبات الإقليمية .
- Édaphiques « Facteurs » عوامل تُرابيّة . — عوامل مؤثرة في كيان النباتات ، تُعزى الى طبيعة التربة والى المؤثرات الفيزيائية والكيميائية .
- Électives « Plantes » نباتات مُنتقِيّة . — نباتات مُتميِّزة
- Caractéristiques (انظر الفرنسية) تقيم خاصة في جماعة نباتية معينة ، ولكنها تشاهد أيضاً في جماعات أخرى .
- ويستعمل هذا الاصطلاح في تصنيف النباتات على حسب مدلول الألفة
- Fidélité (راجع الفرنسية) .
- Endémiques « Plantes » نباتات متوطّنة أو مُستوطنة . — نباتات أو مجموعات من النبات تنمو في منطقة معينة .
- ويستعمل هذا الاصطلاح في تعيين منابت الأنواع النباتية .
- Endodynamomorphes «Sols» تُرب داخلية التكوّن أو التَشَكُّل . — الأتربة التي تتكون من نفتت الصخرة الأم خاصة . فالصحاري ، والتُرب المتجمدة ، وترب الجبال العالية التي نباتاتها قليلة ، كلها تعد داخلية التشكل .
- Entomophiles « Plantes » نباتات حشريّة التلقيح . — النباتات التي يكون تلقيحها وفقاً على حشرات تحمل اللقاح الى سيات الزهر .

« Epiphytes « Plantes » نباتات معايشة أو ملازمة . - النباتات التي تعيش على جذع الشجر وفروعه ، من دون أن يكون لها أعضاء خاصة تُنْشِبُها في أنساج الشجر الحية .

Étages de végétation طبقات النبات . - مُسْتَطِيلات أو مُنطَقي من النبات من انواع مختلفة ، كلما ارتقى المرء في الجبال يرى بعضها فوق بعض .
« Étrangères « Plantes » نباتات غريبة . - أنواع من النبات لا تظهر إلا عفواً في جماعة معينة . (اصطلاح يستعمل في تصنيف النبات على حسب مدلول الألفة Fidélité فراجمها) .

« Exclusives « Plantes » نباتات مانعة أو مُنَحَصِرَة . - الأنواع النباتية التي تكاد تنحصر علاقتها بجماعة من النبات معينة (من اصطلاحات تصنيف النباتات على حسب مدلول الألفة Fidélité فراجمها) .

والنباتات المنحصرة جزء من النباتات المتميزة Caractéristiques فراجمها .
Facies végétal هيئة نباتية . - المنظر العام لنبات منطقة بعينها .
Fidélité ألفة . - اصطلاح يستعمل لتصنيف الأنواع في بيانات « كشوف » الاجتماعيات النباتية .

ويجمعون الألفة على خمس درجات : (١) النباتات المُنَحَصِرَة أو المانعة
« Plantes exclusives » (٢) والمُنْتَقِيَة « Électives » (٣) والمُرَجِّحَة « Préférantes »
(ونباتات هذه الدرجات الثلاث تسمى المتميزة Caractéristiques » (٤) واللامبالية
« Indifférentes » أو قل المرافقة « Compagnes » (٥) والطارئة « Accidentelles »
أو قل الأجنبية « Étrangères » (انظر الفرنسيات) .

Fréquence تواتر . تَرَدُّد . - النسبة المئوية لنوع نباتي معين في بيانات الاجتماعيات النباتية .

- « Géophytes « Plantes » نباتات أرضية . - نباتات خفية Cryptophytes
 (انظر هذه الكلمة) تكون أعضاؤها التناسلية في الأرض .
- « Halophiles « Plantes » نباتات ملحية أو أوالف المالح . - الأنواع التي تعيش في أنزبة كثيرة المالح أي كلورور الصوديوم . وتكثر نبات النباتات الملحية في شواطئ البحار والبحيرات المالحة وفي المناطق الصحراوية « نصف القاحلة » .
- « Halophytes » نباتات ملحية . - امم يطلق على أوالف المالح من النبات (وهي النباتات السابق ذكرها) .
- « Hélistothermes « Végétaux » نباتات الصرود . - أنواع من النبات تنبت في درجة من الحرارة تحت الصفر .
- « Héliophiles « Plantes » نباتات شمسية . - أنواع نباتية لا تبلغ تمام نموها إلا كانت أشعة الشمس تقع عليها .
- « Hélophytes « Plantes » نباتات المناقع . - نباتات خفية Cryptophytes
 (انظر هذه الكلمة) تكون أعضاؤها التناسلية في حما المناقع .
- « Hémicryptophytes « Plantes » نباتات نصف خفية . - نباتات عشبية تكون أعضاؤها التناسلية على سطح التربة أو تحت سطحها قليلاً ، وتكون تلك الأعضاء مصونة بجراشف أو بحطام من الورق .
- « Holarctique « Région » المنطقة الشمالية الكاملة . - أصقاع شمالية متصلة تمتد في العالم القديم والعالم الجديد ، فهي في أوربة ما يقع شمالي البحر الأبيض المتوسط ، وفي آسيا ما يقع في سيبيريا وفي الصين الشمالية ، وفي أميركة ما يقع في القسم الشمالي من الولايات المتحدة وفي كندا .
- « Hydrophytes « Plantes » نباتات مائية . - النباتات الخفية Cryptophytes
 (راجع هذه الكلمة) التي تكون أعضاؤها التناسلية في الماء .

- Hygrophytes « Plantes » نباتات الرطوبة . نباتات البيئات الرطبة . —
- النباتات التي تكيفت للعيش في الأقاليم أو الأتربة الرطبة .
- Indifférentes « Plantes » نباتات لا مبالية . — النباتات المرافقة
- Compagnes (راجعها) التي تنمو كثيراً أو قليلاً في جملة جماعات نباتية .
- وَيُستعمل هذا الاصطلاح في تصنيف النبات على حسب مدلول الألفة
- أي Fidélité فراجعها .
- Landes نبات البراح . — النباتات التي تنمو في الأتربة الحامضة بعد
- إبادة الحراج ، أو في الأراضي الزراعية التي بُورث لنقاد خصيها^(١) .
- Malacophiles « Plantes » رِخْوِيَّةٌ التلقيح . — النباتات التي تقوم
- فيها بعمل التلقيح حيوانات من الرِخْوِيَّات المَعْدِيَّات الأرجل .
- Maquis غَيْطَلَةٌ^(٢) . — تطلق الفرنسية على الحَرْجَة المنخطة في التربة
- الرملية ، حيث قام مقام أشجارها المتميزة ، كالهبش أي بلوط الفلين مثلاً ،
- أنواعٌ مختلفة من الجنبه تألفت منها أعياص Broussailles كثيراً ما تكون ملتفة .
- Mégathermes « Végétaux » نباتات الجُرُوم . نباتات الحر . —
- النباتات التي تحتاج دائماً إلى حرارة تزيد على عشرين درجة مئوية .
- Mésologie مِيَزُ وِلُوجِيَّةٌ . — جزء من البيولوجية النباتية يبحث في العلاقات
- بين المتعضيات النباتية والبيئة التي تعيش فيها^(٣) .
- Mésophytes « Plantes » نباتات الرطوبة المعتدلة . — نباتات لا تستطيع
- العيش إلا في أقاليم معتدلة لا كثيرة اليبوسة ، ولا كثيرة الرطوبة . وهي
- فئة من النبات لا يمكن في التصنيف جعلها في جملة نباتات البيئات الرطبة ،
- ولا في جملة نباتات الصحراء .

(١) تطلق الفرنسية على تلك الأشكال من الأرضين، وعلى نباتاتها، والبراح اصطلاح من وضمي.

(٢) الفبيلة اصطلاح من وضمي .

(٣) كثيراً ما نستعمل الفرنسية مرادفةً لِمِ البيئية Écologie .

« Mésothermes Plantes » نباتات الحرارة المعتدلة . — نباتات تألف درجة حرارة متوسطة مقدارها ١٥ درجة مئوية .

« Messicoles Plantes ou Associations » نباتات أو مجموعات زرعية . — نباتات أو مجموعات من النباتات الطارئة تنمو مع الزرع في الحقول (وتسمى أوالف الزرع) .

Microclimat إقليم صغير . — إقليم خاص ببتعة أو منطقة معينة . والإقليم الصغير عامل مؤثر في حياة النبات الذي ينمو تحت شجر الغابات . فالإقليم الصغير لخرجة من الصنوبر مثلاً غير الإقليم الصغير لخرجة من البلوط .

Microflore نباتات دقيقة . — النباتات الميكروبية في التربة ، وهي البكتريات الهوائية واللاهوائية .

« Microthermes Végétaux » نباتات البرد أو القُر . — نباتات تنمو بدءاً من درجة الصفر المئوية .

« Nitratophiles Plantes » نباتات نترانية أو أليفة النترات . — نباتات تعيش في الزبل المتترّب وفي النفايات التي تكون غالباً على مقربة من البيوت . وهذه النباتات إذا أحرقت يكون في رمادها مقدار كبير من أملاح البوتاس ، ولذا سميت أليفة النترات .

Ordre رتبة . — وحدة عليا في الاجتماعيات النباتية . وهي جملة من الرابطات Alliances (انظر هذه الكلمة) تميزت بعدد من الأنواع النباتية المشتركة .
« Ornithophiles Plantes » نباتات طيرية التلقيح . — النباتات التي تزور الطير أزهارها فتسهل تلقيحها .

« Orophytes Plantes » نباتات القنّان أو الضهور أو الأعلام . — النباتات التي تنبت على قنة الجبال الشاهقة أو في الأماكن الكبيرة الارتفاع .

Pédologie علم التراب . ترايبات . — جزء من علم التربة Science du sol تُدرس فيه الأمور الآتية :

- (١) التربة في مكانها : الآفاق المتتابة للتربة ، وبنيتها ولونها وشكلها ونباتها .
- (٢) التربة في نماذج : تركيب التربة الفيزيائي والكيميائي والمعدني ، ونشوء التربة من الصخرة الأم (الأصلية) ، وتصنيفها النشوي ، وما حصل فيها من تبدلات جعلت لها صفات خاصة بتأثير عوامل الجيولوجية وفيزياء الأرض ونظم الأمطار والحرارة .
- Périodicité دورية . - مدة تمثّل الأنواع النباتية . وهذه المدة تمكننا من تقدير تزامن الأنواع في دورة نباتية .
- PH (ت ٠١٠) أو PH . - رمز تفاعل التربة (القلوية - الحمضية) . ويرتكز هذا التفاعل على التوازن الذي يحصل بين كمية يونات $H^{(1)}$ ويونات OH . ويكون لكل مجموعة نباتية PH معين .
- « Phanérophytes » نباتات بارزة . - نباتات شجرية أو جشبية^(٢) تكون أعضاؤها النابتة (أي براعمها) في رؤوس نواجم تعلو أكثر من ٢٥ سنتيمتراً فوق الأرض .
- « Phénologie » علم الظواهر . ظاهريات . - دراسة الظواهر البارزة في حياة أحد النباتات (تفتح البراعم ، الإبراق ، الإزهار ، نضج الثمر الخ) .
- Photométrie végétale قياس الضوء النباتي . - دراسة شدة الضوء وقياسها وتأثيرها في نمو النباتات .
- Phytogéographie جغرافية نباتية . - جغرافية النباتات ودراسة توزعها على سطح الكرة الأرضية .
- Phytoplankton نباتات مغمورة أو معلقة . - جماع المتعضيات النباتية التي تعيش معلقة في المياه الحلوة أو المالحة^(٣) «لاطانية ولا راسبة» .

(١) اليونة تعريب ion ويسميا بمضمم الشاردة .

(٢) نسبة إلى جنبة أي Arbuste .

(٣) في الأصل : التي تعيش على سطح المياه الحلوة أو المالحة .

وتكون غالباً أشنة (Algues وتسمى الطحالب في مصر) خيطية أو مجهرية .
 Phytosociologie علم الاجتماع النباتي . اجتماعيات نباتية . - دراسة
 المجموعات النباتية (راجع هذا الاسم) . والقوانين التي تنظم اجتماع الأنواع
 في مجموعات .

« Associations » Planktoniques مجموعات مُعلّقة . - مجموعات النباتات
 المنسوبة الى النباتات المعلقة أو المغمورة .

Pollinique « Analyse » تحليل لقاحي . - طريقة تُعيّن بها النسبة
 المثوبة لحبات اللقاح ، في المستويات المختلفة من المبخّات (المطرّبات
 Tourbières) . وهذا التحليل اللقاعي يسهل الكشف عن تأريخ النبات في
 العصور الجيولوجية الغابرة .

Pozdol 'بزدول' . - (معربة) يطلق هذا الاسم على أتربة ضاربة الى
 بياض تقوم عليها حراج روسية الشمالية وسيبرية . والبزدولات أو قل التراب
 الرمادية مختصة بالأحراج .

« Plantes » Préférantes نباتات مُرَجّحة . - هي نباتات مُتميِّزة
 Caractéristiques (انظر هذه الكلمة) تكثر كثيرة كبيرة أو صغيرة في جملة
 مجتمعات نباتية ، ولكنها ترجح منها مجتمعاً معيناً أي جماعة معينة . (اصطلاح
 يستعمل في تصنيف النباتات على حسب مدلول الألفة Fidélité فراجعها) .
 Profil جانبيّة^(١) . - طريقة تصوير تهبجي لمقطع من الأرض ؛ وهو
 يوضح وجود التوازي بين التبدلات التي تحصل في النباتات والتبدلات التي تحصل
 في العامل السائد .

« Séries » Progressives 'متسلسلات مُتسرّقية' . - متسلسلاتُ مجموعات

نباتية تسير في اتجاه القمة « أي الأوج Climax » .

(١) الجانبية عن مجمع اللغة العربية ج ، ، وكذلك النهج بمعنى Schéma .

« Regressives » Series منسلسلات متدنية . - منسلسلات مجموعات

نباتية تعتمد عن القمة .

Relevé Phytosociologique بيان الاجتماع النباتي . بيان « أو كشف » اجتماعي نباتي . - العمل الرامي الى بيان جميع الأنواع النباتية التي تعيش في مكان معين وفي مساحة معينة ، والى تصنيف تلك الأنواع على حسب خصائصها الاجتماعية (الحيوية والكثافة والتغلب والوفرة والنواتر والالفة والاطراد وقابلية الاجتماع « انظر هذه الكلمات ») .

Rudérales « Plantes » نباتات الدمن . خضراء الدمن . - النباتات

التي ترجح العيش في الدمن على مقربة من المساكن .

Saprophytes « Plantes » نباتات رمية . - النباتات التي تعيش على

المتعضيات النباتية البالية ، وهي ترتبط بها بخصوبتها من الأمشاج الفطرية غالباً . Savane سوانة ^(١) . - يطلق هذا الاسم على المروج البرية الواسعة التي

تتأخم منطقة الأحرار الاستوائية .

Savart ساوار ^(٢) . - أرضون لا تزرع تتخذ مراعي . والنباتات المختصة

بالساوارات تنبت غالباً في أثربة كلسية .

Saxicoles « Plantes » نباتات صخرية . نباتات الصخور . - النباتات

التي تعيش على الصخور ، وتكاد تكون كلها من الأشنة والطحلب والحزاز .

Sciaphiles « Plantes » نباتات ظلية . نباتات الظل . - النباتات التي

تعيش في الظل أو في ضوء شمسي ضعيف .

Sclérophylles « Plantes » نباتات صلبة الورق . - نباتات أوراقها

غليظة قاسية . وهذه النباتات يكون لها ضغط تناضحي يكاد يكون ثابتاً .

(١) اسم يطلق على تلك المروج في الأنتيل وغيانة ، وقد اقتبسته الفرنسية من

الاسبانية وعربناه .

(٢) يطلق هذا الاسم في شبانية من أعمال فرنسا على الأراضي الطباشيرية الفقيرة

وقد عربناه .

Sociabilité قابلية الاجتماع . اجتماعية . - الشكل الذي يتجمع فيه أفراد كل نوع نباتي . وتُصنّف النباتات خمسة أصناف بموجب مدلول قابلية الاجتماع وهي :

Plantes isolées	(١) النباتات المنفردة
≡ en groupes	(٢) النباتات المتجمعة فرّقا
≡ en troupes	(٣) ≡ ≡ قطعاً
≡ en petites colonies	(٤) ≡ ≡ مستعمرات صغيرة
≡ en peuplements	(٥) ≡ ≡ عمارات

Stade de végétation طَوْرُ النبات . - كل مرحلة متميزة من مراحل تعاقب المجموعات النباتية .

Steppe سَبْط . - اسم يطلق على المروج الواسعة في روسية الجنوبية . وتكون النجيليات أهم نباتات السهوب .

Stratification تطَبُّق . تَنَضُّد . - تصنيف بدائي للنباتات يُقسّم فيه أقساماً أربعة :

Strate arborescente	الطبقة الشجرية
≡ arbustive	≡ الجنبية ^(١)
≡ herbacée	≡ العشبية
≡ muscinale	≡ الطحلبية « الحزازية في مصر »

Succession تَعاقب . - تعبير يطلق على جميع التبدلات التي تنتهي الى حلول عمارة نباتية مكان عمارة أخرى في صقع معين .

Thérophytes « Plantes » نباتات بزرية . - نباتات عشبية حولية تستأنف الحياة بيزورها .

(١) نسبة الى الجنبية Arbuste .

« Facteurs » Topographiques عوامل طبغرافية . - الشروط الطبغرافية التي تؤثر في حياة النباتات وفي توزيعها (ارتفاع الأرض وميلها ومعرضها ومياها) .

Toundras تَنْدَرَة . - (معربة) اسم يطلق على صروج في المنطقة القطبية يعيش نباتها في تراب يصاب بالصقيع في معظم أيام السنة .

« Forêts » Tropophiles أحراج المناطق المعتدلة . - يطلق هذا الاسم على أحراج تعيش في المناطق المعتدلة الحرارة ، وتألف من أشجار أوراقها معبلة .
« Plantes » Tropophytes نباتات مُتَحَمِّلة . - أنواع نباتية تكيفت لتعيش في بيئة تتعاقب فيها فصول كثيرة اليبوسة وفصول كثيرة الرطوبة . وهي تعد من « نباتات الصحراء » ومن « نباتات الرطوبة » على السواء .

Vitalité . - لفظ يدل على درجة النمو والغضاضة التي تبلغها الأنواع المختلفة في مجموعة نباتية . فمتى تنوفر لأحد الأنواع أصح شروط البيئة تبلغ وظائفه الحيوية أقصى نشاطها وتصبح دورته التطورية على أتمها .
« Plantes » Xérophytes نباتات صَحْرَاوِيَّة . نباتات الصحراء . - النباتات التي ألفت الأقاليم اليابسة .

« Associations » Xérothermiques مجموعات صَحْرَاوِيَّة حَرَارِيَّة . - جماعات نباتية تعيش في مناطق قاحلة كثيراً أو قليلاً ، شمسها تسطع في مدة تكاد تكون طويلة .

Zonation تَمَنُّطُق (١) توزُّع مِنتَطِقِي . - توزُّع النبات في مناطق بين القطبين وخط الاستواء . ويحصل هذا التوزُّع لاختلاف الحرارة على حسب خطوط العرض .

مصطفى الشهابي

www.alukah.net

(١) ليس للمنطق هذا المعنى في كتب اللغة . ومن المفيد إقراره .

ضوء جديد على دانتي والإسلام^(١)

أربع وثلاثون سنة قد انقضت منذ أن عُرض ، على الأكاديمية الإسبانية ، كتاب تقدم به عند انتهائه للأكاديمية (Discorso de recepcion) ، المستشرق المختص بالدراسات العربية المدعو « ميچوبيل آسين بلاسيوس » ، وكان في شرح شبابه آنذاك . ولا أزال أذكر الى الآن الاثر الذي تركته في نفس والذي قراءة الكتاب المذكور المسمى « فكرة المعراج الإسلامية في الكوميديا الإلهية » - Escatologia musulmana en la Divina Comedia - وهو أثر امتزج فيه الإعجاب بالدهشة ، وكاد يبلغ حد الفزع بالرغم من أن والذي كان من أوائل الذين قاموا بنشر آراء آسين في إيطاليا ؛ ذلك أن الطرافة والجرأة واتساع الأفق التي انسم بها افتراض آسين ، والنتائج التي توصل إليها ، أحدثت وقعاً شديداً . ولا أزال أحمل في ذهني ذكريات غير مكتملة الواضوح عن الأصوات المتنافرة التي ارتفعت في نقد المستشرق الشاب ، وفي نقد دانتي في جو الحماس المحموم الذي تميزت به احتفالات عام ١٩٢١ بمرور ستائة سنة على وفاة دانتي ، كما اني أحمل ذكريات مبهمة عن حماس المؤمنين بنظرية آسين ، وخيبة الأمل المريرة التي مني بها مقدسو دانتي ، والأصداء العميقة المتلازمة لكل من التأييد والاستنكار ؛ هذه المشاعر جميعها أثارها كتاب آسين مما لم يسبق إليه أي سفر آخر طيلة مائة عام . ثم ما لبثت أن طفت في كل مكان أصوات المعارضين الذين لم يؤمنوا بنظرية آسين من اعتمادوا في ذلك على الحجة أو المنطق أو من الذين آمنوا في أول الأمر .

(١) بحث للمستشرق الإيطالي « فرانسكو غابريلي » ترجمه الأستاذ موسى الحوري .

ثم أخذ إيمانهم بضعف ويمن ، وكان في عدادهم والذي • وقد رد عليهم آسين في كتابه « تاريخ معضلة ونقدها » - Historia y critica de una polemica - ببراين حية مقنعة ، وشيخة الاتصال بموضوع الجدل • ثم ما عثمت حدة الجدل أن خفت وانتهى الأمر ، كمادة الأمور في مثل هذه الحال ، بأن خلف النزاع وراءه عدداً من المسائل يحيط بها سوء التفاهم وعدم الوضوح •

إلا أن التامل المبدئي على العالم « الإسلامي العربي » الغريب البعيد في لغته وتقاليده ومكانه وحضارته ظل قائماً لا يقهر • وكان آسين يعتقد اعتقاداً راسخاً أن معارضة آرائه ، ولا سيما من قبل الإيطاليين - وهذا أمر كان مطابقاً للحقيقة فعلاً - لم يكن الباعث الوحيد على التبلد الذهني ، أو الفزع من رأي مستجد ، أو التصلب الفكري أمام الحقيقة المرة يُكشَفُ عنها لأول مرة ، وإنما كان بالإضافة الى ذلك كله التعصب الثقافي القومي ، والانصراف التام الكلي للدفاع بأي ثمن عن مجد قومي امتدت اليه يد الانتقاص والتجريح بعد أن ظلت أصالته وعظمته لا يرقى اليها شك أو نقد حتى ذلك الحين • وقد بذل آسين عناية شديدة في نهاية كتابه ليؤكد بأن مجد دانتي الشعري لم تكن لتنتقص من قدره تلك الصلة الوشيخة المستمرة التي آمن هو أنه اكتشف وجودها بين الصورة التي قدمها دانتي عن العالم الآخر وبين فكرة المعراج وفلسفة الحشر والنشر الإسلامية ، وأردف قائلاً ان اعتزاز الإيطاليين بالأصالة المطلقة لقصيدتهم المقدسة وما انتاب هذا الاعتزاز نتيجةً لنظرته إنما هو الذي أوحى برد الفعل الإيطالي أكثر من أي دافع آخر سواه •

فاذا كان هناك والحالة هذه من يعتبر العصبية القومية الإيطالية العقبة الأساسية التي حالت دون قبول افتراض آسين ، فعلى مثل هذا أن يدرك أن الفكرة الإيطالية في فلسفة النقد والجمال ، هذه الفكرة التي ذاع صيتها في سائر أنحاء أوروبا ، هي التي تأبى علينا ، ونحن معاشر الإيطاليين ، أن نقابل بالفتور مشكلة

لا تمت بصلة الى سمو فن دائي وصفته الشعرية الفذة ، حتى لو كان دائي مديناً لابن عربي بكل ما اعتقد آسين أنه مدين له به (وسنرى فيما بعد أن تنبؤات آسين قد ثبتت صحتها في اتجاه آخر) ، فلا ينبغي لنا نحن الايطاليين من عشاق الشعر أن نخطر ببالنا قط أنه قد ينشأ عن هذا أي انتقاص ، مما ضؤل ، اعظمة دائي في الناحية التي وهبنا إياها على وجه ليس له بديل أو مثيل ، إلا وهي الناحية الشعرية . فدائني الشاعر لا يرقى اليه لوم أو تخرج ، وقصيدته قد تقبل النقد إلا من وجهة النظر الفنية الجمالية ؛ والمستشرق الاسباني العظيم كان في مقدمة من أدر كوا هذه الحقيقة البسيطة وأعلنوها . والواقع أن أخطر الانتقادات التي وُجّهت الى كتاب آسين كانت تتصل بمناح أخرى غير هذه التي ما كانت لتعتبر وجهة نظر شرعية محقة ، وعلى هذا الأساس وحده نشأت أخطر الشكوك بصدد افتراضات المؤلف . فهل كان دائي يعرف من اللغة العربية ما يؤهله للاطلاع على المواد التي استطاع آسين الجأته العالم أن يبرزها للمقارنة بقصيدته ؟ وهل كان في الحقيقة أكثر اطلاعاً من عامة معاصريه على شؤون العالم العربي الإسلامي ؟ وكيف تبسر له الاطلاع على إنتاج ابن عربي أو أبي العلاء المعري وكلاهما يتصف بالفموض والإيهام ؟ وأي دليل على أن مؤلفات هذين الكتّابين أو أي إنتاج عربي آخر يبحث في فلسفة الحشر والنشر قد ترجم الى لغات غربية ؟ ان هذه جميعها مشكلات تقع في مجال أبحاث التاريخ الثقافي ، ويجب علينا حلها إذا أردنا إثبات أسباب التشابه بين فلسفة الحشر الإسلامية وفكرة الحشر عند دائي كما أوردها آسين . وقد أجاب عنها آسين بقوله إنه ليس من البعيد أن يكون دائي قد ألم بقليل من اللغة العربية (ولكن الأمر كما نعلم نحن المستشرقين حتى العلم يقتضي أكثر من مجرد الإلمام بقليل من العربية لفهم مؤلفات أبي العلاء وابن عربي المعقدة !) ، وأشار آسين أيضاً إلى أنه قادر على أن يبين وجود اهتمام خاص بالتاريخ الإسلامي والثقافة الإسلامية في إنتاج

دانتي ، ابن فلورنسة البكر ، وكذلك نوه آسين باحتمال لم يتمكن من دعمه بالوثائق وهو أن يكون « ألفيري دانتي » قد وقع على نصوص في فلسفة الحشر الإسلامية في بعض الترجمات ، وأن هذه الترجمات قد تكون مما حمله معه برونيتو لاتيني Brunetto Latini عند عودته الى مقاطعة توسكاني بإيطاليا بعد انتهاء سفارته لدى ملك اسبانيا في عام ١٢٦٠ م ، وقد كانت هذه النقطة الأخيرة بالذات ، أي الوسيلة التي انتقلت عن طريقها فكرة الإسلام عن العالم الآخر الى دانتي ، هي التي ظلت الى وقت قريب مشكلة مبهمة تؤلف الحلقة المفقودة في السلسلة التي أحكم رباطها آسين ، حلقة حلقة ، بنفاذ وتمحق لا مثيل لها ، بين اسبانيا العربية - اليهودية - المسيحية في القرن الثالث عشر ، وإيطاليا في القرن الرابع عشر .

لقد أصبح معروفاً الآن بعد انقضاء أكثر من ثلاثين عاماً على عرض المشكلة لأول مرة أن الحلقة المفقودة ، قد عثر عليها . ذلك أن عالمين أحدهما اسباني والآخر ايطالي ، (وقد أمسك كل منهما بأحد طرفي السلسلة مستقلاً عن الآخر وغير عارف بجهوده حتى النهاية) ، نشرنا خلال هذه السنوات النصين اللاتيني والفرنسي لكتاب اسباني عربي يدور حول فلسفة الحشر العربية الإسلامية . وقد ثبت أن هاتين الترجمتين كانتا معروفتين في ايطاليا في القرن الرابع عشر ؛ وهكذا تظهر لنا مشكلة دانتي والإسلام تحت ضوء جديد كل الجدة . وقد أسميت هذا الكتاب الفذ كتاب (المعراج أو كتاب معراج محمد) وفقاً للأسماء المتعددة التي عُرف بها باللاتينية والفرنسية القديمة والاطيالية . وقد تم وضع الكتاب - كما كان متوقفاً بل محتوماً - في بلاط القونسو بمدينة اشبيلية وبأمر الملك نفسه ، الذي دُعي بحق ملك الدينين أو الأديان الثلاثة ، والذي تصدق فيه هذه الصفة أكثر مما تصدق في جده ، فاتح طليطلة . وكان ابراهيم الفقيه ،

الطبيب والعالم اليهودي المشهور بترجماته لمؤلفات ابن الهيثم والزرقاني ، قد نقل الى اللغة القشتالية ، قبل عام ١٢٦٤ بزم من غير طوبيل ، وبأمر من الملك نفسه ، النص الشائع لقصة المهرج أو رحلة محمد في أنحاء العالم الآخر . وعن ترجمة ابراهيم القشتالية هذه ، وهي ترجمة مفقودة ، أخذ الكاتب الايطالي بونا فنتورا من أهل سيينا نص الترجمتين الفرنسية واللاتينية الموازيتين له ، ومخطوطة احدهما لا تزال محفوظة في اكسفورد ببريطانيا في حين حفظت مخطوطات الأخرى في باريس والفاتيكان . وقد نُشرت الترجمتان في آن واحد من قبل أنريكو شيرولي في إيطاليا ، وجوزيه مونوز سندنو في اسبانيا .

وإذا استئفينا المقدمة الوجيزة التي كتبها بونا فنتورا سيينا شارحاً أصل الكتاب ومبرراً الغاية من وضعه فنجد بين أبدنا في الحالتين ترجمة أمينة حرفية ، وفق أساليب الترجمة في ذلك العصر ، لمؤلف عربي في فلسفة الحشر والنشر ، وقد يكون أصل هذا المؤلف مفقوداً ، ولكنه كان ولا شك شائماً جداً في اسبانيا في القرن الثالث عشر ، كما أنه لا بد أن يكون لهذا الأصل علاقة بالنصوص الأخرى الشفوية الخاصة بفلسفة الحشر التي نسخها أو لخصها آصين في كتابه . ولكنه يمتاز عليها جميعاً بثناسته وشموله الكاملين ، وفي مقاطع منه رونق أدبي قديم لا يخلو من قوة التأثير في النفس . أما القصة فهي معروفة : جبريل بوقف محمداً من نومه في مكة ، وبأسره بامطاء البراق ، ذلك الجواد المنح الذي يحمله الى المسجد الأقصى ، ومن هناك يصعد الى السماء على درج ذهبي براق . ومن هنا أخذ اسم الكتاب الذي يتحدث عن أرجاء العالم الآخر . ويرى محمد (ﷺ) بعد ذلك ملك الموت ، ثم يرى ملكاً بشكل ديك ، وآخر نصفه من نار ونصفه من ثلج^(١) ويحياز صبع سماوات ، يلتقي في كل منها بنبي ،

(١) هذا لم يصح رواية ولا دراية . (لجنة المجلة)

حتى يمثل أخيراً أمام عرش الله ؛ ثم يزور الفردوس ويرى ما فيه من مباحج الطبيعة والمحبة ، ويتسلم من الله عز وجل القرآن الكريم وأوامر الصلاة اليومية والصوم^(١) ، وتخفف هذه الأوامر فيما بعد استجابة لتوسلاته ، ومن ثم يرى جهم ، ويطوف بأطباقها ودركاتهما السبعة ، ويرى أنواع التعذيب فيها ، بينما يشرح له جبريل يوم القيامة والحساب على جسر الصراط . وعيناً يحاول لدى عودته الى الأرض اقناع قريش بصدق رؤياه ، وقد دونها ، وشهد على صدقها كل من أبي بكر وابن عباس^(٢) بناءً على طلبه . والصفات المميزة للمؤلف الأصلي محفوظة هنا بأمانة ، لا بنتيجة الأسلوب الأدبي لكتاب فحسب (هذا الأسلوب الذي على الرغم مما فيه من تشويه ، يأتي على ذكر عدد كبير من الأسماء والأماكن الواردة في الأصل العربي ، ويردد جملاً عربية كاملة في التسييح والصلاة) ، بل نخلوه أيضاً من أي شرح أو إيضاحات دفاعاً عن الدين من وجهة النظر المسيحية ، وهكذا فإذا ما جرد النص من حلة اللغات ذات الأصل اللاتيني التي وُضع فيها ، فإننا نجد فيه العقيدة الإسلامية الشعبية في الموضوع محفوظةً بكل ما فيها من صراحة لا تخلو من بعض البساطة .

وهذا الكتاب الذي جعله الملك في متناول يد الغرب المسيحي (في ما لا يقل عن ثلاثة أسفار وربما في أكثر من هذا العدد ، بدافع من حب الاستطلاع الثقافي أكثر من الرغبة في الدفاع عن وجهة النظر المسيحية) ، انتشر بصورة فعالة وبطرق متعددة ؛ وبوسعنا أن نتبع ما كان له من وقع في اسبانيا وفرنسا وإيطاليا . وبناءً على ما بينه شيرولي فإن كتاب ابرهيم الفقيه المترجم الى لغة قشتالة والذي لم يصل إلينا هو المصدر الذي أخذ عنه « سان بيدرو باسكال » خلاصته

(١) إنما فرض الصوم في السنة الثانية من الهجرة ، فبينه وبين فريضة الصلاة خمس سنوات . (لجنة المحلة)

(٢) ولد عبد الله بن عباس في السنة الثالثة قبل الهجرة (أي عام الإسراء والمعراج) كما في « الإصابة » وغيرها . (لجنة المحلة)

الضافية عن رحلة محمد (ﷺ) الى العالم الآخر كما وردت في كتابه «Sobre La Seta Mahometana» الذي أشار اليه آسين وجعله مصدراً .
 .يحتمل أن يكون دانتلي قد اعتمده . وعلى أساس المعلومات الدقيقة المتجمعة لدينا والحدس المعقول فان المخطوطات الثلاث المحفوظة لكتاب بونا فينتورا ، وجميعها من مطلع القرن الرابع عشر ، تحملنا الى مقاطعة بريتانية في شمالي فرنسا (المخطوطة اللاتينية المحفوظة بباريس) ، والى انكتر (مخطوطة اكسفورد الفرنسية) ، والى بروكس (مخطوطة الفاتيكان اللاتينية) ، وتدلتنا على أن كتاب المعراج (Liber Scalæ) مالبت أن شق طريقه الى ما وراء جبال البرانس . وأما فيما يتعلق باطلاع الايطاليين على هذا الكتاب فنحن إذا جعلنا تاريخ ترجمته عام ١٢٤٦ (وبذلك نكون قد تخيلنا عن فكرة نقله على يد برونتو لاتيني الذي سبقت سفارته لدى بلاط الفونسو التاريخ المذكور بأربع سنوات) فاننا نعلم على اقتباسين صريحين من قبل كاتبين ايطاليين ، أحدهما يلخص الكتاب تلخيصاً ضافياً مما ثبت أنه كان معروفاً في ايطاليا في منتصف القرن الرابع عشر وأواخر القرن الخامس عشر . ففي ذبلك القرنين كانت كتابات راهب ابوليا الفرنسي كافي روبرتو كارا كشيولو الدينية معروفة ومشهورة ، وفي عهد السلالة الأراغونية في نابلي أورد روبرتو هذا في كتابه كلمة الايمان «Specchio della Fede» خلاصة لما وصفه هو «بالكتاب الذي يدعوه المسلمون بالمعراج وبلغة العرب سلم محمد» . ولا ريب في أن هذا هو كتابنا وانه قد اطلع عليه بنص لاتيني . غير أن الشاعر النوصكاني فازبو ديقلي أوبرتي يدنينا أكثر كثيراً من دانتلي من حيث الزمان والمكان ، فهو يصف في كتابه دنامندو (Dittamondo) الفردوس كما تخيله المسلمون ، منوهاً بكتاب المعراج في قوله :

«ولكنه في كتابه (أي كتاب النبي محمد ﷺ) الذي بدعى المعراج

يسرد ترتيب طعام الطوبانابين

ويتحدث عن كل تفاحة (أي كل ثمرة من ثمار الفردوس) «٠٠٠»
 ويعود الفضل في لفت الانتباه الى هذا المقطع البالغ الأهمية والمؤلف من
 آيات ثلاثة الى شيرولي . ترى أي ثمن كان يدفعه آسين لهذا المقطع !
 وهكذا تكون السلسلة قد اكتملت . لقد كانت أوربة الغرب أو بتعبير
 أدق ايطالية القرن الرابع عشر تمتلك نصوصاً موفورة مفصلة ، تمتاز بأمانة النقل ،
 عن نظرة الإسلام للعالم الآخر ، نصوصاً يستطيع أي شاعر أن يقرأها بالاسبانية
 أو الفرنسية أو اللاتينية دونما حاجة الى معرفة كلمة واحدة من اللغة العربية .
 وما من شك في أن «فازبو» قرأها ، وقد أثبت ما قرأه في قصيدته التي
 لا تُعدُّ من الشعر الرفيع ، وهي قصيدة فيها مزيج من الأساطير التاريخية الكونية ،
 يشهد موضوعها عليها بأنها تقليد لشعر دانتي . ونحن لو افترضنا أن مواطن
 فازبو وأستاذه العظيم لم يقتبس عن كتاب المعراج اقتباساً كبيراً فهل نستطيع
 أن ننفي الاحتمال بأن دانتي قد رأى كتاب المعراج ؟ وهو احتمال يوحي به
 تطابق مادة الموضوع ، والتماثل في نواح كثيرة محددة ، ووسيلة الانتقال التي
 ثبتت تاريخياً . إن التمصب القومي الثقافي - أو كما أوثر أن أفسر هذا التمصب
 بقولي التبلد الذهني المقرون بالخجل والافتقار الى دليل إيجابي - لم يعد يقوى
 على إنكار الافتراض اندال على الدكاء المتوقد الذي قدمه آسين قبل ثلاثين
 سنة وأمكن الآن اثباته بصورة رائعة ، وذلك من ناحية الحدس التي قام
 على أساسها .

غير ان إثبات حقيقة شيء ، وتقدير قيمتها والمكان اللائق بها ومدى
 أهميتها في مجموع هذه المادة شيء آخر . ترى كيف يمكننا أن نقدر قيمة
 الاحتمال الذي يكاد يكون الآن حقيقة واقعة مؤكدة ، وهو أن هذه الخلاصة

(Summa) عن فلسفة الحشر الإسلامية لم تكن مجهولة لدى مؤلف الكوميديا الإلهية ؟ وأي الاستنتاجات يمكن التوصل إليها من هذه المقارنة التي سبق أن أجراها في جوهرها آسبين (مادام ثابتاً أن معظم عناصر كتاب المعراج هذا كانت موجودة في المواد العربية الأخرى التي جمعها ودرسها) ؟ أي الاستنتاجات المنصفة يمكن التوصل إليها من مقارنة المصدر الشرقي بقصيدة دانتلي ؟ وأود أن أكرر قولي إن اعتبارات الفن الشعري البحتة لا مكان لها هنا ، ولكن هنالك مشكلة كاملة من أوجه الشبه السيكولوجية والمعنوية والثقافية التي لا تعتبر المقارنة معها مشروعاً فحسب بل ملائمة وواجبة . وإذا كان البحث فيما اقتبسه دانتلي من هذه النماذج وكيف اقتبسه عنها غير ذي أهمية للحكم على دانتلي بصفة كونه شاعراً ، فإنه عظيم الأهمية لايضاح المصدر الفكري لمعتقداته ، والموقف الديني الأسامي لروحه وطرائق انتقائه ودججه هذه العناصر الأجنبية في ثقافته المتأهبة للاستيعاب ، أو بعبارة أخرى : ما هو مدى وما هي حدود هذا الاتصال بين فلسفة الحشر والنشر الإسلامية وبين «مضمون» - وهنا استعمل الكلمة بمعناها المؤلف في فن الشعر - رؤيا دانتلي ؟ أية تأثيرات محددة أثارها هذا الاتصال في تكوين القصيدة الملهمه ؟ وهل يستطیع المرء أن يتحدث عن اقتباس مباشر مادي يكاد يكون آلياً ، وعن أوجه التقابل في المفاهيم ، إن لم يكن في الفن الشعري ، أو أن يتحدث عن الأثر المتغلغل ، إن لم يكن المستبعد لسواه ، للرؤيا العربية السابقة ، في رؤيا الشاعر الايطالي .

ان هذه الناحية لا أكثر عمقاً ودقة ، من نواحي القصيدة ، استأثرت باهتمام عالم واحد فقط من العالمين اللذين فسّرا كتاب المعراج ، أما بالنسبة الى العالم الآخر مونوز « Munoz » فالعلاقة بين الكتاب المذكور والكوميديا لاتعدو علاقة الأنموذج بالتقليد ، التقليد الذي عملت فيه بطبيعة الحال بد التحسين والتجميل ، وأضفت عليه صفة البراء الروحي ، ولكنه على أي حال تقليد مباشر

لا أبس فيه ، وما كان ليخطر ببال لولا وجود السابقة الأولى . وبعبارة أخرى إن وجود كتاب المعراج ، وثبوت انتقاله الى عالم داني ، هما دليلان كافيان لأن يثبتا بصورة آية الاعتماد المباشر للأحق على السابق في السلسلة الطويلة من أوجه التماثل التي أوردها آسين ، وهي أوجه التماثل في أسلوب التأليف وفي الفكر الأخلاقية واللاهوتية وفي الصور ورواية الحوادث ، وذلك من أسلوب تصميم الأقسام الثلاثة للعالم الآخر ، إلى أسلوب العقاب ، إلى مباحج الفردوس الأرضي ، إلى الرؤى التي تبهر الأبصار في الفردوس السماوي . ويرى مونوز أن سلسلة آسين القائمة على أساس أوجه الشبه واعتماد حلقة على أخرى ، لا تقبل النقض أو الجدل ، وكل ما ينتقصها هو البرهان على وصيلة النقل التاريخية . ولما كنا قد وجدنا الآن هذه الحلقة في كتاب المعراج ، فقد انتهى الأمر وصار كل عنصر من عناصر الرؤى الاسلامية ، مهاغمض الشبه بينه وبين رؤيا داني ، يؤلف رابطة مباشرة بين الأصل والتقليد ، أو بين الأصل والفرع ، بل قل رابطة بين السبب والاثر . وفي هذه الحال فالكوميديا الإلهية يجب أن تذكرنا في الحقيقة بجامع قرطبة العظيم الذي كُتبت أعمدته الشرقية المرآكشية بما يتلاءم هو ومذهب التثليث المسيحي .

أما شيرولي فإنه يبدي حساً تاريخياً أكثر حذراً (ولا ريب أنه لا يضرر أي تحيز قومي) ، وهو لا يرى أن قيام الدليل على معرفة ايطاليا للكتب التي تبحث فلسفة الحشر والنشر الاسلامية ، واحتمال اطلاع داني على هذه الكتب ، بكفيان في حد ذاتها ليضعا بين أيدينا الدليل على شاعرية داني وروحانيته ومقدار إبداعه . وهو لا يتطرق إلى مشكلة « داني والاسلام » بالذات إلا في نهاية بحث كامل رائع حول « فلسفة الحشر والنشر الاسلامية وكتاب الغرب في القرون الوسطى » ، وهو بحث جمع فيه شيرولي وحل كل أثر من آثار معرفة كتاب الغرب المسيحيين للفكر الاسلامية عن العالم الآخر ، حتى ما كان

منها مستقلاً عن كتاب المعراج : فن مؤلفات بولوجيوس والفاروس القرطبيين ، الى بتروالفونسو ، الى مجموعة طليطلة (Collectio Toletana) ، ومن غوغليو دالتارينا الى جان دوثيرتي وغوغليو الطرابلسي ، ومن رامون مارتى الى لولو (Lullo) ، ومن توماس بورن الى روجر بيكن . وتبرز من هذا البحث صورة كاملة مدهشة تجمع بين ما كتب من طراز الدفاع الركيك الشعبي عن العقيدة المسيحية ، وما في ذلك من مبالغة وتهويل شديدتين بالنواحي الدنيوية والحسية للفردوس كما يصوره القرآن (ونلاحظ هنا انه من وجهة النظر للمسيحية فان مهاجمة الفكرة الاسلامية عن جهنم أشق كثيراً من مهاجمة فكرة الفردوس) ، وبين المحاولات الفلسفية ، التي اضطرت بتأثير قوة الفكر الاسلامي ولكنها لم تكن تجله ، لإضفاء الصبغة الروحانية على عقوبات العالم الآخر ومباهجه وللتوفيق بين استقامة الرأي في العقيدة الدينية وتقرير فكرة سامية عن العالم الآخر . وقد بلغت مدرسة أكسفورد الغاية في مجال التفسير المسيحي للفكر الاسلامي في القرون الوسطى ، فقد درست هذه المدرسة بدقة متناهية نضال ابن سينا وابن رشد لوضع الغبطة الفلسفية المدركة إلى جانب النواحي الأخرى من فلسفة الحشر والنشر الاسلامية في القرآن ، كما بلغ هذه الغاية بطبيعة الحال ريموندو لولو ، المفسر الكبير للعالم الاسلامي الذي عاش في القرن الثالث عشر وامتقى معرفته عنه من المناهل الأصلية الأساسية ، فاستطاع أن يقدم لمعاصريه أصدق وأكمل صورة للفكر الاسلامي وبصورة خاصة لفلسفة الحشر والنشر العربية الاسلامية .

ولكن دعنا نهبط من هذا البحث العام الواسع الذي يدل على القيمة الفريدة الغدّة لدراسة شيرولي لنعود الى دراسة العلاقة المباشرة بين دانتى والاسلام تمهيداً لتقدير أثر كتاب المعراج في الكوميديا الإلهية تقديراً واقعياً . فنحن إذا درسنا مجمل معرفة دانتى بالديانة والعلوم والحضارة الاسلامية نصل الى نتائج

أبسط كثيراً . فمن الوجهة التاريخية ليست هناك أهمية كبرى للآبيات المتعلقة بالنبي محمد (ﷺ) في المقطع الثامن والعشرين من قصيدة الجحيم ، إذ لا يتبدل فيها الصورة التقليدية التي كان يمزوها الغرب للنبي العربي في القرون الوسطى ، وقلما نجد في مؤلفات دانتي المقائدية مقتبسات عن مؤلفين مسلمين أمثال الفيلسوفين الذين عرفهم الغرب بأسماء : ألبوماسار (Albumasar) والفراغانو (Alfragano) وألبتراغيو (Alpetragio) والفلاسفة ابن سينا وابن رشد ؛ وإذا وجدت هذه المقتبسات فإنما تكون قد أخذت بطريقة غير مباشرة عن البرتوس مانوس (Albertus Magnus) وسان توماس ؛ وعلى أي حال فالمؤلفات الإسلامية لم تكن متوفرة لدانتي إلا بالنص اللاتيني . وخلاصة القول أننا نجد أنفسنا مضطرين إزاء هذا كله إلى إنكار وجود ذلك الاطلاع الخاص على العالم العربي الإسلامي والاهتمام الخاص به الذي يلاحظه البعض في مؤلفات دانتي . ويبدو لنا أن معرفته بالعالم العربي الإسلامي لا تزيد على معرفة أي رجل واسع الاطلاع في عصره . ومع ذلك وبالنظر إلى أن دانتي كان العالم الكبير (Clerk, Scholar) والمفكر المتسع الثقافة فإن بعض الفكر الإسلامي الفلسفية والأخلاقية - وخاصة المتعلقة منها بفلسفة الحشر الإسلامية - قد تسربت إلى شاعرنا بمزج عن كتاب المعراج وعن غير طريقه : مثال ذلك نظرية ابن سينا ونمايبره عن النور ، المشار إليها إشارة صريحة في كتاب (Convivio) والمقطع الوارد في كتاب مجموعة طليطلة (Collectio Tolenta) والذي يتحدث عن بقعة فوق حاجب الروح القادمة حديثاً ، تزيلها الملائكة لدى دخولها الفردوس ، مما بعيد إلى ذاكرتنا في الحال علامات الخطيئة السبع التي تمنحني عن حاجب دانتي تدريجياً في أثناء صعوده شعاب المطهر ، وبهذا نصل أخيراً إلى كتاب المعراج ، ومن المرجح أن يكون دانتي قد اطلع عليه ، فإلى أي حد كان الكتاب مصدر إلهام عام له ، وأي أثر خاص كان له فيه ؟

لقد أجاب شيرولي عن هذا السؤال إجابة تميزت بمنتهى الحكمة وذلك مراعاةً منه لا لمؤيدي دانتى بل للحقيقة ذاتها . فهو يظن ان قراءة الرؤيا الإسلامية يمكن أن تكون عند دانتى أحد الحوافز الخارجية التي حفزته الى معارضة ما كان يُقترض أنه كتاب مقدس في الإسلام (لأن هذا ما كان يعتقدُه الغرب في كتاب المعراج) ، بقصيدة مسيحية عن « رحلة الى الآخرة تسمو بصدق العقيدة والحدق الفني في معالجة أعظم مواضيع الملاحم الدينية ، على الصور الرائعة التي ربطها الاسلام ، بالفردوس والجحيم » ، بدون أن ننسى لحظة واحدة الدور الأولي الذي تلعبه في أصل القصيدة فكرة الحياة الجديدة (Vita Nuova) أو بالأحرى الحياة الجديدة نفسها والحياة المنقحصة المنقولة ، والرغبة في أن يقول في ملهته بياتريس « ما لم يُقَل في أحد من قبل » . وفي نطاق هذا التأثير العام نستطيع أن نعزو الى السابقة الإسلامية فكرة الدليل الصابر الكريم ، مفسر جميع الأسئلة والشكوك (ويقوم بهذا الدور فرجيل وبياتريس مع دانتى وجبريل مع محمد) ، كذلك المسائل الدقيقة الكثيرة المتصلة بعلم الكون ، واللون المحلي الخاص لأقوال آله الجحيم بلوتونونرود أو نيمروتي تلك الأقوال الغربية التي تعيد إلى الذاكرة بعض العبارات العربية الواردة في النصوص اللاتينية لكتاب المعراج . ولكن دعنا الآن نواجه السيل الدافق من المشابهات بين دانتى وكتاب المعراج . ان شيرولي عندما يستعرض أكثر هذه المشابهات اتصالاً بموضوع البحث لا يغيب عنه أن يؤكد أهمية كل منها ، ليس على حدة وانفصال ، بل كجزء متحد بالمصادر الأخرى العديدة للإلهام التي كانت قريبة المنال لدانتى ومألوفة بالنسبة الى ثقافته وخياله : ومنها المصادر الكلاسيكية الاغريقية اللاتينية ، والتوراة والإنجيل والمصادر المسيحية ، وهي مصادر ساهمت في تكوينه الروحي (ذلك لأن أي اطلاع خاص من قبله على أمور العالم العربي الإسلامي هو ، كما رأينا ، مجرد افتراض ووهم) ، تلك المصادر التي

كان بالإمكان في كثير من الأحيان أن توفر لدانتي الإلهام نفسه الذي يوفره له كتاب المعراج لتزويده بتفاصيل رؤياه . وهذه هي الحال مع نسر جوبتر الذي صورّه دانتي ، حيث يمكن توحيد المصادر الكلاسيكية ومصادر التوراة المعروفة ودمجها بالصورة الإسلامية للملك الذي يتخذ شكل ديك كبير ويقف على الأرض السابعة ، ولكنه يرفع رأسه عاليًا حتى يداني عرش الآلهة وينشد مسجماً بحمده ومجده ^(١) . وكذلك فمن الواضح أن السلم الإلهي الذي يستخدمه الآلهة (Saturn) ، ذلك المرتقى الذهبي اللون ، قد استوحى في المقام الأول من سلم يعقوب الوارد ذكره في التوراة ، ولكن هذا لا يستبعد الإلهام الجزئي من معراج محمد الممتد من القدس إلى الفردوس الذي أعطى كتاب المعراج اسمه . وهكذا فيما يتعلق بالمحاكاة على الجسر الدقيق المسمى بالسراط ، القائم أمام الفردوس ومن تحته الجحيم تفرغ فاما ، فهي تبدو في نظر شيرولي مماثلة للمحاكاة بالنار التي يتعرض لها دانتي لبلوغ الفردوس الأرضي ، هذا الفردوس الذي تبدو الدوافع الإسلامية لوصفه وصفاً أقرب إلى الحس وأكثر إيجاء ، رغم أنه ينبغي أن لا ننسى الدور الذي تلعبه في هذا الإيجاء أساطير التوراة عن جنة عدن ، والأسطورة الكلاسيكية عن حالة البشرية البدائية البريئة المباركة التي يشير إليها دانتي بقوله :

لعل الذين أعلنوا في غابر الأزمنة في أناشيدهم

قيام العصر الذهبي والرغد الذي يسوده

إنما حملوا بذلك المكان على جبل « بارناسوس »

ان دانتي نفسه ليلفت انتباهنا في هذه الأبيات من الشعر إلى الصور السامية التي كانت تسبح أمام خياله السامي عندما أبدع بمقاطعه الشعرية الثلاثية الخالدة الغاية الإلهية كثيفة وناضجة بالحياة ؛ ومع ذلك فالمرء لا يستطيع أبث ينكر

(١) - ليس في الإسلام نص في هذا . (لجنة الترجمة)

إنكاراً تاماً ما حصل عليه شاعرنا من إلهام في عمله الابداعي من ذكريات (فردوس المباح) ، في كتاب المعراج وما فيه من ملذات هادئة ، لكنها صيبانية ، وبنوع مزدوج يتحول في قصيدة داني الى نهري « ليث » و « يونوي » ، وحادث وصول زمرة جديدة من أرواح البشر والعرائس اللاتي كن في انتظار هذه الأرواح بحب وشفقة . ولكن حتى في هذه الحالة فإن إمكانية وجود العنصر الاسلامي متحداً بعناصر أخرى كثيرة ، أعظم منه حيوية ورسوخاً في ذهن الشاعر ، أمر يجب أن لا يبالغ فيه الى حد يتعارض مع ما يلميه العقل أو يتعدى حد الاحتمال ، ويجب تبعاً لذلك أن لا يطالب إلينا باعتباره مصدراً رئيسياً وموجهاً للإلهام . وإنما لتسأل : ترى هل كان على داني أن يقرأ في كتاب المعراج عن حور محمد ليحلم أنه رأى من جديد في مجد الفردوس الأرضي يياتريس ، تلك التي كانت أسمى تجربة روحية في شبابه والنجم القطبي لحياته ؟ وهكذا يمشي في رأسه سريراً خفيفاً بهذا الخضم الواسع من التشابهات ، (لا بسبب السطحية ، بل لدقة وروعة المعالجة) مختبراً كلاً منها ازاء مبدئه الأصامي ، وهو ما نردده هنا مرة أخرى ، الاعتراف باحتمال امتزاج الدافع الاسلامي مع عدد كبير من المصادر الأخرى التي كان لها دوماً المكان الاول في ذهن داني وروحه ، حتى ولو انه من الثابت تقريباً أن داني اطلع على كتاب المعراج ، ذلك النص الوحيد الذي فتح أمامه الباب المؤدي الى عالم آخر ، لولا ذلك لبقى غريباً عن روحه ، وغريباً عن القيم الأصامية لنفسه اللاتينية المسيحية ومناقضاً لها .

وهكذا فاننا عندما نحكم ، في تحليلنا النهائي ، على الصلة القائمة بين داني وكتاب المعراج أو أي عنصر آخر من عناصر فلسفة الحشر والنشر الاسلامية يمكن أن يكون قد اتصل بالشاعر بوسيلة من الوسائل [وهنا أفكر بصورة خاصة بالمواضيع الجدلية لمجموعة طليطلة (Collectio Toletana)] يجب أن

لا ننسى ما يجزم به شيرولي في صفحاته الأخيرة التي تمتاز بروعة خاصة ، ألا وهو أن دوافع الاطام والتفاصيل الروائية التي يمكن إرجاعها إلى مصادر عربية قد دخلت الكوميديا كجزء من بناء أوحى به كله مصدر آخر ، مختلف عنه ، ولكنه مثالي وفريد في نوعه ، ألا وهو المصدر المسيحي . ويوضح لنا شيرولي من هذا الاختلاف الأساسي في الروح ، هذا الاختلاف الذي يتميز تقريره والاعتراف به بما كان لييضة كولمبس من طبيعة الوضوح الكامل والفعالية في حل المشاكل ، ناحية واحدة فقط نجعلها في الأمور التالية وهي : الأهمية المطلقة للإيمان في عقيدة الخلاص الإسلامية والأعمال كوسيلة للخلاص عند دانتي وفي المسيحية ، وتقرير أهمية البر والحجة في العقيدة المسيحية كنعويض لمشيئة الله التصفية^(١) التي لا تقبل الجدل أو الاعتراض في الإسلام ، واختلاف قيمة الصلاة بين الطقوس الإسلامية الإلزامية المضنية^(٢) من جهة وقوة الحجة الحية التي تفعل فعلها مع العدالة الإلهية في الصلاة المسيحية . فليس باستطاعتنا إذن أن نتحدث عن نموذج وتقليد ، حتى ولو سلمنا باحتمال الانتقال المادي لصور وفكر معينة ، ولا عن مجرد إضفاء الصبغة الروحية في حين يختلف الاطام الأساسي والموقف الأساسي اختلافاً جذرياً . ولذلك فإن المحرر الإيطالي لكتاب المعراج يستنتج أن القصيدة المقدسة لا يمكن مقارنتها بجامع قرطبة ، المكرس الآن لمذهب يختلف عن المذهب الذي أنشئ هذا البناء الرائع في صيبله ، ولكن لكي تقدم مثلاً هندسياً أكثر ملاءمة لعلاقة دانتي بالعالم العربي ، يجدر بنا أن نلجأ إلى ذلك العمود العربي الإسباني ، المنقوش عليه اسم صانعه المسلم والقائم في بناء مسيحي خالص ، من الوجهتين التاريخية والفنية وفي مجموعه وجميع تفاصيله ،

(١) ليس في الإسلام مشيئة تصفية ، ولا إكراه ولا إزام ، بل في القرآن الكريم

« لا إكراه في الدين » وفيه « لكم دينكم ولي دين » . (لجنة الترجمة)

(٢) ليس في العبادة الإسلامية طقوس . والصلاة المفروضة لا تحتمل أكثر من خمس

دقائق ، وأما القداس الكنسي ففيه طقوس وأزياء مختلفة معروفة . (لجنة الترجمة)

ونعني به كاندراية بيزا ، حيث مازال العمود المذكور يشهد بنف مجيد آخر بعد أن أخذ عرضاً ونتيجةً لحادث معين خاص واستخدم في إعطاء شكل رسمي ظاهري لمثل أعلى يختلف عنه في الناحية الدينية ، والشكل الظاهري .

إن أحدث دراسة شاملة للمشكلة القديمة التي أثارها آسين لأول مرة وأعيدت دراستها الآن على ضوء أحدث اكتشاف في الموضوع يؤدي بنا الى النقطة التالية : وهي كما أسلفنا أن العالمين اللذين ترجمنا كتاب المعراج هما أبعد ما يكونان عن الاتفاق في النتائج التي توصلنا إليها وفي أسلوب استخدامها لترجمتها . أما تقرير أي الاثنين يجب أن نتبع في موقفه واتجاهه (ويبدو من نافذة القول أن أذكر هنا أباً من المترجمين الاثنين يعتبره كاتب هذه الأسطر مصيباً) فهذا يتوقف على إدراك الناقد الفرد وخاصة الحكم الصحيح على الأمور عنده ، معززين ، كما يجوز لنا أن نضيف ، بالاطلاع المباشر على إنتاج دانتى وتفكيره وفنه ، وهو اطلاع كان آسين العظيم يتمتع به ولا ريب ، بخلاف بعض الذين رجعوا إلى كتابه . ولكننا نرى أنه ، حتى في نتائجها المتعارضة صار محررا المعراج الذي نقل إلى الغرب بفضل الملك الفونسو شوطاً كبيراً من الطریق مترافقين ، والحقيقة هي أن هذا الجزء المشترك من الطریق الذي تكلفه حقائق إيجابية لا يشوبها أي خلاف في التفسير ، هو الذي بدلنا على مدى النصر الذي أحرزه آسين بعد وفاته .

إن أستاذ مدربد الذي وقف وحده في وجه عدم مبالاة الدين بأبواب التصديق وعدائهم ، أكد أن المعتقدات الإصلامية المتعلقة بفلسفة الحشر والنشر والتي جمعها وحلها وانتقاها من أكثر مجالات الأدب العربي تباعداً - التقليدي منها واللاهوتي ، والصوفي والتهذيبي ، والعلي والشعبي - لم تكن تلك المعتقدات تخفي وراء ستار حدبدي قوامه اللغة والحضارة عن عالم الغرب اللاتيني ووجه للفضول والاستطلاع . وقد نبتع آسين الى أبعد الحدود المعروفة آنذاك وأقصاها

تسرب هذا التراث الشرقي إلى العالم اللاتيني ، وبعد أن صدّ بدافع من الإيمان الخدمي جميع الفجوات التي واجهته رأى هذا التراث يزدهر في كثير من الأحيان بمائتات ومشايات مدهشة في (ملحمة دانتي الملهمه) ، وهي أعظم ما وصل إليه الإنتاج الفني للعصور الوسطى المسيحية . وبدا هذا التسرب الذي تتبعه آسين مائتاً لجري الفيوس الأسطوري ، اذ اختفى في أعماق أرض اسبانيا ليظهر مجدداً في إيطاليا بعد انقضاء فترة من الزمن وقد اكتسب شكلاً خالداً في شعر دانتي . وكان بكتنف مجرى هذا الجدول في باطنه غموض شديد زاد فيه أن المرء لم يكن يعرف أي المصادر المتعددة التي استقصاها آسين هو الذي وصل بالطريق المجهولة إلى الهدف غير المرتقب . أما الآن فقد اتضحت المشكلة وتبسطت في آن واحد . فتملك النصوص العميقة الغور وغير المترجمة من الأدب العربي العالي ، كمؤلفات أبي العلاء المعري وابن عربي وما مثلها لم تسترع انتباه دانتي بطريق مباشرة ؛ ولكنه من المحتمل أن يكون إنتاج من الأدب العربي الشعبي ، تلذ مطالعه وله طابع تهندي ، قد وصل إلى دانتي ووقع تحت بصره وعينه ؛ ذلك لأنه من المؤكد أن ذلك الإنتاج (وهو كتاب المعراج) قد وصل إلى البيئة التي كان يعيش فيها دانتي وانتشر في الجو الثقافي الذي كان يستنشقه هو ، وهو أمر ثبت لدينا بعد نشر ترجمات الكتاب اللاتينية التي سبق لنا ذكرها ، والتي يرجع الفضل في وجودها الأول إلى ماتحلي به ملك اسبانيا الفونسو من حب استطلاع مبدع خلاق . وبهذه الوسائل ، وربما وحدها ، نستطيع أن نتحدث عن اتصال مباشر ، ، لولا ذلك ما كان ليخطر ببال ، بين ثقافة دانتي (وأعني بها ثقافة الشاعر وثقافة مجتمعه) وبين المجموعة العظيمة من المواد العربية التي جمعها آسين ، تلك المجموعة التي كان اتساعها وتنوعها عائقاً في طريق قبول نظريته . وخلاصة القول فقد ثبت الآن وجود هذا الاتصال غير المباشر بصورة واضحة المعالم . وإلى هذا الحد وبموجب هذه الشروط ،

يبدو حدس آسبن لنا جميعاً في الوقت الحاضر ثابتاً ساطع النور . أما إذا تعدينا هذا الحد فس نجد آراء متعددة مختلفة فيما يتعلق بكيفية تفسير المختصين بدراسة داتي للحقائق التي تم إثباتها ؛ وكما رأينا ، فهناك من يرى أن الاتصال الذي تم إيضاح طريقه ، يثبت الدور الرئيسي الحاسم الذي يقول آسبن إن فلسفة الحشر والنشر الإسلامية قد لعبته في خلق أعظم قصيدة مسيحية . ولكن هناك من جهة أخرى أولئك الذين ، بنتيجة التمهيد والتدقيق والمقارنة الماهرة ، يعتبرون بوجود اقتراحات وإيجاعات ، طابعها التعميم ، وصور ودوافع رافدة ، طابعها التخصيص ، دخلت جميعاً في روحانية وثقافة وخيال ، ليست سامية ومتفوقة فحسب ، بل ومختلفة عن تلك الاقتراحات والدوافع والصور اختلافاً تاماً جذرياً .

ومهما يكن من شيء ، فلنقبل الأمور التي تتفق حولها بدلاً من التثبيت بالأمور التي تختلف عليها . ولترحب باكتشاف هذه القطعة الجديدة من شبكة الثقافة الدولية للقرون الوسطى ، تلك الشبكة التي تميزت بالمتانة والصلابة والمرونة ولم تعرف الأستار الحديدية (وهذا القول ينجلنا ويبحث على الاضطراب عندنا نحن أبناء هذا العصر) ، بل اجتازت أبعد المسافات وأعظم الحواجز المادية والروحية (بفضل التعاون بين القوي الفكرية) مما تحسدها عليه منظمة اليونسكو في يومنا هذا ، وذلك بعد أن سلطت على القطعة المذكورة أنوار انبعثت عن جهود قام به في آن واحد عالمان أحدهما اسباني والثاني ايطالي . ولنفكر مرة أخرى هنيهة من الزمن في هذه السلسلة السحرية : كتاب المعراج العربي ، ملك اسباني ، طبيب يهودي ، ومسجل عقود ايطالي ٠٠٠ ، وفي الصور الخيالية للآخرة التي ازدهرت بصورة غامضة في قلب شبه جزيرة العرب ، وقد أحاطت بالبحر الأبيض المتوسط ونفذت الى لغة تسكانية العذبة ووصلت أرض فلورنسة

فأصحت في إخصاب التربة التي أنتجت زهرة الكوميديا الإلهية السامية ،
 هذه القصيدة المقدسة التي أحاطتها بد الأرض والسماء ، ونكرر القول هنا
 اننا نقصد أرض الحضارة المسيحية وسماءها ، ولكنها سماء لا تخلو من انعكاسات
 من السماء المرصعة بالنجوم ، التي حلق فيها البراق المجهول الغامض في ليلة الإسراء
 المقدسة عند المسلمين ، ومن أرض الإسلام وخاصة أرض اسبانيا حيث التقت
 حضارتان وتمازجتا في اتحاد عجيب ، وحيث أدرك بالحدس القوي النفاذ ، عالم
 محب للعزلة ، قبل خمس وثلاثين سنة ، انتقالاً أديباً رائعاً ، ثبت وجوده الآن
 بالوثائق المحسومة القاطعة .

فرانسكو غابريلي

ترجمة : موسى الخوري



العقل والنقل عند الإمام ابن تيمية^(١)

- ٢ -

من خالف صحيح المنقول فقد خالف صريح المعقول
إن كل من أثبت ما أثبتته الرسول ، ونفى ما نفاه كان أولى بالمعقول الصريح ،
كما كان أولى بالمنقول الصحيح ، وإن من خالف صحيح المنقول ، فقد خالف
أيضاً صريح المعقول ، وكان أولى بمن قال الله فيه : « وقالوا لو كنا نسمع
أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » .

أنزل القرآن بلغة العرب لا بلسان الاصطلاح

(ص ٦٣) أرسل الله الرسول بلسان قومه - وهم قريش خاصة ، ثم العرب عامة ،
لم ينزل القرآن بلغة من قال الأجسام متماثلة حتى يحمل القرآن على لغة هؤلاء ،
هذا لو كان ما قالوه صحيحاً في العقل ، فكيف وهو باطل في العقل ؟
(ص ١٩٤) والقرآن نزل بلغة الذين خاطبهم الرسول (ﷺ) ، فليس
لأحد أن يستعمل ألفاظه في معان بنوع من التشبيه والاستعارة ، ثم يحمل
كلام من تقدمه على هذا الوضع الذي أحدثه هو .

ما المراد بالعالم

(ص ٦٨) المراد بالعالم في الاصطلاح هو كل ما سوى الله . فإن هذه
العبارة لها معنى في الظاهر المعروف عند عامة الناس أهل الملل وغيرهم ، ولها
معنى في عرف المتكلمين ، وقد أحدث الملاحدة لها معنى ثالثاً . (فالمعنى الأول)

(١) نشر التسم الأول في (المجلد ٣٢ ، الجزء ٣ ، الصفحة ٤٩٢) .

ان الله وحده القديم الأزلي ، وهذا المعنى هو المعروف عن الأنبياء وأتباع الأنبياء . (والمعنى الثاني) أن يقال لم يزل الله لا يفعل شيئاً ، ولا يتكلم بشيئته ، ثم حدثت الحوادث من غير سبب يقضي ذلك مثل أن يقال : ان كونه لم يزل متكاملاً بشيئته أو فاعلاً بشيئته ، بل لم يزل قادراً (هو ممتنع) وانه يمتنع وجود حوادث لا أول لها ، فهذا المعنى هو الذي يعنيه أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن اتبعهم بحدوث العالم ، وقد يحكونه عن أهل المال ، وهو بهذا المعنى لا يوجد في القرآن ، ولا غيره من كتب الأنبياء . (والمعنى الثالث) الذي أحدثه الملاحدة كابن سينا (٤٢٨ هـ) وأمثاله ، قالوا : نقول : العالم مُحدث ، أي معلول لعلة قديمة أزلية ، أوجبه فلم يزل معها ، وسموا هذا : الحدوث الذاتي ، وغيره : الحدوث الزماني . والتعبير بلفظ الحدوث عن هذا المعنى لا يعرف عن أحد من أهل اللغات لا العرب ولا غيرهم ، إلا من هؤلاء الذين ابتدعوا لهذا اللفظ هذا المعنى . والقول بأن العالم مُحدث بهذا المعنى فقط ، ليس قول أحد من الأنبياء ولا أتباعهم ، ولا أمة من الأمم العظيمة ، ولا طائفة من الطوائف المشهورة .

(ص ٧١) وإن قال الملحد : بل هذا العالم المشهود قديم ، واجب بنفسه غني عن الصانع ، فقد أثبت واجباً بنفسه قديماً أزلياً هو جسم حامل الأعراض ، متميز في الجهات ، تقوم به الأكوان وتحمله الحوادث والحركات ، وله أبعاد وأجزاء ، فكان ما فرغ منه من إثبات جسم قديم قد لزمه مثله وما هو أبعد منه ، ولم يستفد بذلك الإنكار إلا جحد الخالق ، وتكذيب رسله ، ومخالفة صريح العقول ، والضلال المبين .

حدوث العالم

(ص ٧٣) إن مسألة حدوث العالم اختلفت بها أكابر النظار من المسلمين وغير المسلمين ، حتى أن مومى بن ميمون (أبو عمران) صاحب (دلالة الخائرين)

(سنة ٦٠١هـ - ١٢٠٤م) - وهو في اليهود كأبي حامد الغزالي (سنة ٥٠٦هـ) في المسلمين - يمزج الأقوال النبوية بالأقوال الفلسفية ويتأولها عليها ، حتى الرازي (سنة ٦٠٦هـ) وغيره من أعيان النظائر اعترفوا بأن العلم يحدث العالم لا ينوقف على الأدلة العقلية ، بل يمكن معرفة صدق الرسول قبل العلم بهذه المسألة .

قيام الصفات بالموصوفات

(ص ١٧٨) المقول هو قيام الصفات بالموصوفات ، والأعراض بالجواهر ، كالصورة الصناعية مثل صورة الخاتم والدرهم والسرير والثوب ، فانه عرض قائم بجوهر هو الفضة والخشب والفزل ، وكذلك الاتصال والانفصال قائمان بمحل هو الجسم .

(ص ١٤) وليست الصفات خارجة عن مسمى الموصوف ، ولا زائدة على ذلك ، بل هي داخلية في مسمى اسمه . وكلام المتكلم ليس بباطن عنه . (ص ٢٠) وأما الصفات الملازمة للموصوف في الخارج فكما لازمة له ، لا تقوم ذاته مع عدم شيء عنها .

(ص ١٧٨) والخالق تعالى أولى أن تكون حقيقته هي وجوده الثابت الذي لا يشركه فيه أحد ، وهو نفس ماهيته التي هي حقيقته الثابتة في نفس الأمر . ولو قدر ان الوجود المشترك بين الواجب والممكن موجود فيهما في الخارج ، وان الحيوانية المشتركة هي بعينها في الناطق والأعجم ، كان يميز أحدهما عن الآخر بوجود خاص ، كما يتميز الإنسان بحيوانية تخصه . كما أن السواد والبياض إذا اشتركا في مسمى اللون يتميز أحدهما بلونه الخاص عن الآخر .

الموجود بنفسه والموجود بغيره

(ص ١٩٦) فالله تعالى هو الموجود الواجب بنفسه خالق لكل ما سواه ، وأما الهيئة الاجتماعية إن قدر لها وجود في الخارج فهي حاصلة به أيضاً سبحانه

وتعالى . وأما المجموع الذي كل منهم مفتقر إلى من يبدعه ، وليس فيه موجود بنفسه ، فينتج أن يكون فاعلهم واحداً منهم ، لأنه لا بد له من فاعل ، ولو كان فاعلهم لكان فاعل نفسه وغيره من الممكنات .

كل موجود فإما موجود بنفسه وإما موجود بغيره ، والموجود بغيره لا يوجد إلا بالموجود بنفسه ، ثبت وجود الموجود بنفسه ، وإذا سمي هذا واجباً وهذا ممكناً ، كان ذلك أمراً لفظياً .

الذات مستلزمة للصفات

وأكثر العقلاء من طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون الجوهر الفرد ، حتى الطوائف الكبار من أهل الكلام ، وأئمة أهل السنة والحديث من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم يثبتون الصفات الخبئية . هناك ذات موصوفة بصفات لازمة له . فإذا قال القائل : كل موصوف بصفات لازمة له يفتقر إلى مركب ومؤلف ، يجمع بين الذات والصفات كان قوله باطلاً . وإن هنا ذاتاً موصوفة بصفات ، ولا دليل لك على أن الذات القديمة الواجبة المستلزمة للصفات مفتقرة إلى من يركب صفاتها فيها . فقد علمت أنه ليس المراد بالمركب إلا انصاف الذات بصفات لازمة لها ، أو وجود معان فيها ، أو اجتماع معان وأمور ونحو ذلك ؛ ليس المراد أن هناك مركباً ركبه غيره ، حتى يقال : إن المركب يحتاج إلى مركب ، بل إن الذات ، إن أريد بها الذات الموجودة في الخارج ، فتلك مستلزمة لصفاتها ، يمنع وجودها بدون تلك الصفات .

موافقة المعقولات للسمعيات

(ص ٢١٤) إن هذه المعقولات التي اضطرب فيها أكبر النظار وهي عندهم أصول العلم الإلهي ، إذا حققت غاية التحقيق تبين أنها موافقة لما قاله أئمة السنة والحديث ، العارفون بما جاءت به الرسل ، وتبين أن خلاصة المعقول خادمة

ومعينة وشاهدة لما جاء به الرسول (ﷺ) . ونحن - والله الحمد - قد بينا
الجواب عن جميع حجج الفلاسفة في غير هذا الموضع ، وبسطنا الحجج
في ذلك .

(ص ٢١٧) وهذا مما تبين به أنه ليس في العقل الصريح ما يخالف النصوص
الثابتة عن الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم وهو المقصود ، والذين يعارضون
الكتاب والسنة بما يزعمون أنه من العقليات القاطعة ، إنما يعارضونه بمثل هذه
الحجج الداحضة ، فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع
دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه ، ولا وفي بواجب العلم والإيمان . وكل
من جحد القضايا الضرورية المستقرة في عقول بني آدم التي لم ينقلها بعضهم عن
بعض كان سوفسطائياً (١) .

المعقول ، مطابق لما جاء به الرسول

(ص ٢٣٢) وهؤلاء أهل الكلام المخالفون للكتاب والسنة الذين ذمهم
السلف والأئمة ، لا قاموا بكمال الإيمان ، ولا بكمال الجهاد ، بل أخذوا يناظرون
أقواماً من الكفار وأهل البدع الذين هم أبعد عن السنة منهم بطريق لا يتم
إلا برذ بعض ما جاء به الرسول وهي لا تقطع أولئك الكفار بالمعقول ، فلا
آمنوا بما جاء به الرسول حق الإيمان ، ولا جاهدوا الكفار حق الجهاد .
(ص ٢٣٢) وتبين أن المعقول الصريح مطابق لما جاء به الرسول لا يناقضه
ولا يعارضه ، وأنه بذلك تبطل حجج الملاحدة ، وينقطع الكفار ، فنحصل
مطابقة العقل للسمع ، وانتصار أهل العلم والإيمان ، على أهل الضلال والإلحاد .
وقد كنت قديماً ذكرت في بعض كلامي أنني تدبرت عامة ما يحتاج به النفاة

(١) السوفسطائية أنكروا كلام من الحسيات والبدهييات فقالوا بعدم الجزم في كل
منها . وسوفاً معناه : العلم والحكمة ، و « أسطاً » معناه المزخرف والفلط ،
ومنه اشتقت السفسطة ، كما اشتقت الفللفة من فيلاسوف : أي عب الحكمة .

من النصوص فوجدتها على تقيض قولهم أدلّ منها على قولهم كاحتجاجهم على نفي الرؤية بقوله تعالى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » فبينت أن الإدراك هو الاحاطة لا الرؤية ، وأن هذه الآية تدلّ على إثبات الرؤية أعظم من دلالتها على نفيها .

إثبات الصانع وإحداثه للمحدثات لا يمكن إلا بإثبات صفاته وأفعاله ، وإذا تدبّر العاقل الفاضل تبين له أن إثبات الصانع وإحداثه للمحدثات ، لا يمكن إلا بإثبات صفاته وأفعاله ، ولا تنقطع الدهرية^(١) من الفلاسفة وغيرهم قطعاً باتّناً عقلياً لا صلة فيه إلا على طريقة السلف أهل الإثبات ، للأسماء والأفعال والصفات . ففحول أهل الكلام كأبي علي (سنة ٣٠٣ هـ) وأبي هاشم (٣٢١ هـ) والقاضي عبد الجبار (سنة ٤٥١ هـ) وأبي الحسن الأشعري (سنة ٣٢٣ هـ) والقاضي أبي بكر (سنة ٤٠٣ هـ) وأبي الحسين البصري (سنة ٤٣٦ هـ) ومحمد بن الهيثم وأبي المعالي الجويني (سنة ٤٧٨ هـ) ، وأبي الوفاء بن عقيل (سنة ٥١٥ هـ) وأبي حامد الغزالي (سنة ٥٠٦ هـ) وغيرهم يبطلون طرق الفلاسفة التي بنوا عليها النفي ، منهم من يبطل أصولهم المنطقية ، وتقسيمهم الصفات إلى ذاتي وعرضي وتقسيمهم العرضي إلى لازم للماهية وعارض لها ، ودعواهم أن الصفات اللازمة للموصوف منها ما هو ذاتي داخل في الماهية ومنها ما هو عرضي خارج عن الماهية ، وبناءهم توحيد واجب الوجود الذي مضمونه نفي الصفات على هذه الأصول . (ص ٢٥٩) وبعض حذاق المعتزلة نصر القول بما لو الله ومباينته لخلقته بالأدلة العقلية ، وأظنه من أصحاب أبي الحسين ، وقد حكى ابن رشد (سنة ٥٩٥ هـ) ذلك عن أئمة الفلاسفة ، وأبو البركات وغيره من الفلاسفة يجتازون قيام الحوادث به كإرادات وعلوم متعاقبة ، وقد ذكروا ذلك وما هو أبلغ منه عن متقدمي الفلاسفة كما ذكرت أقوالهم .

(١) الدهرية : هم المنكرون للبعث والمعاد ، الفائلون : « وما يهلكنا إلا الدهر » أي إلا « تمرّ الليالي والأيام » .

(ج ٣ ص ٦٨) إن الاستدلال بحدوث المحدثات على إثبات الصانع هي طريقة فطرية ضرورية ، وهي خيار ما عندهم ، بل ليس عندهم طريقة صحيحة غيرها ، لكنهم أدخلوا فيها من الاختلال والفساد ، ما يعرفه أهل التحقيق والانتقاد ، الذين آتاهم الله الهدى والساد .

تكليم الله تعالى لعباده

الناس متنازعون في تكليم الله لعباده ، هل هو مجرد إدراك لهم من غير تجديد تكليم من جهته ، أم لا بد من تجديد تكليم من جهته ، ؟ على قولين للمنتسبين إلى السنة وغيرهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم ، فالأول قول الكلائية^(١) والسالمية ومن وافقهم من أصحاب هؤلاء الأئمة الفاضلين بأن الكلام لا يتعلق بمشيتته وقدرته ، بل هو بمنزلة الحياة . والثاني قول الأكثرين من أهل الحديث والسنة ، من أصحاب هؤلاء الأئمة ، وغيرهم وهو قول أكثر أهل الكلام من المرجئة^(٢) والكرامية^(٣) والمعتزلة وغيرهم ، قالوا : ونصوص الكتاب والسنة تدل على هذا القول ، ولهذا فرق الله بين إيحائه وتكليمه كما ذكر في سورة النساء وسورة الشورى ، والأحاديث التي جاءت بأنه يكلم عباده يوم القيامة ويحاسبهم .

الحوادث والمتجددات

(ج ٤ ص ١٧) ذكر (أي الآمدي) (سنة ٦٣١ هـ) أن لفظ الحادث مرادهم به الموجود بعد العدم ، سواء أكان قائماً بنفسه كالجوهري ، أو صفة لغيره

- (١) قال ابن كلاب ومن وافقه : كلامه تعالى صفة ذات ، لازم لذاته كلزوم الحياة ، ليس هو متعلفاً بمشيتته وقدرته ، بل هو قديم كقدم الحياة .
- (٢) لقبوا بالمرجئة لأنهم يرجئون العمل عن النية والاعتقاد ، أي يؤخرون ، أو لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان مصيبة ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة .
- (٣) نسب الفرقة الكرامية إلى محمد بن كرام (كجئال) وفسد نسب إليه أنه كان يقول : إن الإيمان قول بلا عمل (مات سنة ٢٥٥ هـ) .

كأعراض ، وسمي ما ليس بوجود كالأحوال والسلوب والاضافات (متجددات) وهذا الفرق أمر اصطلاحي ، وإلا فلا فرق بين معنى المتجدد ومعنى الحادث .
(ص ١٨) وأما المذاهب فيقال : لفظ الحوادث والمتجددات في لغة العرب يتناول أشياء كثيرة ، وربما أفهم أو أوهم في العرف استحالات كالأعراض والغموم والأحزان ونحوها ، إذا قيل فلان حدث به حادث ؛ وكثير منهم يعبر بالأحداث عن المعاصي والذنوب ونحو ذلك .

صدورها عن لا فعل له ولا صفة محال

(ص ١٠) فقولكم - (أي الفلاسفة والدهرية) - بصدور الحوادث المختلفة الدائمة عن لا فعل له ولا صفة ولا يحدث منه شيء أعظم فساداً من قول من يقول : انه تارة تصدر منه الحوادث ، وتارة لا تصدر ، فإنه إن كان صدور الحوادث عنه من غير حدوث شيء فيه محالاً ، فصدورها دائماً عنه من غير حدوث شيء فيه أشد استحالة .

نفاة الصفات لا مستند لهم

(ج ٤ ص ١٨) ومن المعلوم أنه لا يمكن أصلاً أن ينقل عن محمد (ﷺ) ولا عن إخوانه المرسلين كموسى وعيسى صلوات الله عليهما ما يدل على قول النفاة لانصاً ولا ظاهراً ، بل الكتب الإلهية المتواترة عنهم والأحاديث المتواترة عنهم تدل على نقيض قول النفاة ، وتوافق قول أهل الإثبات ، وكذلك أصحاب رسول الله (ﷺ) والتابعون لهم بإحسان ، وأئمة المسلمين أرباب المذاهب المشهورة ، وشيوخ المسلمين المتقدمون ، لا يمكن لأحد أن ينقل نقلاً صحيحاً عن أحد منهم بما يوافق قول النفاة ، بل المنقول المستفيض عنهم يوافق قول أهل الإثبات . فنقل مثل هذا عن أهل الملة خطأ ظاهراً ، ولكن أهل الكلام والنظر من أهل الملة ، تنازعوا في هذا الأصل لما حدث في أهل الملة مذهب

الجهمية نفاة الصفات ، وذلك بعد المائة الأولى في أواخر عصر التابعين ، ولم يكن قبل هذا يعرف من أهل الملة من يقول بنفي الصفات ، ولا بنفي الأمور الاختيارية القائمة بذاته تعالى .

(ص ٦٥) وحقيقة هؤلاء الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الأشعرية وغيرهم ، أن الرب لم يزل معطلا ، لا يفعل شيئا ولا يتكلم بمشيئته وقدرته . ثم انه أبدع جواهر من غير فعل يقوم به ، وبعد ذلك ما بقي يخلق شيئا ، بل انما تحدث صفات تقوم بها ، وبدعوا أن هذا قول أهل الملل الأنبيا وأتباعهم !!

اضطرابهم في مسمى واجب الوجود

(ص ١٨٧) واعلم أن هؤلاء غلطوا في مسمى واجب الوجود ، وفيما يقتضيه الدليل من ذلك حتى صاروا في طرفي تقيض ، فتارة يثبتونه ويجردونه عن الصفات حتى يجعلوه وجوداً مطلقاً ، ثم يقولون : هو الوجود الذي في الموجودات ، فيجعلون وجود كل ممكن وحادث هو الوجود الواجب بنفسه ، كما يفعل ذلك محقق صوفيتهم كابن عربي (سنة ٦٣٨ هـ) ، وابن سبعين (سنة ٦٦٨ هـ) ، والقونوي (سنة ٧٢٩ هـ) ، والتلمساني (سنة ٦٩٠ هـ) وأمثالهم ؛ وتارة يشككون في نفس الوجود الواجب ، ويقدرّون أن يكون كل موجود ممكناً بنفسه ، لا فاعل له ، وأن مجموع الوجود ليس فيه واجب بنفسه ، بل هذا معلول مفعول ، وهذا معلول مفعول ، وليس في الوجود إلا ما هو معلول مفعول ، فلا يكون في الوجود ما هو فاعل مستغن عن غيره ، فتارة يجعلون كل موجود واجباً بنفسه ، وتارة يجعلون كل موجود ممكناً بنفسه ، ومعلوم بضرورة العقل بطلان كل من القسمين ، وإن من الموجودات ما هو حادث ، كان تارة موجوداً وتارة معدوماً ، وهذا لا يكون واجباً بنفسه ، وهذا لا بد له من موجود واجب بنفسه . . . وأن يكون ما دخل في مسمى نفسه من صفاته لازماً له ، فانصافه بصفاته سواء بجسمي ذلك تركيباً أو لم يتسم ، لا يمتنع أن يكون واجباً بنفسه لا يفتقر إلى

أمر خارج عنه ، ولهذا كانت صفاته واجبة الوجود بهذا الاعتبار ، وإن لزم من ذلك تعدد واجب الوجود بهذا المعنى ، بخلاف ما إذا عني به أنه الموجود الفاعل للممكنات ، فإن هذا واحد سبحانه لا شريك له .

(ص ٢٤٨) والمسلمون متفقون على أن الله سبحانه وتعالى ، وصفاته اللازمة

لذاته ، لا يجوز عليها العدم .

(ص ١٩٤) وعامة ما يلبس به هؤلاء النفاة ألفاظ مجملة متشابهة ، إذا فسرت

معانيها ، وفصل بين ما هو حق منها ، وبين ما هو باطل ، زالت الشبهة وتبين

أن الحق الذي لا محيد عنه ، هو قول أهل الإثبات للمعاني والصفات .

إن من شك في أوضاع الأمرين وأبينها في العقل ، وفي أمر لم يشك

أحد من الأولين والآخرين فيه ، كان أولى بالجهل ممن قال ما قالت به الأنبياء

والرسل وأتباعهم وصائر عقلاء بني آدم من الأولين والآخرين ، وعلم ثبوته

بالبراهين اليقينية ، وذلك أنه لم يجوز أحد من بني آدم ، وجود فاعل للعالم ،

ولذلك الفاعل فاعل ، إلى ما لا نهاية له من غير أن يكون هناك فاعل موجود

بنفسه ، فمن شك في جواز هذا ، أو عجز عن جواب شبهة مجوزة ، كان جهله

بينا ، وكان أجهل من أخش الناس ، قولاً بالباطل المحض من التشبيه والتجسيم .

لا يؤخذ بلفظ مجمل مشتبه حتى يتبين معناه ، ويعلم المقصود منه

(ص ١٢٩) هؤلاء عمدوا إلى ألفاظ مجملة مشتبهة تحتمل في لغات الأمم

معاني متعددة ، وصاروا يدخلون فيها من المعاني ما ليس هو المفهوم منها في لغات

الأمم ، ثم ركبوها وأنفوها تأليفاً طويلاً بتوا بعضه على بعض وعظّموا قولهم

وهو لوه في نفوس من لم يفهمه ، ولا ريب أن فيه دقةً وعموضاً لما فيه من

الألفاظ المشتركة ، والمعاني المشتبهة . ولهذا يجب على من يريد كشف ضلال

هؤلاء وأمثالهم أن لا يوافقهم على لفظ مجمل حتى يتبين معناه ويعرف مقصوده ،

ويكون الكلام في المعاني العقلية الميئنة ، لا في معاني مشتبهة ، بألفاظ مجملة .

م (٥)

(ص ١٨٠) وما تنازع فيه الأمة من الألفاظ المحمّدة كلفظ التميّيز والجهة والجسم والجوهس والعرض وأمثال ذلك ، فليس على أحد أن يقبل مسحى اسم من هذه الأسماء ، لافي النفي ولا في الإثبات ، حتى يبين له معناه .

فلسفة المعتزلة والجهمية في نفي الصفات والأفعال

(ص ١٨٧) إن المعتزلة والجهمية نفت أن يقوم بالله تعالى صفات وأفعال بناءً على هذه الحجة ، قالوا لا تـ الصفات والأفعال لا تقوم إلا بجسم ، وبذلك استدلوا على حدوث الجسم . . . فصاروا بنفون ما بنفونه من صفات الله تعالى لأن إثبات ذلك يقتضي أن يكون الموصوف جسماً ، وذلك ممنوع ، لأن الدليل على إثبات الصانع إنما هو حدوث الأجسام ، فلو كان جسماً لبطل دليل إثبات الصانع .

وقالت المعتزلة كأبي الحسين وغيره أيضاً : إن صدق الرسول معلوم بالمعجزة ، والمعجزة معلومة بكون الله تعالى لا يظهرها على يد كاذب . . . وغناه معلوم بكونه ليس بجسم ، وكونه ليس بجسم معلوم بنفي الصفات ، فلو قامت به الصفات لكان جسماً ، ولو كان جسماً لم يكن غنياً ، وإذا لم يكن غنياً لم يتنعم عليه فعل القبيح ، فلا يؤمن أن يظهر المعجزة على يد كذاب ، فلا يبقى لنا طريق إلى العلم بصدق الرسول ، فهذا الكلام ونحوه أصل دين المعتزلة .

(ص ١٨٩) وجمهور العقلاء ، وأهل العلم من الفقهاء وغيرهم متفقون على بطلان قولهم ، وأن الله تعالى يحدث الأعيان ويدعها ، وإن كان يجبل الجسم الأول إلى جسم آخر ، فلا يقولون إن جرم النطفة باق في بدن الإنسان ، ولا جرم النواة باق في النخلة ، والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضوع . والمقصود هنا أن هذه القواطع العقلية ، هي التي يمارضون بها الكتب الإلهية ، والنصوص النبوية ، وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها . فيقال لهم : أنتم وكل مسلم عالم ، تعلمون بالاضطرار أن إيمان السابقين الأولين من المهاجرين

والانصار والذين اتبعوهم باحسان ، لم يكن مبنيا على هذه الحجج المبنية على الجسم ، ولا أمر النبي أحداً أن يستدل بذلك على إثبات الصانع ، ولا ذكر الله تعالى في كتابه وفي آياته الدالة عليه وعلى وحدانيته شيئاً من هذه الحجج المبنية على الجسم والعرض ، وتركيب الجسم وحدوثه ، وما يتبع ذلك ، فن قال : إن الايمان بالله ورسوله لا يحصل إلا بهذه الطريق ، كان قوله معلوم الفساد بالاضطرار من دين الاسلام .

وأما السلف والأئمة فينكرون صحتها في نفسها ويعيبونها لاشتغالها على كلام باطل ، ولهذا تكلموا في ذم مثل هذا الكلام ، لأنه باطل في نفسه لا يوصل الى حق بل الى باطل وان تقديم الشرع المعارض لها لا يكون قدحاً في العقليات التي هي أصل الشرع ، بل يكون قدحاً في أمور لا يفتقر الشرع اليها ولا يتوقف عليها وهو المطلوب .

أول من أظهر هذا النفي في الإسلام

وأول من أظهر هذا النفي في الاسلام الجعد بن درهم معلم مروان بن محمد (سنة ١٣٢ هـ) ، قال الامام أحمد : وكان يقال انه من أهل خراسان ، وعنه أخذ الجهم بن صفوان مذهب نفاة الصفات ، وكان بجران هؤلاء النفاة الصابئة الفلاسفة أهل هذا الدين أهل الشرك ونفي الصفات والأفعال ، ولهم مصنفات في دعوة الكواكب ، كما صنفه ثابت بن قررة (سنة ٢٨٨ هـ) وأمثاله من الصابئة الفلاسفة أهل حران ، وكما صنفه أبو معشر الفلكي (سنة ٢٧٢ هـ) وأمثاله ، وكان لهم بها هيكل العلة الأولى ، وهيكل العقل الفعال ، وهيكل النفس الكلية ، وهيكل زحل ، وهيكل المشتري ، وهيكل المريخ ، وهيكل الشمس ، وهيكل الزهرة ، وهيكل عطارد ، وهيكل القمر .
فالعقول عندم عشرة ، والنفوس تسعة بعدد الأفلاك .

نفي الجبر وإثبات القدر

(ج ١ ص ٣٥) عن بقية بن الوليد (سنة ١٩٧ هـ) قال : سألت الزبيدي (سنة ١٤٩ هـ) والأوزاعي (سنة ١٥٧ هـ) عن الجبر ، فقال الزبيدي : أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعزل ، ولكن يقضي ويقدر ، ويخلق ويجهل عبده على ما أحب ، وقال الأوزاعي : ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ، ولا السنة ، فأهاب أن أقول ذلك ، ولكن القضاء والقدر والخلق والجهل ، فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله (ﷺ) ، فهذان الجوابان أحسن الأجوبة . أما الزبيدي محمد بن الوليد صاحب الزهري (سنة ١٢٤ هـ) فانه قال : أمر الله أعظم ، ويريدون بعضها - أي النفس - منها مما ترضاه . وأما الأوزاعي فانه منع من إطلاق هذا اللفظ حيث لم يكن له أصل في الكتاب والسنة ، فيبغضني إلى إطلاق لفظ مبتدع ظاهر في إرادة الباطل .

(ص ٣٦) قال النبي (ﷺ) لأشج عبد القيس : إن فيك خلقتين يحبها الله ، الحلم والأناة ، فقال : أخلقين تخلقت بهما أم خلقتين جلبت عليهما ؟ فقال : بل خلقتين جلبت عليهما ، فقال : الحمد لله الذي جباني على خلقتين يحبها الله « رواه مسلم » .

(ص ٣٩) وبذلك يتبين أن الشارع عليه السلام نصّ على كل ما يعصم من المهالك نصّاً قاطعاً للمعذر ، وقال تعالى : « وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم ، حتى يبين لهم ما يتقون » .

الإسلام يجمع الفرق ويعمها

(ص ٥٠) قال الشيخ أبو الحسن الأشعري في أول مقالات اختلاف الاسلاميين : اختلف المسلمون بعد نبينهم في أشياء ضال فيها بعضهم بعضاً ، وتبرأ بعضهم من بعض ، إلا أن الإسلام يجمعهم فيهمهم ، فهذا مذهب وطية أكثر الأصحاب ،

وأما الفقهاء فقد نقل عن الشافعي رضي الله تعالى عنه قال : لا أُرَدُّ شهادة أهل الأَهْوَاء إلا الخطأية^(١) ، فإنهم يعتقدون حلَّ الكذب . وأما أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ، فقد حكى الحاكم صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه لم يكفر أحداً من أهل القبلة والذي نختاره أن لا نكفر أحداً من أهل القبلة .

(ج ٢ ص ٥٢) ثم إنه ما من هؤلاء إلا آمن له في الإسلام مساع مشكورة ، وحسنات مبرورة ، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع ، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرّف أحوالهم ، وتكلم فيهم بصدق وعدل وإنصاف .

وصف القرآن الكريم في الحديث النبوي

(ص ٢٩) رَوَى الترمذي (سنة ٢٧٩ هـ) وغيره عن علي (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (ﷺ) : إنها ستكون فتن ، قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : « كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء . . . من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم » .

(١) الخطائية : أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع ، وهو الذي عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه ، تبرأ منه ولمنه وأخبر أصحابه بالبراءة منه ، وشدّد القول في ذلك ، . . . فلما اعتزل عنه ادعى الأمر لنفسه . زعم أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة ، وقال بالهية جعفر بن محمد وإلهية آبائه (انظر الملل والنحل للشهرستاني) .

الترجمة التفسيرية للقرآن

ولذلك يترجم القرآن لمن يحتاج إلى تفهمه إياه بالترجمة ، وكذلك يقرأ المسلم ما يحتاج إليه من كتب الأمم وكلامهم بلغتهم ، ويترجم بالعربية ، كما أمر النبي (ﷺ) زيد بن ثابت (سنة ٤٥ هـ) أن يتعلم كتاب اليهود ليقرا له ويكتب له ذلك ، حيث لم يأمن اليهود عليه .

إثبات الإرادة الأزلية والعلّة الفاعلية والغائية

(ص ٢٠٣) الأشعرية أثبتوا السبب الفاعل لإرادة العبد ، وأثبتوا إرادة إرادة قديمة تتناول جميع الحوادث ، ولكن لم يثبتوا لها الحكمة المطلوبة والعاقبة المحمودة ، فكان هؤلاء بمنزلة من أثبت العلة الفاعلية دون الغائية ، وأولئك بمنزلة العلة الغائية دون الفاعلية . والمتفلسفة المشاؤون يدعون إثبات العلة الفاعلية والغائية ، ويعلمون ما في العالم من الحوادث بأسباب وحكم وحقيقة قولهم : إن أفعال الرب تعالى ليس فيها حكمة ولا عاقبة محمودة ، لأنهم ينفون الإرادة ، ويقولون ليس فاعلاً مختاراً .

حدوث ما يحدثه تعالى من المخلوقات تابع لأفعاله الاختيارية

(ج ٢ ص ٣) حدوث ما يحدثه الله تعالى من المخلوقات تابع لما يفعله من أفعاله الاختيارية القائمة بنفسه ، وهذه سبب الحدوث والله تعالى حي قيوم ، لم يزل موصوفاً بأنه يتكلم بما يشاء فعمل لما يشاء ، وهذا قد قاله العلماء الأكبر من أهل السنة والحديث ، ونقلوه عن السلف والأئمة ، وهو قول طوائف كثيرة من أهل الكلام والفلسفة المتقدمين والمتأخرين ، بل هو قول جمهور المتقدمين من الفلاسفة ، وعلى هذا فيزول الإشكال ، ويكون إثبات خلق السموات إنما يتم بما جاء به الشرع وكل كمال وصف به المخلوق من غير استلزامه لنقص ، فالخالق أحق به ، وكل نقص نزه عنه المخلوق فالخالق أحق أن ينزه

عنه ، والفعل صفة كمال لا صفة نقص ، كالسكلام والقدرة ، وعدم الفعل صفة نقص كعدم السكلام وعدم القدرة ، فدلّ العقل على صحة ما دلّ عليه الشرع وهو المطلوب .

ولما كان الإثبات هو المعروف عند أهل السنة والحديث كالبخاري (سنة ٢٥٦ هـ) وأبي زرعة (سنة ٢٦٤ هـ) وأبي حاتم (سنة ٢٧٧ هـ) ومحمد بن يحيى الذهلي (سنة ٢٥٨ هـ) وغيرهم من العلماء الذين أدركهم محمد بن اسحق (سنة ٣١٣ هـ) وابن خزيمة (سنة ٣١١ هـ) ، كان المستقر عنده ما تلقاه عن أئمنه من أن الله تعالى ، لم ينزل متكلاً إذا شاء ، وأنه يتكلم بالكلام الواحد مرة بعد مرة .

الكشف عن مذهب المعتزلة وبيان حقيقته

(ص ٦) كانت المعتزلة تقول : إن الله مُنَزَّهٌ عن الأعراض والأبماض والحوادث والحدود ، ومقصودهم نفي الصفات ونفي الأفعال ، ونفي مباينته للخلق وعلوه على العرش ، وكانوا يعبرون عن مذاهب أهل الإثبات أهل السنة بالعبارات المجملة التي تشعّر الناس بفساد المذهب ، فانهم إذا قالوا إن الله مُنَزَّهٌ عن الأعراض لم يكن في ظاهر هذه العبارة ما يُنكر ، لأن الناس يفهمون من ذلك أنه مُنَزَّهٌ عن الاستحالة والفساد ، كالأعراض التي تعرض لبني آدم من الأمراض والأسقام ، ولا رب أن الله مُنَزَّهٌ عن ذلك ، ولكن مقصودهم أنه ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا كلام قائم به ولا غير ذلك ، من الصفات التي يسمونها أعراضاً . وكذلك إذا قالوا : إن الله مُنَزَّهٌ عن الحدود والأحياء والجهات ، أو هموا الناس أن مقصودهم بذلك أنه لا تحصره الخلوقات ، ولا تحوزه المصنوعات ، وهذا المعنى صحيح ، ومقصودهم أنه ليس مبايناً للخلق ولا منفصلاً عنه ، وأنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله ، وأن محمداً لم يعرج به إليه ، ولم ينزل منه شيء ، ولا يصعد إليه شيء ، ولا يتقرب إليه شيء ، ولا يتقرب إلى شيء ، ولا ترفع إليه الأيدي في الدعاء ولا غيره .

ونحو ذلك من معاني الجهمية . وإذا قالوا إنه ليس بجسم أو هموا أنه ليس من جنس المخلوقات ، ولا مثل أبدان الخلق ، وهذا المعنى صحيح ، ولكن مقصودهم بذلك أنه لا يرى ولا يتكلم بنفسه ، ولا تقوم به صفة ، ولا هو مبين للخلق وأمثال ذلك . وإذا قالوا : لا تحله الحوادث أو هموا الناس أن مرادهم أنه لا يكون محلاً للتعيرات والاستحالات ونحو ذلك من الأحداث التي تحدث للمخلوقين فتحيلهم وتفسدهم ، وهذا معنى صحيح ، ولكن مقصودهم بذلك أنه ليس له فعل اختياري يقوم بنفسه ، ولا له كلام ولا فعل يقوم به يتعلق بمشيئته وقدرته ، وأنه لا يقدر على استواء أو نزول أو إتيان ، أو مجيء ، وأن المخلوقات التي خلقها لم يكن منه عند خلقها فعل أصلاً ، بل عين المخلوقات هي الفعل ، ليس هناك فعل ومفعول ، وخلق ومخلوق ، بل المخلوق عين الخلق ، والمفعول عين الفعل ونحو ذلك . وابن كلاب ومن اتبعه وافقوهم على هذا وخالفوهم في إثبات الصفات .

الإمام الأشعري يثبت الصفات بالشرع تارة وبالعقل أخرى

وكذلك الأشعري يثبت الصفات بالشرع تارة وبالعقل أخرى ، ولهذا يثبت العلو ونحوه مما تنفيه المعتزلة ، ويثبت الاستواء على العرش ، ويرد على من تأوله بالاستيلاء ونحوه مما لا يختص بالعرش - أي هو تعالى مستول على كل شيء من مخلوقاته لا على العرش وحده ، وهو العالي على كل شيء ، المحيط بكل شيء في جميع أحواله من نزوله وارتفاعه ، لا يحيط به شيء ، ولا يحتوي عليه شيء . وكان الأشعري وأئمة أصحابه يقولون انهم يحتجون بالعقل لما عُرف ثبوته بالسمع ، فالشرع هو الذي يعتمد عليه في أصول الدين ، والعقل عاضد له معاون . لكن المعتزلة القائلون بأن دلالة السمع موقوفة على صحته صرحوا بأنه لا يستدل بأقوال الرسول على ما يجب ويمتنع من الصفات بل ولا الأفعال ، وصرحوا بأنه لا يجوز الاحتجاج على ذلك بالكتاب والسنة وإن وافق العقل فكيف إذا خالفه . وهذه الطريقة هي التي سلكها من وافق للمعتزلة في ذلك . وأما الأشعري وأئمة

أصحابه فإنهم مثبتون لها (أي الصفات الخيرية) يردون على من بنفها أو يقف فيها فضلاً عن بتأولها .

وأما مسألة قيام الأفعال الاختيارية به فإن ابن كلاب والأشعري وغيرهما بنفونها ، وعلى ذلك بنوا قوطم في مسألة القرآن ، وبسبب ذلك وغيره تكلم الناس فيهم في هذا الباب بما هو معروف في كتب أهل العلم ونسبوم إلى البدعة . والصواب إن الله بجميع صفات ذاته واحد ، لم يزل ولا يزال ، وما أضيف إلى الله من صفات فعله مما هو غير بائن عن الله فغير مخلوق .

التفاسير المأثورة مثبتة للصفات

والتفاسير المأثورة عن النبي صلوات الله عليه والصحابة والتابعين مثل تفسير محمد بن جرير الطبري (سنة ٣١٠ هـ) ، وتفسير عبد الرحمن بن إبراهيم المعروف بدحيم (سنة ٢٤٥ هـ) ، وتفسير عبد الرحمن بن أبي حاتم (سنة ٣٢٧ هـ) ، وتفسير ابن المنذر (سنة ٣٠٩ هـ) ، وتفسير أبي بكر عبد العزيز ، وتفسير أبي الشيخ الأصبهاني ، وتفسير أبي بكر مردويه ، وما قبل هؤلاء من التفاسير مثل تفسير أحمد بن حنبل (سنة ٢٤١ هـ) ، وإسحاق بن إبراهيم (سنة ٢٣٨ هـ) وبقي بن مخلد (سنة ٢٧٦ هـ) وغيرهم . ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن حميد ، وتفسير عبد الرزاق (سنة ٢١١ هـ) ، وو كيع بن الجراح (سنة ١٩٧ هـ) ، فيها من هذا الباب الموافق لقول المثبتين ما لا يكاد يحصى . وكذلك الكتب المصنفة في السنة التي فيها آثار النبي (ﷺ) والصحابة والتابعين .

خلاصة ما تقدم

الردّ بعشرات الآيات على من يقول : إن الله تعالى لا يتكلم إلا بأصوات قديمة أزلية لبست متعاقبة وهو لا يقدر على التكلم بها ، ولا له في ذلك مشيئة ولا فعل (٦٠ - ٦٣ ج ٢) وقد جاء في آخرها قوله : وأمثال ذلك كثير في كتاب الله تعالى ، بل يدخل في ذلك عامة ما أخبر الله به من أفعاله لا سيما

المرتبة كقوله تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » ، « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده » ، « ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين » وآيات كثيرة كلها تدلّ على أفعال الله تعالى بالتعاقب والترتيب .

(ص ٦٠) وخلاصة هذا المبحث الطويل الجليل هو في قوله : لكن المقصود هنا أن نبين أن القرآن والسنة فيها من الدلالة على هذا الأصل ما لا يكاد يُحصّر ، فمن له فهم في كتاب الله يستدلّ بما ذكر من النصوص على ما ترك ، ومن عرف حقيقة قول النفاة علم أن القرآن مناقض لذلك مناقضة لا حيلة لهم فيها ، وأن القرآن يثبت ما يقدر عليه ويشاؤه من أفعاله تعالى التي ليست هي نفس المخلوقات .

كلام هؤلاء الطوائف

من تدبر كلام هؤلاء الطوائف بعضهم مع بعض تبين له أنهم لا يعترضون فيما يخالفون به الكتاب والسنة إلاّ بحجة جدلية يسلمها بعضهم لبعض ، وآخر متهاهم حجة يمتنعون بها في إثبات حدوث العالم لقيام الأكوان به أو الأعراض ، ونحو ذلك من الحجج التي هي أصل الكلام المحدث الذي ذمه السلف والأئمة ، وقالوا إنه جهل ، وإن حكم أهله أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في القبائل والمشائر ؟ ويقال هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام ؟ وكذا من عرف حقائق ما انتهى إليه هؤلاء الفضلاء الأذكياء ازداد بصيرة وعلمًا وبقينا بما جاء به الرسول (ﷺ) ، وبأن ما يعارضون به الكتاب والسنة من كلامهم الذي يسمونه عقليات ، هي من هذا الجنس الذي لا يتفق إلاّ بما فيه من الألفاظ المجملة المشبهة مع من قلّت معرفته بما جاء به الرسول ، وبطرق إثبات ذلك ؛ وبتوهم أنّ يمثل هذا الكلام بثبت معرفة الله وصدق رسله ، وأن الطمن في ذلك طمن فيما به يصير العبد مؤمنا ، فيتمجّل ردة كثير مما جاء به الرسول (ﷺ) ، لظنه أنه بهذا الردّ يصير مصدقًا للرسول في الباقي :

(ص ٢٠٧) وهذا مما يبين أن ما جاءت به الرسل هو الحق ، وأن الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل ، وأن صريح المعقول ، لا يناقض صحيح المنقول ، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه ، وما يدخل في العقل وليس منه ، كالذين جعلوا من السمع أن الرب لم يزل معطلاً عن الكلام والفعل ، لا يتكلم بمشيئته ، ولا يفعل بمشيئته ، بل ولا يمكنه عندهم أنه لا يزال يتكلم بمشيئته ويفعل بمشيئته ، فجعل هؤلاء هذا قول الرسل ، وليس هو قولهم . وجعل هؤلاء من المعقول أنه يتمتع دوام كونه قادراً على الكلام والفعل بمشيئته .

(ص ١١١) فإذا خلق في الشجرة «إني أنا الله رب العالمين» - ولم يقم هو به كلام - كان ذلك كلاماً للشجرة ، فتكون هي القائمة !! والحوادث لا تحلُّ به تعالى من غير مشيئة ولا قدرة ، بل بفعلها بمشيئته وقدرته ، واتصافه بها واجب لأنها صفات كمال . والذات الموصوفة بصفاتهما ، القادرة على أفعالها ، مستلزمة لما يلزمها من الصفات ، قادرة على ما تشاؤه من الأفعال .

نفي القول بخلق القرآن

(ص ١٢٣) إن الطريقة المعروفة التي سلكها الأشعري وأصحابه في مسألة القرآن هم ومن وافقهم على هذا الأصل من أصحاب أحمد وغيرهم كأبي الحسن التميمي ، والقاضي أبي بعلب (سنة ٤٥٨ هـ) وابن عقيل (سنة ٢٥٥ هـ) وأبي الحسن الزعفراني (سنة ٢٥٩ هـ) من أصحاب أحمد (سنة ٢٤١ هـ) . وكأبي المعالي (سنة ٤٧٨ هـ) وأمثاله وأبي القاسم الروامي ، وأبي سعيد المتولي (سنة ٤٧٨ هـ) وغيرهم من أصحاب الشافعي (سنة ٣٠٤ هـ) ، والقاضي أبي الوليد الباجي (سنة ٤٧٤ هـ) وأبي بكر الطرطوشي (سنة ٥٢٠ هـ) . وأبي بكر بن العربي (سنة ٥٤٣ هـ) وغيرهم من أصحاب مالك (سنة ١٧٩ هـ) ، وكأبي منصور الباتريدي (سنة ٣٣٣ هـ) وميمون النسفي (سنة ٥٠٨ هـ) وغيرهما من أصحاب أبي حنيفة

(سنة ١٥٠ هـ) ، أنهم قالوا : لو كان القرآن مخلوقاً للزم أن يخلقه إما في ذاته أو في محل غيره ، أو قائماً بنفسه ، لا في ذاته ولا في محل آخر ، و(الأوّل) يستلزم أن يكون محلاً للحوادث ، و(الثاني) يقتضي أن يكون الكلام كلام المحل الذي خلق فيه فلا يكون ذلك الكلام كلام الله ، كسائر الصفات إذا خلقها في محل ، كالعلم والحياة والحركة واللون وغير ذلك . (والثالث) يقتضي أن تقوم الصفة بنفسها ، وهذا مُمتنع . فهذه الطريقة هي عمدة هؤلاء في مسألة القرآن ؛ وقد سبقهم عبد العزيز المكي (سنة ٢٤٠ هـ) صاحب المحاور المشهورة إلى هذا التقسيم ، وقد يظنّ الظان أن كلامهم هو كلامه بعينه ، وإنه كان يقول بقولهم إن الله لا يقوم بذاته ما يتعلق بقدرته ومشيئته ، وإن قوله من جنس قول ابن كلاب ؛ ولبس الأمر على ذلك ، فإنّ عبد العزيز هذا ، له في الردّ على الجهمية وغيرهم من الكلام ما لا يعرف فيه خروج عن مذهب السلف وأهل الحديث . وذكر طرفاً من هذه المناظرة التي جرت بحضور الخليفة المأمون بين عبد العزيز الكنعاني المكي وبشر المريسي (سنة ٢١٨ هـ) إلى أن قال عبد العزيز : وما كان قبل الخلق متقدماً ، فليس هو من الخلق في شيء ثم قال : فقد كسرت قول بشر بالكتاب والسنة واللغة العربية ، والنظر والمعقول . ثم قال ابن تيمية - معلقاً على كلام عبد العزيز وبشر - : والمقصود هنا أنّ ما قام بذاته ، لا يسميه أحد منهم مخلوقاً ، سواء كان حادثاً أو قديماً ، وبهذا يظهر احتجاج عبد العزيز على بشر ، فإنّ بشرّاً من أئمة الجهمية نفاة الصفات ، وعنده : لم يقم بذات الله تعالى صفة ولا فعل ولا قدرة ولا كلام ولا إرادة ، بل ما تمّ عنده إلاّ الذات المجردة عن الصفات والمخلوقات المنفصلة عنها كما تقول بذلك الجهمية من المعتزلة وغيرهم ، فاحتجّ عليه عبد العزيز بحجتين عقليتين ، (إحدهما) أنه إذا كان كلام الله مخلوقاً ، ولم يخلقه في غيره ولا خلقه قائماً بنفسه ، لزم أن يكون مخلوقاً في نفس الله ، وهذا باطل ، و(الثانية) أنّ

المخلوقات المنفصلة عن الله خلقها الله بما ليس من المخلوقات ، إِمَّا القدرة كما أقرَّ به بشر ، وإِما فعله وأمره وإرادته كما قاله عبد العزيز ، وعلى التقديرين ثبت أنه كان قبل المخلوقات من الصفات ما ليس بمخلوق فبطل أصل قول بشر والجهمية أنه ليس لله صفة ، وأنَّ كل ما سوى الذات المجرّدة فهو مخلوق ، وتبيّن أنّ الذات بقوم بها معان ليست مخلوقة ، وهذا حجة مثبتة الصفات للقائلين بأنّ القرآن كلام الله غير مخلوق على من نفى الصفات ، وقال بخلق القرآن .

قصور كثير من المصنفين في المقالات والمذاهب عن بلوغ الغاية (ص ١٥٨) يوجد كثير من المتأخرين المصنفين في المقالات والكلام يذكرون في أصل عظيم من أصول الإسلام - الأقوال التي يعرفونها ؛ وأما القول المأثور عن السلف والأئمة الذي يجمع الصحيح من كل قول ، فلا يعرفونه ولا يعرفون قائله ، فالشهرستاني صنّف الملل والنحل وذكر فيها من مقالات الأئمّة ما شاء الله . والقول المعروف عن السلف والأئمة لم يعرفه ولم يذكره ، والقاضي أبو بكر ، وأبو المعالي ، والقاضي أبو يعلى ، وابن الزعفراني ، وأبو الحسين البصري ، ومحمد بن الهيثم ، ونحو هؤلاء ، من أعيان الفضلاء المصنفين ، تجد أحدهم يذكّر في مسألة القرآن أو نحوها عدة أقوال للأئمة ويختار واحداً منها ، والقول الثابت عن السلف والأئمة كالإمام أحمد ونحوه من الأئمة لا يذكره الواحد منهم ، مع أنّ عامة المنتسبين إلى السنة من جميع الطوائف يقولون انهم متبعون للأئمة كمالك والشافعي وأحمد وابن المبارك (سنة ١٨١ هـ) وحماد بن زيد (سنة ١٧٩ هـ) وغيرهم لا سبجاً للإمام أحمد فإنه بسبب الخنة المشهورة من الجهمية له ولغيره أظهر من السنة ورد من البدعة ما صار به إماماً لما بعده ، وقوله هو قول سائر الأئمة ، فعامة المنتسبين إلى السنة يدعون متابعتهم والافتداء به ، سواء كانوا موافقين له في الفروع أو لا ، فإن أصول الأئمة في أصول الدين متفقة ، ولهذا كلما اشتهر الرجل بالانتساب إلى السنة كانت موافقته لأحمد

أشدّ ، ولما كان الأشعري ونحوه أقرب إلى السنّة من طوائف من أهل الكلام ، كان انتسابه إلى أحمد أكثر من غيره كما هو معروف في كتبه .
 . . . والعصمة إنما هي ثابتة لمجموع الأمة ليست ثابتة لطائفة بعينها .

قول الحشوية المنتمين إلى الظاهر

(ص ١٥٩) ذهب الحشوية المنتمون إلى الظاهر إلى أنّ كلام الله تعالى قديم أزلي ، ثم زعموا أنه حروف وأصوات ، وقطعوا بأنّ المسموع من أصوات القراء ونغماتهم عين كلام الله تعالى ، وأطلق الرعاغ منهم القول بأنّ المسموع صوت الله تعالى عن قوهم ومعلوم أنّ هذا القول لا يقوله عاقل يتصور ما يقول ، ولا نعرف هذا القول عن معروف بالعلم من المسلمين ، ولا رأينا في كتاب أحد أنّ المداد الحادث انقلب قديما ، ولا أن المداد الذي يكتب به القرآن قديم ، بل رأينا عامّة المصنفين من أصحاب أحمد وغيرهم ينكرون هذا القول ، وينسبون ناقله عن بعضهم إلى الكذب ، وأبو المعالي وأمثاله أجلّ من أن يتعمّدوا الكذب ؛ لكن القول المحكي قد يسمع من قائل لم يضبطه ، وقد يكون القائل نفسه لم يخبر قوهم ، بل يذكر كلاما مجملاّ يتناول النقيضين .

ما جاءت به الكتب والرسل هو الحق

(ص ٢٠٧) وهذا مما يبيّن أنّ ما جاءت به الرسل هو الحق ، وأنّ الأدلة العقلية الصريحة ، توافق ما جاءت به الرسل ، وأنّ صريح المقول ، لا يناقض صحيح المنقول ، وإنما يدخل التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه ، وما يدخل في العقل وليس منه كالذين جعلوا من السمع أنّ الرب لم يزل معطلا عن الكلام والفعل ، لا يتكلم بشيئته ، ولا يفعل بشيئته ، فجعل هؤلاء هذا قول الرسل ، وليس هو قوهم .

(ج ٣ ص ٨١) فالتوراة مملوءة من وصف الله بمثل ذلك (أي من صفات

الكمال) وكذلك الإنجيل ، وسائر نبوات الأنبياء مثل الزبور ، ونبوة اشعيا ، وأرميا ، وأساطين الفلاسفة كانوا يقولون بذلك ، والسلف من الصحابة والتابعين ، وأهل الحديث متواتر عنهم ذلك .

علم مما تقدم أن الله تعالى كامل الصفات ، له الأسماء الحسنى ، ولا يكون عن الكمال في ذاته وصفاته إلا الفعل المحكم ، لكن تلك الفرق جمعت قواعدها وأصولها محكمة ، وما أخبر به الرسول متشابهها ، ثم أصلوا أصلاً في ردّ هذا المتشابه إلى المحكم ، وما أصلوه بخالف لصريح العقل وصليم الفطرة ، كما هو مخالف لما جاءت به الرسل عن الله .

قال الإمام ابن القيم : وقد كفانا شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المقصد في عامة كتبه ، لا سيما كتابه الذي وسمه « بيان موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح » فمزق فيه شملهم كل ممزق ، وكشف أسرارهم وهتك أستارهم ، فجزاه الله عن الإسلام وأهله أفضل الجزاء . وقال أيضاً :

وجملة أمرهم أنهم في المسلمين كالزغل في النقود ، يروج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنقد ، وبمرف حاله الناقد البصير من الناس ، وقليل ما هم أه .
أقول وخاتمة القول في هذا الباب أن كلام الله ورسوله ، وكلام أئمة السنة والعلم ، هو أوضح تبياناً ، وأرسخ إيماناً ، وأوفى ميزاناً ، يتآخى فيه العقل والنقل ، والطبع والشرع ، والفطرة والدين ، وأنه هو الأسلم ، والأعلم والأحكم ، وأن نفاة الأفعال والصفات ، يشبهونه سبحانه بالجمادات « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » .

محمد بهجة البيطار



ما سمعت وما رأيت

في بلاد السوفيت^(١)

- ٤ -

المعرض الزراعي :

زرت هذا المعرض في اليوم الثالث من قدومنا الى موسكو ، وحق له أن يعد في طبيعة المعارض الزراعية العالمية سمةً وتنسيقاً وتنظيماً . افتتح في صيف هذا العام ، والغاية منه على ما قيل الدعاوة لما تحقق من تقدم زراعي في البلاد وما تم على يد التعاونيات الزراعية من ازدهار في هذا المضمار .

وتبلغ المساحة التي يشغلها المعرض ٢٠٧ هكتار ويشتمل على ٣٦٠ بناء موزعة على جمهوريات الاتحاد الست عشرة في جانب المباني الرئيسية التي تمثل المصالح العامة . وقد عمل في إخراجها الى حيز الوجود أربعة آلاف من المهندسين الممارسين والرسميين والنحاتين ورؤساء الحرف من جمهوريات الاتحاد كافة .

ويفتح المعرض الزراعي أبوابه في أول شهر آب من كل سنة حتى منتصف شهر تشرين الثاني . يرى الزائر أول ما يرى فيه باحة واسعة تقوسطها بركة كبيرة ذات فتارة عالية ، يحيط بها أحواض مملأى بأنواع الأزهار الجميلة والتنسيق والترتيب ، فضلاً عن التنايل الرخامية العديدة ، والفواتير الجانبية الكثيرة تتلون بالمصاييح الكهربائية بألوان شتى مما يجذب سكان موسكو والزائرين القادمين من أنحاء الاتحاد وخارجه أن يجدوا السلاوي المنشودة ناعمين بالنسيم العليل في ليالي الصيف ، مشغفين آذانهم بألحان الجوقات الموسيقية التي تعزف حتى ساعة متأخرة من الليل .

(١) انظر المجلة مج ٣١ : ص ٤١٦ و ٥٨٦ و مج ٣٢ : ص ٤٧٨ .

ولما لم يكن لدينا متسع من الوقت لزيارة الأجنحة جميعها أو معظمها ، فقد اضطررنا الى الاكتفاء ببعضها . زرنا بعض الأجنحة التي تمثل المصالح العامة في المعرض بادئين بجناح الآليات (الميكانيكا) الذي تعلو سقفه قبة شاهقة ويجوي الكثير من آلات الزراعة الضخمة ، ثم انتقلنا الى جناح الحيوانات الزراعية والماشية ، وعرض علينا نوع من البقر قيل ان نتاج البقرة الواحدة من اللبن في السنة يبلغ ١٦ طنًا ، ونوع من الغنم يختلف مقدار ما ينتجه من الصوف بين ١٥ و ٢٥ كيلو سنويًا ، ونوع من الثيران يبلغ وزن الواحد منها ١٦٠٠ كيلو ، في جانب أنواع الخيل العديدة والضخمة وهي ولا شك دون الخيول العربية جودة ومظهرًا .

وانتقلنا بالطواف الى جناح يوزبكستان فشهدنا من معروضاته الأنواع المختلفة من العنب والتفاح ، وقد ذقنا بعضه فلم نجد فيه تلك النكهة العطرة التي يمتاز بها ثمر بلادنا . ويمد القطن في طليعة منتوجات هذه الجمهورية الهامة وقدّر ما جني منه في هذه السنة بـ ٦٠٪ من قطن بلاد الاتحاد السوفيتي .

وزرنا بعده جناح أرمينية وراعنا فيه أن رأينا الكثير من الفواكه التي اشتهرت بها بلادنا وما جاورها كالبترقال والمندرين (اليوسفي) والموز في جانب الأثمار الأخرى ، ولهذا الجمهورية شهرة واسعة في صنع الأشربة الروحية .

ورأينا في جناح أوكرانية أنواعًا مختلفة من الحنطة ما بين صيفي وشتوي ، وكذلك الشوفان والشعير ، ولا غرابة ان رأينا سهولها الفسيحة أثناء تحليق الطائرة فوقها لا يكاد يخلو شبر واحد من أرضها من نبات ، وأن تكون هذه البلاد مطمح الفزاة وتربتها نادرة المثال بالطيبة والخصب .

وشاهدنا في جناح جورجية المحاصيل الزراعية التي تشبه محاصيل بلادنا شيئًا كليًا ، وانتهى بنا المطاف الى ما يدعى بالجناح المركزي ويبدو أنه مخصص بالدعوة لكثرة ما شاهدنا على جدرانها من لوحات ولافتات ملأى بأرقام الإحصاء التي

م (٦)

ترمز الى مدى التقدم الذي أحرزته البلاد في عهد الثورة ووفرة الإنتاج الزراعي الآخذ بالزيادة باطراد . وبزيارة هذا الجناح الأخير ختم طوافنا في المعرض الزراعي وقد استغرق أربع ساعات ولو وددنا زيارة جميع الأجنحة لافتضى لها عدة أيام .

متحف الثورة :

وهو كائن في شارع غوركي ، زرناه في الرابع من تشرين الثاني ، تحفه موزعة على ١١ قاعة خصصت الأولى لما يمثل حالة روسيا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وفي القاعتين الثانية والثالثة معروضات تبين حالة البلاد في خلال الثورة الأولى (١٩٠٥ - ١٩٠٧) ويرى الزائر في القاعة السادسة الوضع الذي كان قائماً خلال الحرب العالمية الأولى ، وبدء الثورة الثانية (١٩١٤ - ١٩١٧) وفي القاعات التالية ماتم في البلاد من أحداث بعد ذلك . وإن من بين التحف المعروضة في قاعات خاصة الهدايا التي تلقاها ستالين من شعوب الاتحاد السوفيتي ومن الأصدقاء الأجانب ، وفيها مجموعة من السيوف والأسلحة المختلفة في جانب القطع النفيسة القيمة واللوحات الزيتية .

حفلة الاستقبال في المجمع العلمي السوفيتي :

أقيمت حفلة استقبال لوفدنا في مجلس الهيئة العليا (Presidium) لمجمع العلوم السوفيتي وذلك مساء الخامس من تشرين الثاني . وصلنا في الموعد المضروب الى مقر المجلس الكائن في أحد الأبنية الفخمة أمام باحة كبيرة من أحد شوارع موسكو الواسعة ، ودخلنا قاعة الاستقبال الفسيحة ، وبعد التعارف مع الأعضاء الذين كان عددهم يربو على العشرين مع بعض مرافقي الصحف والمصورين ، جلسنا حول موائد نظدت عليها أكواب الشاي وما يتبعه من ما كل وأشربة مختلفة ، ابتداء بالكلام أمين السر العام (السيد طويجيف) بالروسية صارداً تاريخ المجمع ونشاطه ، وكانت مقاطع خطابه

تترجم تبعاً الى الفرنسية من قبل ترجماننا المرافقة (نادين) ، ورد عليه الزميل
 الأمير جعفر بالفرنسية بكلمة مناسبة شاكرًا لمجمع العلوم السوفيتي دعوته لأعضاء
 المجمع العلمي العربي في دمشق ، والخفاوة البالغة التي يلقاها الوفد في كل مؤسسة
 يزورها متمنياً للمجمع اطراد التقدم ، وتلاه أمين السر المساعد بكلمة ألقاها
 بالفرنسية مطربياً الجهد الذي يبذله مجعنا العلمي في نطاق عمله خاصاً بالثناء زميلنا
 الأستاذ الدهان لبلائه البلاء الحسن في نشر المخطوطات وخبرته الواسعة في
 هذه الناحية ، وأخذت لنا أثناء ذلك عدة صور ودامت الحفلة قرابة الساعتين .
 فما اطلعت عليه أن هذا المجمع الذي كان يعرف بالمجمع الروسي قد تأسس
 من قبل بطرس الأول سنة ١٧٢٤ فيكون قد صالح من العمر حتى عام زيارتنا
 ٢٣٠ سنة وكان مقره في العاصمة بطرسبورغ (بتروغراد ثم ليننغراد الآن)
 وتم نقله الى موسكو بعد سنة ١٩٢٦ ، وقد أدى المجمع خدمات جليلة ولا سيما
 في عهد رئيسه ميخائيل لومونوسوف (Mikhail Lomonosov) بكثرة العلماء
 الذين تم توجيهم وتخريجهم باشرافه .

وقد نص نظامه الأساسي الجديد الذي صدق سنة ١٩٣٥ ان من أهداف
 المجمع الرئيسية الإفادة الرتيبة مما يحققه العلم للمساهمة في تشييد مجتمع شعبي
 دون تمييز بين الطبقات ، وتضاعف نشاط المجمع بعد انتقاله الى موسكو وارتباطه
 بالسلطات الحكومية الموجهة ارتباطاً شديداً الأواصر .

وأصبح مجمع علوم الاتحاد السوفيتي الآن معدوداً في طليعة المعاهد العلمية
 في العالم وبعد أن كان عدد أعضائه قبل الثورة ١٥٤ فقد أصبح ١٦٠ عضواً
 عاملاً و ٣٣٠ عضواً مراسلاً وبلغ عدد العلماء المنتسبين إليه ١٠٠٠٠٠ و مجموع
 العاملين فيه ٣٠٠٠٠ .

ومما قاله أمين السر العام إن لينين عني بالعلم واقفني ستالين أثره مما أدى
 الى ازدهار مجمع العلوم السوفيتي وتحقيق أهدافه بهمة لا تعرف الكلال وأصبح

من أكبر المؤسسات العلمية في العالم . وان للمجمع الآن ثمانية فروع وهي :
العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية والكيمياء والجغرافيا وعلم الأحياء (Biology)
والتكنيكا (Technic) والتاريخ والحقوق والفلسفة والأدب ، ويرتبط بالمجمع
أكثر من ٥٠ مؤسسة للبحوث العلمية ، و ١٦ ملحقاً لها مقرها في نواحي البلاد
الثانية ، كما أنه يشرف على ٣ مرصد جوية و ١٧ مختبراً .

وللمجمع علوم الاتحاد السوفيتي الصلة الوثيقة بمجامع جمهوريات الاتحاد . ويشرف
المجلس الأعلى على إحكام الصلة ما بين أجزاء هذا الجهاز الهائل ، فيجتمع سنوياً
في موسكو وينظم الخطط اللازمة الرامية الى تحقيق البحوث العويصة والمظيعة .
وعلى ذلك فقد زاد عدد المشتغلين من رجاله ٦٠ ضعفاً عما كان عليه قبل الثورة
وارتفع رقم الموازنة ٧٠٠ ضعفاً .

وتدير الأعمال لجنة تتألف من رؤساء الملاحق ويعمل تحت إشرافها الآن
(١٩٥٤) ٤٠٠٠ باحث لتحضير الأطروحات .

وان في جانب مجمع العلوم السوفيتي مجامع للزراعة وللطب وللفنون الجميلة .
والصلات بين هذه المجامع متينة ، إذ يشترك معظم الأعضاء في الهيئة العليا
المشرفة على إدارة البلاد (اللجنة المركزية للحزب الشيوعي) .
ويمنح المجمع جوائز سنوية قدرها ٣٠٠٠٠٠٠ روبل^(١) في الدرجة الأولى
و ١٠٠٠٠٠٠ في الدرجة الثانية و ٥٠٠٠٠٠ في الدرجة الثالثة .

وللمجمع العلوم السوفيتي ٥٠ مجلة علمية وقد بلغ عدد المطبوعات والنشرات
التي تم طبعها في هذه السنة ٣٠٠٠٠٠ .

وقد علمت أن الهيئة العليا للمجمع العلوم السوفيتي تضم بين أعضائها طبيبين
أحدهما يرأس شعبة بحوث الجملة العصبية (وقد زرتة في اليوم السابق) والثاني
أستاذ الفيزيولوجيا في كلية الطب .

(١) يساوي الدولار الأمريكي ٤ روبلات في ذلك الحين ، وقد هبطت هذه القيمة
عن ذي قبل الآن .

معهد الآداب الأجنبية :

زرنا هذا المعهد في السادس من تشرين الثاني ، وقد راعنا فيه حفظ مخطوطات غوركي ومخطوطاته وما الى ذلك من الآثار بطريقة فنية دقيقة بقيتها البلي والفساد مع تقادم العهد وتطاول الزمن ، فضلاً عن الترتيبات المتخذة ضد الحريق .

دار كتب لينين :

بغنى أولو الأمر في بلاد الاتحاد السوفيتي عناية فائقة بنشر العلوم وتهوين السبيل للبحث والمطالعة فما زرنا مؤسسة من المؤسسات التي زرناها في شتى أنحاء البلاد إلا رأينا فيها مكتبة عاصرة ، كما ان لكل معمل من المعامل بناءً ضخماً في قربه يدعى بقصر الثقافة (Palais de Culture) يضم فيما يضمه مكتبة تحوي من الكتب ما يرفع مستوى العامل وينبع له أن ينمي معلوماته ويستزيد علماً مما يفسح له المجال الى زيادة الأجر ونوال التقدير ، في جانب ما يضمه المبنى المذكور من مسرح للتمثيل وقاعة للسينما وملاعب للرياضة .

ولقد ترامى إلينا أن عدد المكتبات العامة في بلاد الاتحاد قد بلغ ٣٦٨ ألف (سنة ١٩٥٤) منها زهاء ألف في العاصمة وحدها . ومما يباهي به رجال هذا العهد أن موسكولم يكن فيها عام ١٩١٣ سوى ١٢ مكتبة عامة عدد المجلدات فيها ٨٥ ألف وارتفع في هذه السنة الى ١٥٠ مليوناً .

ولدار كتب لينين في العاصمة السوفيتية المقام الأول وهي من مفاخر هذه البلاد حقاً ولم أر مثيلاً لها في المكتبات التي زرناها في عواصم بلاد الغرب المختلفة . زرناها في السادس من الشهر وقد استقبلنا القيم عليها وأدلى إلينا بالمعلومات التالية : يعود تاريخ تأسيس هذه المكتبة الى سنة ١٨٦٣ ولم يكن عدد ما تحتل عليه من كتب ليتجاوز قبل الثورة ١٠٠٠٠ مجلدة واقتصر عدد القاعات فيها على ٢٠ حتى سنة ١٩١٢ ، أضيف إليها ١٤ قاعة ، وسرعان ما ارتفع عدد

الكتب الى مليونين وأصبح الآن (سنة ١٩٥٤) ٧٧ مليون و ٢٠٠ ألف^(١) وارتفع عدد الموظفين فيها من ٤٥٠ الى ١٧٥٠ وان مجموعة نادرة من الصحف تحويها المكتبة في جانب المخطوطات والطبعات الأولى من مطبوعات القرنين الثالث عشر والرابع عشر والتي تعد الوحيدة من نوعها ولا سيما فيما يختص بالأساتذة الروس من أدباء وعلماء .

ويشمل فرع الكتب النادرة على مجموعة عظيمة من المنشورات الروسية من العصر السادس عشر الى العصر التاسع عشر وان من بين هذه الكتب ما كان ممنوعاً افتتاه في العهد القيصري وتم طبعه بصورة سرية .

وتحفظ المكتبة باحترام كلي الطبقات الأولى لما ركس (Marx) وأنجل (Engels) كما انها قد جمعت فيها الطبقات الأولى لمؤلفات لينين (V. Lenine) وستالين (J. Staline) .

وايست موجودات المكتبة باللغة الروسية وحدها بل ان فيها كتباً كتبت بـ ١٦٦ لغة . وهي تتبادل المطبوعات مع معظم مكاتب العالم وترد اليها مطبوعات الاتحاد السوفيتي بالبحر ، تقني ما صدر منها خارج بلاد الاتحاد إما عن طريق التبادل أو الشراء ، وقد قيل لنا ان عدد الكتب النادرة يبلغ ١٨٠٠٠٠٠ وعدد ما فيها من كتب عربية ٣٥٠٠ ، منها ١٥٢ مخطوطة . والمكتبة مشتركة بـ ٩٠ صحيفة و ٨٠ مجلة واشتركت سنة ١٩٥٤ بـ ٨٦ من مصر ولبنان وفيها ٦٢ ألف ميكروفيلم .

ولا أدل على عظمة هذه المكتبة من أن طول الرفوف التي نضدت الكتب فوقها يبلغ مجموعه ٢٠٧ كيلو متر ، وأن ثقل الكتب من مستودعها الى قاعة التوزيع ليتم بحافلة كهربائية خاصة .

(١) لقد حاولت عبثاً الحصول على معلومات حديثة عن هذه المكتبة وعن جامعة موسكو سواء بالكتابة أو بتكليف من لهم صلة من السوفيتيين ، مما يشير الى استمرار التحفظ الشديد في اقامة الصلة بالأجانب ، شأنهم فيما مضى دون اي تغيير .

تفتح المكتبة أبوابها للقراء من التاسعة صباحاً حتى الثالثة والعشرين والنصف ليلاً ويختلف عدد القراء فيها من ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ في اليوم . موازنتها ٥٠ مليون روبل .

وإن مما جلب انتباهنا فيها القاعة المخصصة للأولاد ، والجهاز الفني الذي يشتمل على ٣ مختبرات للكيمياء ومختبر واحد للبحث الفطري (Mycology) وفيها فهرس يشتمل على جميع الكتب التي طبعت في بلاد الاتحاد السوفيتي . وإن المكتبة تتبادل الكتب مع ٥٢٥ مؤسسة منها ٧٤ في الولايات المتحدة و ٣٤ في المملكة المتحدة و ٣٢ في فرنسا . وتصدر نشرة سنوية عن الكتب الأجنبية . وإن مما قاله قيم المكتبة لنا إن في النية توسيع المكتبة في السنة القادمة ، وإن لما ٣ ملاحق اثنان منها في موسكو وواحد في بالظه .

هذا وبلاحظ الزائر للمكتبة الهدوء والسكون اللذين يجنيان على من فيها من موظفين وقراء بما فيهم الأولاد وتنظيم العمل في استقدام الكتب في منتهى السرعة ، إذ لا يستغرق طلب الكتاب من مستودعه ووصوله إلى قاعة المطالعة بالخافلة الكهربائية أكثر من بضع دقائق .

العرض العسكري :

وهو العرض العسكري للذكرى ٣٧ لثورة ١٥ تشرين الأول بيقام في صباح السابع من تشرين الثاني الآن (بعد أن بدل التاريخ الشرقي السابق بالتاريخ الغربي) ويقام نظيره في الأول من أيار من كل سنة وكلاهما يوم عيد وطني تعطل فيه جميع الأعمال والمصالح في أنحاء الاتحاد السوفيتي كافة .

نبتنا مساء اليوم السابق بالدعوة التي وجهت إلينا لشهود العرض العسكري ولم تسلم إلينا بطاقات الدعوة إلا صباح هذا اليوم نفسه . وقد أعلنا بلزوم ترك الفندق قبل موعد العرض بساعتين وأن علينا أن نذهب إلى الساحة الحمراء (مكان العرض) مشياً على الأقدام لأن وسائل النقل بما في ذلك السيارة

المخصصة لركوبنا معطلة . خرجنا من الفندق صحبة الترجمانه فألفينا الأسواق التي صرنا بها كلها مغلقة الأبواب ، ولم نر أية سيارة في الطرق جميعها ، وكانت شرادم من الجند ترابط بها عند كل مفترق للطرق ، والغريب من هؤلاء الجنود أنهم لا يحملون أي سلاح . اضطررنا للوصول الى الساحة الحمراء أن نسلك سبلاً ملتوية غير مستقيمة حتى استغرق وصولنا إليها ٥٠ دقيقة بينما لا يتجاوز هذا ١٥ دقيقة في الأيام الأخرى .

وكننا نسال عند كل مكان ترابط فيه الجنود عن بطاقات الدعوة التي نحملها وعن هوياتنا وقد أحصيت عدد المرات التي فتشت فيها تلك البطاقات فبلغت الثانية ، ولكن لقينا في خلال مرورنا من تلك الطرق الخاوية من ممانعة من الجنود بالمرور طالبين اليها المرور من طريق أخرى لولا كلمات كانت تهمس بها ترجماننا ودليلتنا في أذن رئيس تلك الشرذمة من الجنود فيفسح لنا المجال بالمرور دون سوانا من المشاة الذين ليس لهم إلا سلوك الطرق الأخرى .

وصلنا الى الساحة الحمراء في الساعة التاسعة وعشر دقائق ، فوجدناها غاصة بآت الألوف من البشر ، وقادنا أحد الرتباء الى المكان الذي خصص لجلوسنا وكان رقمه ٦ يبعد عن المنصة الرئيسية قليلاً ويظن أنه مخصص للأجانب وبعض أساتذة الجامعة وأعضاء الجامع ، فقد عرفت من بين هؤلاء أحد الأطباء الذين زرتهم في اليوم السابق في المعهد الطبي الذي يشرف عليه .

وابتدا العرض العسكري في تمام الساعة العاشرة بقدوم المارشال بولغانين الذي كان إذ ذاك وزيراً للدفاع ، ركباً سيارة مكشوفة وواقفاً فيها لتأدية التحية العسكرية للجموع المحتشدة في جانبي الطريق التي اخترقتها سيارته منطلقاً من أحد أبواب الكرملين ، وتلقاه في آخر الساحة قائد موقع موسكو وهو واقف في سيارة مكشوفة أيضاً .

وكانت تتقدم الجموع الفقيرة المحتمة في الساحة الحمراء صفوف من الجند

تمثل القطع المختلفة من رجال الجيش من مشاة وبحارة وطيارين وصف ضباط ، وكما صرّ وزير الدفاع بسيارته أمام القطعات كان يجهر بكلمات التهنئة بالعيد الكبير فيتلقى الجواب من الجند بصوت جهوري . وما ان وصل أمام المنصة الرئيسية حتى عزفت جوقة الموسيقى (وقد قدرت عدد أفرادها بـ ١٠٠٠) النشيد الوطني ، وسرعان ما قصفت المدافع من فوق أسوار الكرملين ، وألقى المارشال بولغانين كلمة لم يتجاوز إلقاءها ١٠ دقائق عدد فيها الأعمال التي تمت في خلال السنة المنصرمة من إنماء في الاقتصاد وازدهار في الزراعة ، ثم تطرق الى السياسة الخارجية مقتصرأ على الخطوط الرئيسية . ونقلت ترجماننا نصها الى الفرنسية . وبعد الانتهاء من هذه الخطبة المقتضبة ابتداء العرض العسكري بمرور القطعات المختلفة الواحدة تلو الأخرى بنظام بديع^(١) وترتيب فائق يخيل الى الرأي كأن صفوف الجند (وعددتها ٣٢) تتحرك حركة موافقة كشخص واحد . فنلا مرور المشاة والخيالة المدفعية والآليات من خفيفة وثقيلة ومدافع مما لم يقع نظرنا على أمثالها بينما كان هدير الطائرات يملأ الفضاء .

وما أن انتهى استعراض الجنود وقد دام زهاء ساعة ونصف الساعة ، حتى تبعه مرور المنظمات الرياضية ونوادي الشباب من ذكور واثاث بأعلامها وشاراتها المختلفة بنظام لا يقل عما شاهدناه في الجند والكل يهزج الأهازيج الحماسية . والاستعراض الذي بدأ في تمام الساعة العاشرة استمر حتى الرابعة عشرة ، وفضلت وصحبي الانسحاب والعودة الى الفندق ، ولم تنسن لنا هذه إلا بشق الأنفس مجتنبين الطرق التي رسم لقوافل الناس أن يتخرفها .

(١) كنت أظن أن مثل هذه الاستعراضات العسكرية انما تتم بنت يومها دون اعتماد سابق ، إلا اني في رحلتي الثانية الى موسكو والتي تمت قبيل العيد الوطني بأيام لاحظت في جانب التحضيرات التي ترتب آتاه النهار ، ترقبات عسكرية وقارين تقوم بها قطعات الجند قبيل منتصف الليل عندما يخف المرور من الشوارع المؤدية الى الساحة الحمراء .

متحف تريتييا كوف (Tretyacov) :

وهو متحف اللوحات الزيتية التي تمثل الفن الرومي للنصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداً القرن العشرين . يحمل اسم المثري الذي أسسه غواية منه في هذا المضمار ثم وهبه للشعب . أتيح لي أن أزوره مرتين الأولى سنة ١٩٥٤ والثانية سنة ١٩٥٦ ، وأن أمتع الطرف في كليهما بما يزين قاعاته الاثنتين والخمسين من صور زيتية رسمها وصورها نوابغ الفن الرومي ، ولطالما شاهدنا ما نقل عنها من مشيلات تزين جدران أهواء المؤسسات والدور والفنادق في جانب اتخاذ بعض البيوتات التجارية لبعض الصور شعاراً تجارياً لها .

بعد السوفيت النصف الثاني من القرن التاسع عشر العصر الذهبي للفن الرومي في نواحيه المختلفة ، ففيه ظهر نبغاء الكتاب والموسيقيين والرسامين والنحاتين الذين يمثلون ما يدعونونه بالفن الديموقراطي الواقعي (Democratic and realist art) . لذا يعتبرون هؤلاء وأولئك باعني اليقظة في روح الشعب ومذكي نار الثورة والانتفاض ، وان ما أتوا به من روائع الفن لتتجاوب مع ما يكن في قرارة نفوس سواد الناس من تأهب للثورة والانتفاض على الطبقة الارستوقراطية وطغيانها الغاشم .

وعلى ذلك كان دليلنا في زيارة متحف تريتييا كوف يفسر لنا مدلول كل لوحة من اللوحات بما يأتلف والفكرة السالفة ولكم خاصرنا الشك في بعض ما ذهب إليه إذ لا يعقل أن تنصب مشاعر جميع المتفتنين على احترام نار الثورة وأن تخلو تلك اللوحات مما يمجده المهدي السالف متغاضية عن بعض محاسنه (وإن قلت) وأن لا يرى أي أثر لماثرة من مآثر تلك الامبراطورية التي كان لها شأنها حيناً من الدهر . فكل اجتماع شعبي تمثله إحدى اللوحات على رأي الدليل كان تفسيره تنادي الطبقة الكادحة والفقيرة من الشعب ومطالبتها بحقها السليب ،

متى كان تاريخ تلك اللوحة يعود الى عهد القيصرية وإلا فهي تقيض ذلك تفسر بالتأييد والدعم .

وبعود تاريخ أقدم اللوحات الى ١٨٦١ وأحدثها الى ١٩٣٠ ورأينا بين اللوحات لوحة الرسام بيروف (Perov) وتاريخها ١٨٦٥ وعنوانها تشييع الميت الى المقبرة كيف أن الأرملة الشاكل تقود الحفنة الثلجية التي تحمل نعش زوجها مقوسة الظهر تمسك بعنان فرس هنريل على أرض كساها الثلج وبنيهاها يسكن بجانب النعش ، فهي ترمز ولا شك الى منتهى الشقاء والفقر والحرمات .

والرسام نفسه لوحة لها شهرتها في جميع البيئات عنوانها الصيادون حين الراحة ويبدو فيها ثلاثة صيادون اثنان منهم في سن متقدمة والثالث شاب حديث العهد في هذه (الهواية) يسرد أحد العجوزين مغامراته الفذة والمبتدئ يصفى اليه بانتباه بينما العجوز الآخر مضطجع على جنبه يتسم لتلك الأصابيص وبنم على شكه بصحتها ومبالغة الراوي لها حكه بيده خلف أذنه .

ومن اللوحات التي تندد بالعمود السالفة لوحة نافرف (Nevrev) سنة ١٨٦٦ ويرى فيها الناظر مشهد المساومة على بيع الفتاة الحسنة بين رب المقاطعة والمثري المشتري ، وأهلها واقفون مشدوهون منتطرون مصير فلذة كبدهم ، وكذلك لوحة بور كيروف (Purkirov) سنة ١٨٦٢ وفيها صورة من مراسم إكليل الزواج بين كاعب في ريعان الصبا وشيخ بلغ من الكبر عتيا يظهر من ضياه تراؤه وانتاؤه الى الطبقة الارستوقراطية .

وإن اللوحات التي تندد بوبلات الحروب وما يتبعها من دمار لكثيرة ، الجزء الكبير منها تصور غارات التبر والأتراك والمواقع التاريخية الشهيرة التي تم النصر فيها للروس منها لوحة فرشناغين (V. V. Vereshagin) الذي عرف بأنه رسام المعارك الحربية وقد طاف في أنحاء القفقاس وآسيا الوسطى والهند وفلسطين واليابان وغيرها من البلاد ، تعرف اللوحة بمجد الحرب (Apotheosis of war)

كادعاهما مجد تيمورلنك (Ap. of Tamerlane) أيضاً ويرجع تاريخها الى سنة ١٨٧١ م
 صور فيها هرمًا من الجاجم يرتفع فوق صحراء تلفحها الشمس ووراءه خرائب
 مدينة قديمة ، وأراد الرسام بعد ذلك أن يضيف على لوحته الزيتية معنى سياسياً
 فقدمها هدية الى جميع الفاتحين في العصر الحاضر وفي الماضي والمستقبل شأن
 ما يبدو في الكتابة البادية على اطار اللوحة . ومع أنه لم يكن من أنصار
 الحرب فقد أشاد ببطولة الجندي الروسي وشجاعته . ورأينا في إحدى اللوحات
 التي تمثل المعارك التي دارت رحاها بين الجيش الروسي والأتراك (١٨٧٣)
 كيف كان جواب الجيش الروسي المحاصر لطالبي الاستسلام اذهبوا الى الشيطان
 (Go to the devil) كما يبدو في أسفل اللوحة ، وكذلك لوحات تمثل الجيش
 الروسي قبل المعركة مع الأتراك وبمدها والجثث الكثيرة التي تملأ الأرض .
 ومن اللوحات التي تمثل الحياة في آسيا الصغرى اللوحة التي يبدو فيها مشهد بيع
 الرقيق وباب تيمورلنك (١٨٧٢) ، ومن لوحاته في الهند ضريح تاج محل في
 أغرا . ورسم عدا ذلك بعض اللوحات التاريخية التي يضمها متحف التاريخ في
 موسكو كنبوليون في روسيا والتي تمثل بطولة الجيش الروسي في الحرب الوطنية
 (١٨١٢) . لذا يمد الناس لوحات هذا الرسام مصداقاً على كرهه حرب العدوان
 ودليلاً على وطنيته الملتزمة .

وللرسام فازنتزوف (V. Vasentsov) لوحة رائعة (١٨٨٠) عنوانها بمد
 المعركة وهي المعركة التي دارت رحاها بين الجيش الروسي والمغبرين من رجال
 القبائل ، فترى في هذا المشهد جثث القتلى مبعثرة فوق الأديم والقمر في كبد
 السماء يضيء ساحة الوغى بنوره الباهت والنسور تتسابق على التهام أولئك الضحايا
 وكأنها بتطاحنها فوقها في معركة تلتحم فيها الأجنحة بعضها في بعض مما يضيف
 على اللوحة المذكورة التي طار صيت الرسام بسببها روحاً شاعرية سامية .
 ولوحة الرسام نفسه المعروفة بالبواصل (Warriors) الثلاثة من اللوحات

التي استنسخت وتراها تزين الكثير من قاعات الاستقبال حتى ان شركة من شركات صنع اللوائف قد اتخذتها شارة لمصنوعاتها .
وانتهى بنا الطواف في قاعات هذا المتحف الى زيارة قاعة أوكرانيا وفيها الصور الزيتية الرائعة وفي مقدمتها اللوحة الكبيرة التي تغطي أحد الجدران وفيها مشهد حفلة ذكري التحاق أوكرانيا بروسيا وصرور ٣٠٠ سنة عليه .

جامعة موسكو :

وهي الجامعة الجديدة التي بنيت في مكان يعرف بهضبة لينين والتي هي أول ما يراها القادم من المطار في طريقه الى العاصمة ، ويمد مظهرها مع الكرملين أجمل طابع لعاصمة السوفيت . وتحمل الجامعة اسم العالم الروسي لومونوسوف (Lomonosov) الذي رأينا في لبتنفراد متحفاً خاصاً به يشتمل على ما يمثل تاريخ حياته نحتاً ورسمًا .

ويعود تأسيس هذه الجامعة الى سنة ١٧٥٥ (وعلى ذلك فقد احتفل بمرور ٢٠٠ سنة على التأسيس في أيار سنة ١٩٥٥) ولقد كان مقرها في المبنى الذي يشغله معهد الآداب الأجنبية الآن والسكيات التابعة لها مبعثرة في أنحاء مختلفة من العاصمة . وبوشر في بناء هذا الصرح الضخم سنة ١٩٤٩ وانتهى البناء سنة ١٩٥٣ وقد قيل لنا ان تكاليف البناء المذكور قد بلغ مليارين من الروبلات والمساحة التي تشغلها الجامعة ٣١٧ ألف هكتار .

ويرى الداخل الى باحتها الفسيحة جداً مبنى مركزياً له جناحان ووراء عدة مبان . فالجزء المركزي شاهق يشتمل على ٣٣ طبقة وارتفاعه ٧٨٢ قدماً (وبعد لذلك أعلى من أي مبنى في الولايات المتحدة ما عدا المباني الستة في مانهاتان (Manhattan) أما جناحها المبنى المذكور فيشتمل كل منها على ١٧ طبقة ، وحول هذه الأجزاء الثلاثة عدة أبنية للسكيات والمختبرات ومرصد الجو .

ولا أدل على عظمة هذه الأبنية بمجموعها (وربما عدت أكبر جامعة في العالم) من أن ٥٠٠ مجموعة من الشركات قد اشتركت في إنجاز البناء وان فيها ١٠٠٠ قاعة للتدريس والاختبار وان مجموع سطح السقف فيها يبلغ ٤٢٦٥ هكتار وانه يقتضي لزيارة جميع الأمكنة فيها اجتياز مسافة ١٤٥ كيلومتراً ، وان مجموع طول الممرات التي فيها يبلغ ١١٠ كيلومترات .

ويزيد الدليل على ذلك ان ماتحويه من ١٢٠ ألف غرفة لو أتيح للوليد أن يبيت منذ ولادته ليلة واحدة في كل غرفة من الغرف في الجامعة لما انتهى قبل أن يبلغ الستين من العمر .

وللجامعة في الوقت الحاضر ١٢ كلية و ١٨٠ رئيساً للتدريس وعدة مراكز للبحوث العلية ، وتحتوي ٩ معاهد للبحوث بينها معهد سترنبرغ (Sternbug) الفلكي وحديقة النبات التي تعد أقدم حديقة من نوعها في البلاد .

وترتبط جامعة موسكو بوزارة التعليم العالي ولا ترتبط كلية الطب بها ، فيها زهاء ١٨٠٠٠ طالب^(١) بدرسوا على أيدي ٢٠٠٠ أستاذ ومساعد منهم ٢٠ أعضاء في الجامعات العلمية .

ونعني الجامعة بمزج التعليم النظري بالتطبيق العملي ، ويستهدف البحث في المختبرات ومراكز الاختبار البحث بكل ما يتصل بالاقتصاد الوطني . وفي الطبقة العليا من البناء المركزي قاعات متحف علم طبقات الأرض مع ما يحويه من معروضات تمثل الثروة المعدنية في البلاد .

ومن السهل الارتقاء الى الطبقات العليا والوسطى من هذا البناء الضخم بالمصاعد الكثيرة التي تحترق أرجاءه وعددها ١١٤ منها ما يصعد به حتى الطبقة ٢١ ثم يرتقى بمصعد آخر حتى الطبقة العليا . وبعد انتهاء الزيارة هبطنا بمصعد واحد حتى الأرض وكانت السرعة زهاء ٣٦٥ متر في الثانية .

(١) وقد ذكر لي الزميل الدكتور جميل صليبا أن هذا الرقم قد أصبح ٢٣٠٠٠

في هذه السنة (١٩٥٧) .

وتبلغ مساحة حديقة النبات ٤٣ هكتاراً في منتصف باحتها الفسيحة بناءً
 ذو أربع طبقات لكلية الأحياء (Biology) وعلم الطفولة (Pedology)
 وتضم عدة مبانٍ أخرى للبحوث وإتماء النبات والاقليم الاصطناعي .
 وقاعة الاحتفالات على غاية من الترتيب والتنظيم تستوعب لـ ١٥٠٠ و٦٠٠
 سقف الممرات في الطبقة الأولى بصور مشاهير العلماء في العالم لاحظنا بينهم صور
 لبعض العلماء العرب وطبيعي أن يكون معظم العلماء ممن ينتمون بصلة الى الاتحاد .
 وفي الجامعة ٤ مطاعم يستوعب كل واحد منها ١٠٠٠ و ٣٥ مقصفاً (بوفيه)
 وذكر لنا أن ثمن الوجبة من الطعام يختلف بين ٢٥٠ روبل و ٥٠ روبلات .
 والكتب المدرسية تعطى الى الطلاب بالمجان .

وإن مما خصص للطلاب من مساعدات ١٠٠٠٠ روبل لكل طالب في كلية
 الآداب و ٢٠٠٠٠ روبل لكل طالب في كلية التاريخ الطبيعي . ولا يطلب
 من الطالب سوى دفع ٤٠٠ روبل سنوياً مع إعفاء أبناء مشوهي الحرب والمتقاعدين
 والفقراء من الدفع .

وإن من الطلاب من يتلقى عوناً مادياً يختلف بين ٢٥٠ و ٥٥٠ روبلاً في
 الشهر يرفع العون الى المتفوقين ٢٥ ٪ وعندما ينال أحدهم إحدى الدرجات يصبح
 العون المادي المذكور ٧٨٠ - ٩٠٠ روبل وإن في مكتبة الجامعة ٥ ملايين
 مجلدة وتعد في المرتبة الثالثة من دور الكتب للاتحاد السوفيتي ، فضلاً عن
 المكتبات الخاصة لكل كلية أو مؤسسة . وقد قيل لنا ان الطلاب الذين بدرسون
 في الجامعة ينتمون الى ٥٩ قومية (١) . والانتساب الى الجامعة تابع الى مسابقة
 تعد فيها علامة النجاح ٣ من خمس علامات ، في جانب اختبار الطالب نفسياً واجتماعياً .

(للبحث صلة) الدكتور حسني صبح

(١) إن ما هو متبع في بلاد الاتحاد السوفيتي ان التعليم الابتدائي اللغة فيه هي اللغة
 المحلية لكثرة سكان تلك الجمهورية ، وفي المرحلة الثانوية يصبح التعليم بالروسية
 إلزامياً وكذلك في الجامعة . ومع ان لغة التعليم الابتدائي باللغة المحلية فان
 كتابة كل اللغات إنما يكون بالأحرف الروسية وحدها .

كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي

- ١ -

١ - المقدمة

الموضوع :

أبو بكر محمد بن يحيى الشهير بابن الصائغ وابن باجة^(١) (المتوفى سنة ٥٣٣ هـ / ش / ١١٣٨ م) هو رئيس فلاسفة العرب في المغرب ، وإنه وإن اشتهر في عهده بأنه أكبر الشراح لفلسفة أرسطاطاليس بعد ابن سينا^(٢) ، وأنه سابق لابن رشد المعروف عند الأوربيين «بالشارح الفاضل» ، فذوو العلم لم يعرفوا فضله حتى المعرفة ، ولم يُنشر من مؤلفاته إلى الآن سوى كتابه (تدبير المتوحد) ، وبضع رسائل مختصرة . أما كتاب (تدبير المتوحد) فقد عُرف منذ القرون الوسطى ، وكان نقل إلى العبرية في القرن الثاني عشر ، وله ترجمة بالألمانية نُشرت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي .

وكانت كتب ابن باجة محفوظة في مخطوطين عميقين في خزاني أكسفورد

(١) لترجمة ابن باجة راجع بروكلمن (Brockelmann) : تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٦٠١ ، ضيمه ج ١ ص ٨٣٠ ؛ دائرة المعارف الإسلامية (Encyclopaedia of Islam) ج ٣ ص ٣٦٦ ؛ سارطن (Sarton) : Introduction to the Hystory of Science القسم ١ ج ١ ص ١٨٣ ، والمقري : نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠١ - ٢٠٦ .

(٢) انظر مقدمة المخطوطة (بودليانا ، نمبر ٣٠٦ بوكك ، Pock) لابن الإمام ؛ ابن أبي أصيمة : عيون الأنباء ، نشر مولر (Müller) ج ٢ ص ٦٣ ؛ ابن طفيل : حي بن يقظان ، تحقيق جوثيه (Gauthier) ص ١٢٠ .

وبرلين . فأخذت في مطالعة (كتاب النفس) في مخطوط بودليانا (اكسفورد) على أمل أن أقابله بمخطوط برلين ، ولكنني علمت من مراسلتي لمدير خزانة برلين ان المخطوط مفقود . وبعد هذا ظهر لي بوساطة الأستاذ پال كالي (Prof. P. E. Kahle) ان المخطوط كان قد نقل من خزانة برلين الى الشرق في زمان الحرب العالمية الثانية ففاب أثره .

والآن ليس لي معذرة في تحقيق هذا الكتاب معتمداً على مخطوط واحد إلا أن أقول إنه وإن تمسّر تحقيق كتاب دقيق ، وخصوصاً تحقيق كتاب في علم ذهني كالفلسفة بالاعتماد على نسخة واحدة ، لكنه من المعلوم أنه لا يوجد عندنا إلا مخطوط واحد ، فإن أريد تحقيق هذا الكتاب فلا بدّ من الاعتماد على هذا المخطوط وحده ، وهو مخطوط بودليانا ليس غير .

وحينما عزمت على التحقيق لم أجد بدأ من مطالعة المخطوط المذكور من أوله إلى آخره ، وهو مشتمل على ٢٢٢ ورقة ، فقابلت أكثر العبارات من (كتاب النفس) بالعبارات المترادفة التي وجدتها في مواضع أخرى ، وبدأت جهدي في تصحيح الكتاب على قدر الطاقة .

وقد أتم ابن باجة كتابه هذا ، ولكنه نقص مقدار يسير من آخر الكتاب من عند تلاميذه العزيز الوزير أبي بكر الحسن علي بن عبد العزيز الشهير بابن الإمام^(١) . وإنما وصلت كُتُب ابن باجة إلينا عن ابن الإمام هذا . فإنه جمع جميع ما كتبه ابن باجة في مجلد ضخيم ، فنقل منه تلاميذه . وقد ذكر ابن الإمام هذا النقص متأسفاً عليه^(٢) ، وإلى هذا أشار ابن طفيل ، معاصر

(١) ترجمته في عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ، تحقيق مولر (Müller) ج ٣ ص ٦٣ .
 (٢) راجع مخطوط بودليانا (Poc. 206. Fol. 4 A) ورقة ٤ ألف « وكتاب النفس ينقص منه مقدار يسير ذكر الوزير انه سقط منه بعد وقوعه اليه » ، أيضاً ورقة ١٢٠ ب : « وكتاب النفس ينقص منه مقدار يسير ذكر الوزير انه سقط منه بعد وقوعه اليه » .
 م (٧)

ابن باجة ومصنف قصة حي بن يقظان ، في مقدمة قصته المشهورة حيث قال : (١) « وأكثر ما يوجد له من التأليف إنما هي غير كاملة وعزومة من أواخرها ككتابه في النفس وتدبير المتوحد ، وما كتبه في المنطق وعلم الطبيعة » .

كتاب النفس - تأليف مستقل :

يذكر ابن باجة كتاب النفس كما يذكر كتاب تدبير المتوحد ، بالفاظ تدل على أنه تصنيف على الأصل ، وكتاب بنفسه . فإنه يذكر تأليفاته الأخرى بعبارة دالة على أنها مشروح لكتب أرسطاطاليس (٢) . فهذا التأليف تأليف مستقل ليس بشرح ولا تلخيص لكتاب آخر .

ولما وافق هذا التأليف كتاب النفس لأرسطاطاليس ، لاصيا الباب الثاني والباب الثالث منه ، في ترتيب المضمين وتوضيح أكثر المسائل من علم النفس ، لا يكاد يستبعد أن يقال انه تأليف لخصه ابن باجة من الكتاب المشار اليه آنفاً ، وأضاف اليه مسائل أخرى .

أسلوب ابن باجة في كتابه :

عرف ابن باجة في عصره بفصاحته في شعره وكاله في الغناء والموسيقى (٣) ، غير ان أسلوبه في كتبه الفلسفية دقيق ، وعباراته عويصة غامضة لا تخلو من الإغلاق والصعوبة . ولكن تليذه ونديه ابن الإمام يرى رأياً مختلفاً ، فقد نطق بفضله وبراعته في الإفهام والتفهم ، وبجسسه فهمه لكتب أرسطاطاليس (٤) . وقد يشهد كتابه في النفس على أنه سهل ممتنع في كثير من مواضع هذا الكتاب .

- (١) حي بن يقظان ، تحقيق جوتييه ص ١٢ - ١٣ .
 (٢) راجع المخطوط نفسه ، ورقة ١١٣ ب : « كتبنا في كتاب النفس » ، ورقة ٣٢٠ ألف : « وقد لخصنا في كتابنا في النفس » ، ورقة ٨٩ ألف : « كتبناها في شرح الرابعة من الآثار » .
 (٣) راجع ابن خلدون : تاريخه ، ج ١ ، نشر بولاق ، ص ٥١٩ ؛ القرني : نفع الطيب ج ٤ ، ص ٢٠١ - ٢٠٦ ، سارطن : مقدمة ، ج ١ ص ١٨٣ .
 (٤) انظر الصفحة التالية .

وكما أن الفارابي ، وعلى كتبه كثيراً ما يعتمد ابن باجة ، يمد عبارته كلما ينشوق الى توضيح مقاله ، ابن باجة أيضاً يخلّ بالمعاني حينما يميل الى تفصيل قوله بأصهل عبارات . وله اعتراف بهذا التقصير ، وكثيراً ما تأسف لهجزه عن تبديل العبارات لضيق الوقت ^(١) . فأحياناً نجد عباراته لا توافق قواعد علم النحو ، خصوصاً الضمائر التي تختلف عن المراجع في التذكير والتأنيث ، والأمثال كثيرة لا تكاد تؤول جميعها الى الكاتب وحده . وكاتب المخطوطة نفسه عالم بالأدب ، وكان وليّ القضاء وطارت شهرته ، في ذلك العصر ، في الأدب والعلوم الفلسفية ، وهو من تلاميذ ابن الإمام ، فلا يمكن أن يقال انه أخطأ في الكتابة في سائر مواضع الأغلاط ^(٢) . ولقد أصاب ابن طفيل ، معاصر ابن باجة الأصغر ، حيث يقول ^(٣) : « وقد صرّح هو نفسه بذلك ، وذكر أن المعنى المقصود برهانه في رسالة الانصال ليس يعطيه ذلك القول اعطاءً بيناً إلا بعد عمر واستكراه شديد ، وان ترتيب عبارته في بعض المواضع على غير الطريق الأكمل ولو اتسع له الوقت مال لتبدلها » .

أثر ابن باجة على معاصريه :

على رغم هذا لقد أثر تفكير ابن باجة على معاصريه تأثيراً عميقاً ، وخصوصاً على ابن رشد وابن طفيل . وظاهر ان ابن رشد كتب جوامعـه أي جوامع

- (١) راجع الأندلس ، ١٩٤٢ م ص ٢٢ و ٢٣ ؛ تلخيص كتاب النفس لابن رشد ، تحقيق الدكتور احمد فؤاد الاهواني ، ص ١١٧ : اثبت هذا القول في زمان منقصر بالداخل اليّ والخارج عني . فلما قرأته رأيت فيه تقصيراً عن افهام كنت اردت افهامه ، فان المعنى المقصود برهان ليس يعطيه هذا القول اعطاءً بيناً إلا بعد عمر واستكراه شديد وكذلك وجدت ترتيب العبارة في مواضع على غير الطريق الأكمل ، ولم يتسع الوقت لتبدلها .
- (٢) المخطوط نفسه ، ورقة ١٢٠ ب : قال القاضي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد ابن النصر وهو المعروف بالأديب .
- (٣) حي بن يقظان ، تحقيق جوتييه ص ١٣ .

كتب أرسطاطاليس التي قد انطبعت بأجمعها ، سوى (كتاب الحس والمحسوس) ،
 يجدر اباد (هند) تحت عنوان « رسائل ابن رشد » بعد مجموعة ابن باجة
 التي جمعها ابن الإمام تحت عنوان « مجموعة من كلام الشيخ الإمام الوزير أبي بكر
 محمد بن باجة الاندلسي » مخطوبة على شروحه على كتب أرسطاطاليس في
 الطبيعيات ، والآثار العلوية ، والحيوان ، وعلى رسائل أخرى ، ولذلك نجد
 مصنفات ابن رشد وابن طفيل متأثرة بمصنفات ابن باجة .

ولقد أقرّ ابن رشد نفسه في كتابه - تلخيص كتاب النفس^(١) - بأوضح
 عباراته - أن كل ما بينه في بحث العقل هو رأي ابن باجة . ولكنه أحياناً ينتقد
 على ابن باجة في أفكاره ، كما ينتقد على الفارابي وابن سينا في بعض من أفكارهما^(٢) .
 والفوائد الموضحة التي أضفتها إلى نص الكتاب بأفضل الصفحات قد تفصح عن
 قدر ما اقتبسه ابن رشد .

قيمة كتاب النفس :

كتاب النفس لابن باجة ، له قيمة في تاريخ علم النفس عند المسلمين ،
 فإنه يطلعننا على بعض مآخذ كتب ابن رشد ومراجعها ، وأيضاً يملأ الفراغ
 بين الفارابي وابن رشد .

لقد ترجم اسحاق بن حنين كتاب النفس لأرسطاطاليس في القرن التاسع
 الميلادي^(٣) بالعربية ، وإنهم عثروا في هذا العصر على نسخة من هذه الترجمة
 باستانبول ، ولم تنشر بعد . وأعدّ الاسكندر الافروديسي تلخيصاً لهذا الكتاب
 (الموجود باليونانية والعبرية) ، وكتب الفارابي شرحاً عليه^(٤) ولم يعثر عليه

(١) تحقيق الدكتور الازهواني ، ص ٩٠ ، وهذه المارة غير موجودة في نسخة
 حيدرآباد المطبوعة .

(٢) انظر رسائل ابن رشد ، حيدرآباد ، ١٩٤٦ ، ص ١١٠ .

(٣) الفهرست لابن النديم ، تحقيق فلوجل (Flügel) ، لپسك ج ١ ص ٣٥١ ،

تاريخ الحكماء للفطحي ، نشر لپرت (Lippert) ص ٤١ .

(٤) الفطحي : تاريخ الحكماء ، ص ٢٧٩ .

أحد إلى يومنا هذا . وابن النديم يذكر لنا أن شروحا لثامسطيوس ، وسيحفظيقيوس ما عدا الشروح السالف ذكرها كانت موجودة بالعربية ^(١) . والذي يتراءى أن ابن البطريق أول من كتب « جوامع » كتاب النفس ، وهناك رسائل أخرى عديدة لها عنوان كتاب النفس ذكر ابن النديم في الفهرست أنها كانت موجودة باللغة العربية ، وهي تحت ثاؤفرسطس (ص ٢٥٢) ، الامسكندر الافروديسي (ص ٢٥٣) ^(٢) ، ثامسطيوس (ص ٢٨٣) ، فلرطرخس (٢٥٤) ^(٣) ، وارسطن (ص ٢٥٥) ، ولكن لم نطلع على مخطوطة من هذه الرسائل إلى الآن . وقد نشر الدكتور أحمد فؤاد الأهواني المصري مع تلخيص كتاب النفس لابن رشد نصاً عربياً تحت عنوان « كتاب النفس المنسوب لاسحق بن حنين » ، والظاهر انه ليس بترجمة ولكنه شرح على كتاب النفس ، كتب ، كما أظنه ، قبل اسحاق بن حنين ، وله ترجمة فارسية قد عثرت على عدة نسخ منها في مكتبة بودليانا ^(٤) ، والمتحف البريطاني ، ونشرت مقالة ، فيها قابلت هذه المخطوطة الفارسية بالنص العربي في مجلة المجمع الملكي الآسيوي البريطاني بلندن ^(٥) .

إلى هذا اليوم لم ينشر شرح على كتاب النفس لارسطاطاليس سوى النص العربي الذي أشرت إليه آنفاً ، فكتاب النفس لابن باجة له مزينة أخرى من ناحية التقديم ، فإنه أول نص بلخص لنا سائر ما يوجد في الأبواب الثلاثة لكتاب النفس لارسطاطاليس .

(١) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٥١ .

(٢) الففطي : تاريخ الحكماء ، ص ٥٤ .

(٣) أيضاً ، ص ٢٥٧ .

(٤) مخطوط بودليانا (Mss. Ous. 95) ورقة ٤١ ب - ٥٢ ب ، وفي آخر المخطوطة :

« تمام شد مقاله ميبوم وبتامی آن کتاب نفس منسوب بارسطاطاليس در وقت

غروب خورشيد روزيكشنبه ورقم بتاريخ شهر جمادى الثاني سنة ١٠٣٩ -

١٦٦٩ ، والحمد لله رب العالمين »

(٥) The Journal of the Royal Asiatic Society, London, April, 1936

والمعجب أن ابن باجة يذكر في كتابه الفارابي والاسكندر الافريديسي ،
وجالينوس وثامسطيوس ، كما يذكر أرسطاطاليس وأفلاطون ، ولكنه لم يذكر
ابن سينا الذي هو متقدم عليه ، مع أن ماسرده ابن الامام ، تليذه الرشيد ،
تقدمة للمجموعة ، يشهد بأن ابن سينا كان معروفاً بين العلماء بأرض الأندلس
وكانوا مهترفين بفضلها ، حيث يقول ^(١) (ورقة ٤ ألف) :

« ويشبه أنه لم يكن بعد أبي نصر الفارابي مثله في الفنون التي تكلم عليها
من تلك العلوم ، فإنه إذا قرنت أقاويله فيها بأقاويل ابن سينا والفزالي وهما
الذان فتح عليهما بعد أبي نصر في المشرق في فهم تلك العلوم ، ودوننا فيها ،
بان لك الرجحان في أقاويله وفي حسن فهمه لأقاويل أرسطو ، والثلاثة أئمة
دون ريب ، وآتون ما جاء به من قبلهم من بارع الحكمة عن يقين يتاز به
أقاويلهم ويتواردون فيها مع السلف الكريم » .

النفس وقواها :

يعرف ابن باجة « النفس » في كتابه ، كما عرفها أرسطاطاليس ، بأنها
استكمال أولي للجسم طبيعي آلي ، ويفصل القوى الثلاث للنفس - الغازية
والحساسة والتخيّلة - ، ويقول عن الناطقة بأن النفس يقال عليها بنوع من الاشتراك .
والنفس عنده من المتفقه أقوالها ، فلماذا لا يمكن تعريفها من جهة واحدة .
وتعرف بنحو من الاشتراك فقط . وإنما يتعلق فحصه عن النفس ، بالجملة ،
بتنفس الحيوانات .

القوة الغازية :

القوة الغازية معترف بأنها استكمال أولي للجسم الآلي المفندي ، وتساعد
قوتان - النامية والمولدة .

(١) وهذه العبارة نقلها أيضاً ابن ابى اصيعة في طبقاته : عيون الأنباء ، نشر مولر
(Müller) ج ٢ ص ٦٣ .

فالفاذية تمد من الغذاء في المفتدي ما يستعمل لحفظ البدن ونموه وآخر للتنازل . وكما أن الفاذية تصنع الغذاء جزءاً لأعضاء المفتدي ، تصنع المولدة في البدن جسماً من نوعه ، وتولده .

ولمّا كان محرك المولدة عقلاً بالفعل لا يختلط الأمر عليها ولا تولد إلا من نوع بدنها . وهذا التنازل قد يكون عن « محركاتٍ أُخرى مثل العفونة في الحيوان الذي يتكون عنها » .

القوة الحساسة :

وعرفت القوة الحساسة بأنها استكمال أوّلي لجسم آلي حاسّ ، وهي تدرك الصور المحسوسة ، ولها حواس ، ولكل حاسة آلة ، فلهاذا يقول ابن باجة إنها النفس ^(١) . وهذه الحواس هي البصر والسمع والشم والطعم واللمس والحس المشترك . والقوة المحركة التي أشار إليها ^(٢) ولكنه لم يفصل عنها ، هي ، في ظني ، القوة النزوعية التي قد فصلها ابن باجة في رسالة مستقلة ، وقد بين فيها أن النفس النزوعية جنس لثلاث قوى ، وهي النزوعية بالخيال ، والنزوعية بالنفس المتوسطة ، والنزوعية التي تشعر بالنطق . والأوليان مشتركتان عنده في الحيوان وبها تكون التربية للأولاد والتحرك إلى المكان والأشخاص والالف والمشق ، والغذاء والديار . والثالثة يختص بها الإنسان فقط ^(٣) .

(١) راجع النفس : والخمس التي هي الحواس يتبن من امرها انها أنفس .

(٢) ايضاً : والسابعة هي القوة المحركة .

(٣) راجع مخطوط بودليانا ، ورقة ١٣٩ ب : والنفس النزوعية إما ان تكون جنساً لثلاث قوى ، وهي النزوعية بالخيال ، وبها يكون التربية للأولاد والتحرك إلى اشخاص المكان والالف والمشق وما يجري مجراه ، والنفس النزوعية بالنفس المتوسطة وبها نشاق الغذاء والديار ، وجميع الصنائع داخلة في هذه ، وهاتان مشتركتان للحيوان ، ومنها النزوعية التي تشعر بالنطق وبها يكون التعليم ، وهذه يختص بها الإنسان فقط .

وعلى غير منهج الفارابي ، إن صحت نسبة رسالة الفصوص له ^(١) ، وعلى غير منوال ابن سينا ^(٢) ، ابن باجة لا يصف الخواص قط بأنها « ظاهرة » أو « باطنة » ، ولا يذكر « المصورة » وإن نسب « الحفظ » للحس المشترك ^(٣) .
 وأما كيف يقع الإدراك وكيف يكون الحس ؟ فإنه يبين ، تباعاً لأرسطاطاليس ، أن الإدراك هو قبول صور المحسوسات . ولما كانت الصورة منخازة بالمادة أوضح أن المراد من الصورة هنا هي نسبة تخصصها ، وهي هيولى بالتقديم وهيولى المدركات يقال لها هيولى بالتأخير . ولما كانت المعاني المدركة لها علاقة بالمادة فنحن نقدر على إدراك الخواص الهيولانية .

القوة المتخيلة :

قوة التخيل هي استكمال أولي لجسم متخيل آلي ، والتخيلة تتقدم عليها الحاسة فإنها تستخدمها بتقديم المواد إليها ، ولهذا يوصف التخيل والحس بأنها نوعان من إدراك النفس ، والفرق بينهما ظاهر فالحس خاص والتخيل عام .
 والقوة المتخيلة تنتهي الى القوة الناطقة التي فيها يفصح الإنسان عما في ضميره ، وبها يكون التعلم والتعليم .
 والحاصل أن النفس ، كما يبينها ابن باجة نفسه ^(٤) ، هي القوة الفاعلة ، لها

(١) رسالة الفصوص ، نشرها ديترهبي (Dieterici) : Al - Farabi's Philosophical : Abhandlungen, 73, 74 . وقد أثبت خليل الجرجاني (Khalil Geor) في مقالته في Revue des Etudes Islamique, 1941 - 46, 31 - 39 أن نسبة الرسالة الى

الفارابي خطأ ، وإنما هي من مصنفات ابن سينا .

(٢) راجع الشفاء مخطوط بودليانا ، الأوراق ١٦١ ألف ، ١٨٢ ألف ، ١٨٣ ألف ،

وفضل الرحمن : Avicenna's Psychology :

(٣) النص

(٤) مخطوط بودليانا ، ورقة ٢٢٠ ب : فان النفس الفاعلة ، وذلك لأن النفس

يقال على نحوين كما تلخص فيما كتبناه في النفس ، فالنفس إذا قيلت على الكمال الأول كانت قوة منفصلة ، وإذا قيلت على الكمال الأخير كانت قوة فاعلة .

طبع مزدوج ، فحينما يقال ان النفس استكمال أولي فهي قوة منفصلة . وحينما يقال انها استكمال أخير فهي قوة فاعلة . وقد أضحيت اثنيانية « المادة والصورة » و « المحرك والمنحرك » و « الفعل والانفعال » ، و « الأول والأخير » - وهي مزينة معروفة لفلسفة أرسططاليس - أصلاً طبيعياً لسائر الحجج التي سردها ابن باجة في هذا الكتاب .

وبقول ابن باجة في رسالة أخرى في النفس الناطقة انها « موهبة إلهية » بها تبصر النفس الناطقة « الموهبة » نفسها كما انها « ترى بقوة العين ضوء الشمس بضوء الشمس »^(١) ، وقال في موضع آخر : « إن هذه الموهبة هي الاتصال بالعقل الفعال »^(٢) .

وله سوى هذه الرسالة رسائل أخرى في تفصيل نواح شتى من النفس خصوصاً « النفس النزوعية » و « الوقوف على العقل الفعال » ، و « ماهية الشوق الطبيعي » وغيرها ، وفيها بين أفكاره في العقل ، والنبوة والوحي ومسائل أخرى . فأخذ ابن باجة بوضع علم النفس على منهج أرسططاليس وانتهى أخيراً إلى مسألة النبوة كما وصل إليها ابن سينا ، وكما فصّلها الإمام الغزالي في رسالته

(١) ايضاً ، ورقة ١٣٦ ب : ورأى بقوته الناطقة حين فاضت عليها الموهبة ، تلك الموهبة كما ترى بقوة الدين ضوء الشمس بضوء الشمس ، والسبب القريب في إدراك المقولات وحصول القوة الناطقة بالفعل هو الموهبة التي هي مثل ضوء الشمس ويصير بها ويرى مخلوقات الله تعالى حتى يكون من يؤمن بالله وملائكته وكتبه النخ . ورقة ١٣٧ ألف : والتفاضل في موهبة الله التي بها تبصر القوة الناطقة متقارب بحسب ما يمطيه الله ايضاً في اول خلقه الانسان من الاستعداد لقبول الموهبة التي بها تبصر القوة الناطقة

(٢) ايضاً ، ورقة ١٣٦ ب : ويرى مخلوقات الله تعالى حتى يكون كتبه ورسله والدار الآخرة ايماناً يقيناً فيكون من الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، ولا فكرة إلا بتلك الموهبة ، وتلك الموهبة هي اتصاله بالعقل الفعال .

(مشكوة الأنوار) ، وقد اعترف ابن باجة بفضل الإمام الغزالي وذكره بالاحترام والإكرام^(١) .

والتزمتُ في الشرح بجمع المواد التي يتيسر بها فهم النص العربي . وبعد أن ذكرت الشواهد والمترادفات من كلام ابن باجة أشرت إلى مآخذ الأفكار في فلسفة أرسططاليس ، وفي كتب الفارابي وابن سينا وغيرهما من الفلاسفة اليونانيين والمسلمين .

ولهذه مهارتي بالإغريقية اعتمدت على الترجمة الانكليزية للكتب اليونانية وخصوصاً كتب أرسططاليس التي نشرت باكسفورد .

هذا ونشكر لحضرات الأستاذ ح . ر . ج . (H. A. R. Gibb) ، والأستاذ ريجرد والسر (Richard Walzer) ، والأستاذ واندن برك (Van Den Bergh) على ما بذلوه معي من عناية في تصحيح الكتاب وما علق عليه من التعاليق ، وحضرات أمناء خزانة بودليانا باكسفورد ، فلهؤلاء جميعاً عاطر الشناء .

* * *

(١) ايضاً ، ورقة ١٢٣ ب : والطريق للصوفية المستعملين للقبول ، وطريق الغزالي من الطرق الموصلة والطرق المأخوذة أولاً عن نبينا صلى الله عليه وسلم . ورقة ١٢٤ ب : وانظر مع نظرك في مقالات الخير في عيون المسائل ، ثم في قول ابني حامد تجرد الشكل من نمط واحد والشكل في التأويل مع الكتاب العزيز متفق

ورقة ١٢٥ أ : انظر إلى قول الغزالي في آخر كتاب المشكوة فإنه يمتدح ان الأول فطسّر جميع الفاعلين ان يفعلوا ، والمنفعلين ان يفعلوا ، وانظر إلى قول ابني نصر في عيون المسائل يقول : ان نسبة جميع الأشياء إليه من حيث انه مبدعها (ورقة ١٢٥ ب) او هو الذي ليس بينه وبين مبدعها واسطة

٢ - المخطوطة

كتاب النفس لابن باجة جزء من مخطوطة موجودة بمكتبة بودليانا تحت رقم بوكك ٢٠٦ (Pocock 206) ، وعنوانها « مجموعة من كلام الشيخ الإمام العالم الكامل الفاضل الوزير أبي بكر محمد بن باجة الأندلسي رضي الله عنه » ، عدد أوراقها المكتوبة ٢٢٢ (اثنان وعشرون ومائتان) ، كل صفحة « $3\frac{3}{4} \times 7\frac{1}{4}$ » ، وتحتوي على ٢٧ وأحياناً على ٣٢ (اثنين وثلاثين) سطراً ، وكانب النسخة رجل عالم وهو الأديب القاضي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد ابن النضر الذي انتسخها بقوص في شهر الربيع الآخر سنة ٥٥٤٧ . ش .
 (١١٥٢ م) ، وقابلها بالنسخة الأصلية لابن الإمام الذي قرأ نسخته على المصنف ، وقد أتم القراءة في الخامس عشر من رمضان المبارك سنة ٥٥٣٠ . ش .
 (١١٣٥ م) ^(١) - أي قبل موت ابن باجة نفسه بثلاث سنين . فهذا التاريخ يحكم قطعاً بأنه رحمه الله تعالى مات سنة ٥٥٣٣ . ش / ١١٣٨ م ، أي بعد

(٢) وهو ظاهر من عبارة المخطوطة ١٢٠ ألف :

« وحيث انتهيت إل مثل هذا الموضع من الأصل وجدت ماثله : قابلت بجميع ما في هذا الجزء جميع الأصل المنقول منه وهو بخط الشيخ العالم الورع الزاهد البر المدل النقي عصمة الأخبار وصفوة الأبرار السيد الوزير أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن الامام السرقسطي وهو ينظر في اصله الخبوه به من يد فريد دهره وبشير عصره ونادرة الفلك في زمانه أبي بكر مجمل بن يحيى بن الصايغ المعروف بابن باجة قراءة بقراءة على المصنف باشيلية والعزيز المذكور ادام الله عزه يومئذ عامل عليها ومستأدّ لخراجها وما اضيف من العمل إليها ، وكان فراغ الوزير من قراءة هذا الجزء عليه في تاريخ اخرة اليوم الخامس عشر من شهر رمضان سنة ثلثين وخمس مائة . وكتب الحسن بن محمد بن محمد بن محمد ابن النضر بقوص في شهر ربيع الآخر سبع واربعين وخمس مائة ، نسأل الله سبحانه علماً تالماً في الدنيا والآخرة إنه على ما يشاء قدير . »

٥٥٣٠ ش / ١١٣٥ م ٦ لافي سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م كازعمه بعضهم (١) .
وفي صفحة ١١٨ ألف عبارة أخرى توثق التاريخ الأول وتدل على أن
الكاتب الحسن بن النصر نقل هذه النسخة الى الورق المذكور في آخر الربيع
الأول سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م وقابل النسخة بالأصل المكتوب بيد أبي الحسن
علي بن عبد العزيز بن الإمام :

« وحيث انتهيت إلى مثل هذا الموضع من الأصل وجدت ما مثاله : قابلت
جميع ما في هذا الجزء من الأصل المنقول منه وهو بخط الشيخ العالم الأوحى
الكامل الفاضل الزاهد أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن الإمام وكل بقوص
في سلخ شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وخمس مائة ، وكتب الحسن بن
النصر في التاريخ المذكور (المخطوط : المذكور) » .

ونسخة برلين كما يظهر من فهرس اهلوت (Ahlwardt) ج ٤ رقم ٥٠٦٠ ،
تاريخ كتابها الجمادى (الأولى) سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٧١ م . هذه النسخة
تتمايز عن نسخة بودليانا في أنها احتوت على مصنفات ابن باجة في الطب والأدوية
والتنجيم وغيرها أيضاً ، وعلى مقالات الاسكندر الافروديسي في البصر واللون
التي خليت منها نسخة بودليانا . وفي تحقيق اهلوت (Ahlwardt) هذه النسخة
مبنية على نسخة ابن الإمام ، ولكن المحتويات ترشد الى أن سائر ما وجد في
نسخة بودليانا كان موجوداً في نسخة برلين سوى كتاب تدبير المتوحد والمقالات
في المنطق . وإن نسخة برلين كانت أوفى وأكمل فهي مشتملة ، كما ذكرت
آنفاً ، على مقالات شتى في فنون أخرى ، بخط مغربي حسن .

و (كتاب النفس) في نسخة بودليانا جاء في ست وعشرين ورقة ونصف صفحة
من ورقة . (من ورقة ١٣٨ ب الى ورقة ١٦٥ ألف) ، والنسخة قد أصيبت

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ، نشر Wüstenfeld ج ١ - ٧ ، نمبره

في مواضع كثيرة بالرطوبة الخارجية فتلاصقت الأوراق بعضها ببعض . وإنها وإن كانت في خط حسن نسخي إلا أنها كانت أحياناً غير منقوطة وغير معربة كما هو عام في المخطوطات الفلسفية . والأسلوب في الكتابة غريب فالألف والكاف واللام مكتوبة في شكل واحد لا يتيسر للقارئ أحياناً تمييزها . هذا مع أن النسخة مملوءة بالأغلاط النحوية التي صيرت النسخة عويصة جداً ، لا يسهل فهمها للأذهان^(١) .

وبعد أن قابلت كتاب النبات بتمامه ، ورسالة الوداع ، ورسالة اتصال العقل وهما ناقصتان في نسخة بودليانا ، (وقد نشر الرسائل الثلاث المرحوم الأستاذ آسين بلاسيوز (Prof. Asin Palacios) من النسختين^(٢)) ، بنسخة بودليانا ظهر لي أن نسخة برلين كانت مفيدة جداً لمن أراد التحقيق في أجزاء من المجموعة ، فالنسختان قد تختلفان في النص ، فان فقد لفظ في نسخة أحياناً ، زيد لفظ في الأخرى^(٣) .

علي أني قد اختلفت في مواضع كثيرة من الرسائل المذكورة من قراءة الأستاذ المذكور^(٤) ،

(١) مقالة دنلوب (Mr. Dunlop) المنشورة في J. R. A. S. 1945. p. 62 .

(٢) انظر مجلة الاندلس ، ميدرد 1940، 42، 43 . Al-Andalus

(٣) مثلاً « النزوعية » لا توجد في نسخة برلين ، ويوجد في حاشية نسخة اكسفورد ؛ انظر الأندلس ١٩٤٢ ، ص ١٢ (رسالة الاتصال) . وإن اردت الأمثال فانظر الأندلس ج ٥ ، ١٩٤٠ ، ص ٢٦٦ - ٢٧٨ (كتاب النبات) وقابل بالمخطوطة .

(٤) مثلاً قرأ الأستاذ آسين « القوة التنمية » في موضع « القوة المنمية » ، انظر الأندلس ج ٧ ، ١٩٤٢ ص ١٢ ؛ أيضاً ١٩٤٠ ، ص ٢٦٧ : « فان كان للنبات ذكر واثى فائما يجب ان يكون ذلك في التميز فقط فأما ما ليس بتميز . . . » وقراءتي « المثمرة » و « بثمر » في الموضين ، في نسخة اكسفرد : « التميز » و « بثمر » .

وقد ترك أيضاً بعضاً من الألفاظ سهواً^(١) . وأما (تدبير المتوحد) الذي نشره الأستاذ المذكور فإنه أحسن تحقيقاً من الورقات التي نشرها من الكتاب السالف ذكره المستشرق دنلوب (D. M. Dunlop) فإنه مثلاً، قرأ «النشكيك» «تشكيلاً» ، و «المشككة» «مشككة» . وهكذا قرأ «المهين» موضع «المهن» ، و «رؤف» موضع «ردف» ، و «لهتين» موضع «لهذين» ، و «لذلك لا يرد» والجهور» موضع «ولذلك لا يردف الجهور» ، و «الأمر الحربية» موضع «الأمر الجزئية»^(٢) .

والنص على ما ذكرت مملوء من الأغلط التي وقعت إما من الكاتب أو كانت في الأصل الذي كان بخط ابن الإمام . واجتهدت في تصحيح كثير من الأغلط في النص وأثبت ألفاظ المخطوطة في الأسفل في كل من الصفحات . والألفاظ التي أضفتها من عندي لتوضيح العبارة أو المعنى وضعتها بين قوسين هكذا : < > . وقد وجدت فراغاً في مواضع عديدة فبذلت جهدي في سد هذا الفراغ في كثير من المواضع الخالية . ورغمما عن هذا يمكن أني سهوت عن بعض الفراغ فبقي غير مسدود .

وكما ذكرت من قبل ، هذه النسخة عميقة جداً فصارت رديئة في كثير من المواضع في أوراق كثيرة ، فكثيراً ما تلاصقت الأوراق للرطوبة التي لحقتها ، وعندما فرقوا الأوراق ضاع كثير من الحروف أو الألفاظ بأمرها ، فالعبارة

(١) انظر مثلاً ، الأندلس ، ١٩٤٢ ، ص ١٢ : السطر الأخير : « فإنا يكون حينئذ انساناً بالقوة » ، في نسخة اكسفرود « بالقوة الفكرية » (ورقة ٢١٦ ب) : ١٩٤٣ ص ٣٧ : « وذلك في اليسار فيكون كالحاكم » وفي المخطوطة : « . . . فيكون كالك كالحاكم » ؛ ص ٤٠ : « إذ هو منقسم » ، في المخطوطة : « إذ هو جسم منقسم » .

(٢) انظر J. R. A. S. 1945, p. 64

بقيت نافذة لا يتضح معناها . لقد أثبتت هذه المبارات بعد جهد بليغ ومقابلة
بمبارات مترادفة وجدتها في تلك الرسالة والرسائل الأخرى من المجموعة
ووضعتهما بين قوسين شكهما هكذا : [.] .
ولم يُنشر جزء من هذه المخطوطة من قبل ، ولم يحقق إلى هذا الآن سوى
ما نشره الأستاذ المرحوم آسين بلاسيوز من كتاب (تدبير المتوحد) ، (كتاب
النبات) ، (رسالة الوداع) ، (رسالة اتصال العقل بالإنسان) ، وأما ما كتبه
أوكلبي (Ockley) في ترجمته الانكليزية لحي بن يقظان لابن طفيل (انظر حاشية
الترجمة المذكورة التي نشرت بمصر) ، أن جميع المخطوطة لابن باجة حقه
ونشره الأستاذ ادورد بوكك (E. Pocock) ، فليس له حقيقة ^(١) ، إذ لم ينشر
الأستاذ بوكك شيئاً من المخطوطة ولم يذكر هذا في مقدمة ترجمته لحي بن
يقظان اللاتينية التي سماها (المقدمة) Elenchos Scriptorum (فهرس المصنفين)
ونشرها مع الترجمة ، Philosophus Autodidactus ^(٢) ، وما ادعى قط
أنه فعل هذا .

محمد صغير حسن المصومي

(يتبع)

جامعة داكة ، باكستان الشرقية ، ايلول سنة ١٩٥٧

(١) انظر ترجمة حي بن يقظان الانكليزية ، طبع القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٨ في
أسفل الصفحة .

(٢) اكسرد ، ١٦٧١ ، ص ٨٢ .

التعريف والنقد

المغرب في حلي المغرب لابن سعيد المغربي

حقيقه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف

طبع دار المعارف بمصر في أكثر من (٥٥٠) صفحة بالفهارس

كنت قبل هذا بمدة ٦ كتبت تقریظاً تقدماً للجزء الأول من هذا الكتاب القيم ، الذي نشره الأستاذ المحقق الدكتور شوقي ضيف ، ونوهت بعمله العظيم ، وأشرت الى بعض المباحث ، وعلى التحقيق بعض الكلمات التي خالف رأيي رأيه في قراءتها أو هو لم ينتبه الى تصحيحها ، من غير أن أغفل مطلقاً عن الاعتراف بمجهود الجبار الذي أخرج به ذلك النص المهم في حلة قشبية من التحقيق والضبط والتعليق تعجز الكثير من أئمة هذا الشأن .

وغبرت مدة اقتنيت فيها الجزء الثاني ، وكنت متشوقاً لظهوره ، ولكني لم أستطع قراءته متملياً مستفيداً ، لئلا كنت منهمكاً فيه من الأعمال والتهيمات ، حتى أمكنتني الفرصة الآن ، وقد تخففت من تلك الأعباء الثقيل ، فكان هو من أول الكتب التي صارت الى منادمتها والاستمتاع بها . ولا أكذب القاري أني زدت إعجاباً وتقديراً لعمل الدكتور الفاضل فلا أدري أكان عمله في هذا الجزء أكثر تدقيقاً منه في الجزء الأول أم أن تجربة ثلاث سنين^(١) وخبرتها هما اللتان جعلتاني أقدر أعمال الناس وأزنها بميزانها الحقيقي أكثر من ذي قبل . وعلى هذا السنن العلي اللاحب ، أردت أن أتم ذلك التقریظ - ولا خير

(١) نشر تقریظ الجزء الأول في ج ٤ من مج ٢٩ من هذه المجلة الصادر في

أكتوبر ١٩٥٤ (ص ٥٨٠ - ٥٩٣) .

في تقرّيب لا يكتب بروح نقدية - بالتنبيه على بعض الهنوات ولا أقول الهفوات ،
فانني أؤكد أن بعض الكلمات التي ينتبه اليها القارئ هي في الغالب مما يفعل عنه
الكاتب ، فلا يكون إهمالها من باب الخطأ الذي يلزم المؤلف . وهي لذلك عندي
من الهنوات التي لا مصدر لها ، لا من الهفوات التي تؤخذ على الكاتب . .
ومن الطبيعي أن أغض الطرف عن بعض الشكّلات التي تزحلق عن محلها ،
أو وضعها الطابع غلطاً على غير وجهها ، فان من سبق له أن نشر كتاباً أو مقالاً
أو قصيدة فيها بعض الشكل لا بد أن يكون قد صدم ببعض هذا التفسير .
وبعض القراء يجهلون ذلك فيأخذون به المؤلف ، ولكنهم أحرى أن يعرفوا من
سياق العمل أن مثل هذا المؤلف أو ذلك ليس ممن يجهل أن الفاعل صرّفوع
وأن مضارع الثلاثي غير مضموم الأول الخ ، وهكذا نحن لم نتبع شيئاً من
الهوس الذي يتورط فيه بعض الكتاب .

ولا أحتاج أن أقول . . انني بهذا التنبيه إنما أتعاون مع حضرة الناشر
على خدمة هذا الكتاب ، وأتمم ما بدأت به في الجزء الأول من التقرّيب والنقد ،
عناية بهذا الاثر النفيس الذي كانت المكتبة العربية في أمس الحاجة اليه .
ولذلك أرف من جديد عرائس التهنائي للدكتور شوقي ضيف على توفيقه وتبريزه
في خدمة الأدب العربي سواء بالتأليف أو النشر أبقاه الله وأدام النفع به .
وهذه هي تلك الهنوات المشار اليها . .

وقع في ص ٨ ضبط كلمة موصطة بفتح الميم والسين . ونص العبارة التي جاء
فيها « وهي في الاقليم الخامس موصطة » والضمير يرجع الى مدينة طليطلة .
وأظن أن هذه الكلمة وقعت في الجزء الأول بهذا الضبط أيضاً . وكنت توقفت
فيها . ولما كنت بعيداً عن منزلي ومكتبتي لم يمكنني تحقيقتها . وبمقتضى ما ذكره
اللغويون من أن فعل وسط هو من باب وعد يظهر لي أن حقها أن تكون

م (٨)

بكسر السين ٠٠ على أن صاحب الفاموس ذكر أن موصل البيت بوزن مكرم هو ما كان في وسطه خاصة فليحذر .

وفي ص ١٦ عن أبي الخطاب الشاعر: « وكان في صلة الفضلاء الذين وفدوا على المتوكل بن الأفتس » . ولعل الصواب : وكان في جملة الفضلاء
وفي ص ٢٣ :

أطل نفسي بالمواعد والمنى وما العيش واللذات إلا محمداً
بذاك سباً عقلي وهاج لي الجوى ولم يسبه حورٌ أو انسٌ نُهد
وأظن أن صواب كلمة بذاك . . . فذاك بالفاء .

وفي ص ٥٢ : « وكان (ابن همشك) يردي أهل الجنابات من حانة عظيمة »
وضبط الخافة هنا بتشديد الفاء ، والصواب تخفيفها فان الخافة جانب الوادي مخففة .
ولعل الضبط خطأ مطبعي .

وفي ص ٦٧ ما نصه : « لا يعدم مال الكريم غارة من الأفضال (تسن) ، وعادة من الاحسان تسن » ويجب إعجام السين من (تسن) في الفقرة الأولى . وهو تطبيع .
وفي ص ١٠٣ : « ونهرها الكبير (يعني غرناطة) يقال له سنيل » بفتح السين والنون مع تشديدها ، وتكرر هذا الضبط في شعر ورد في نفس الصفحة .
وعلى ما يظهر لي ، يجب أن يكون كل من السين والنون في هذا الاسم مكسوراً ؛
أما السين فلا أنهم قد يكتبون هذا الاسم بزيادة ياء بعده هكذا : سنيل ،
ومعلوم أن اشباع الكسرة بولد الياء . وقال ابن زمرك في إحدى قصائده التي يصف بها بعض مصانع غرناطة كما في نفع الطيب :

يا قصر سنيل وربك أهل والروض منك على الجمال قد اقتصر

وأما النون فلا أنهم يذكرون في مفاخر غرناطة على سبيل النكتة الأدبية ، أن نهرها سنيل يعدل بألف من نيل مصر لأن عدد السين في حساب الجمل ألف .
فاذا قلنا سنيل فكأنما قلنا ألف نيل . ومقتضى هذا كسر النون كما لا يخفى .
ويسمى الاسبان نهر سنيل Genil على عادتهم من قلب السين العربية خاء في

بعض الأسماء . وعلى كل حال فهم قد كسروا الخاء المنقلبة على الشين والتون معاً .
وفي ص ١٠٤ من موشح :

ورسولي قد تعرف منه بما أدري فخرّف

ولإقامة الوزن يجب حذف الباء من قوله بما .

وفي ص ١١٧ :

لا تلمي بأن طربت لشدو يبعث الأوس فالكريم طروب

ليس شق الجيوب حق علينا إنما الحق أن تشق القلوب

وقد ضبط اللام في لا تلمي بالفتح ، ولا شك أنه خطأ مطبعي وأن حقه الضم .
أما صدر البيت الثاني فيظهر أن صوابه أن يكون هكذا : ليس شق الجيوب
حقاً علينا . ولا يحسن نصب شق ورفع حق لأن الأول هو المحكوم عليه .
وبعد كتابة ما ذكر رأيت كما ذكرت في نفع الطيب .

وفي ص ١١٩ في التعليق : « وذكّر ابن ذاكور في شرحه على القلائد »

والصواب ابن زاكور بالزاي . وأظني نبهت على هذا في الجزء الأول .

وفي ص ١٤٤ :

أنت الهوى لكنّ سلواي الهوى قصد ابن معن والحديث شجون

وأظن أنه (قصر ابن معن) بالراء كما بدل عليه ما بعده ، والبيت السادس بالخصوص .

وفي ص ١٥٦ :

عليك لنا فضلٌ ومنّي وأنعم ونحن علينا كل مدحٌ محبّر

وأعرف أنها 'محبّر' ، وقافية الشعر مضمومة فهو الذي بناسبها بغير تكلف .

وفي ص ٢٢٥ : « ولهم فيه ظل عظيمة » بضم الغين ، والصواب كسرها .

وفيها عن الكاتب ابن طاهر : « أخبرني والذي أنه لم يزل مع الملك المذكور

عثمان بن عبد المؤمن في عز ونعمة ، إلى أن وقع له على رسالة بعثها إلى أخيه

أبي جعفر بن عبد المؤمن ملك اشبيلية فغار وسمّه فمات » الخ . . . وقد ضبط فعل وقع

بالتشديد من التوقيع ، وأظن أن سياق القصة يعطي أنه بالتخفيف من الوقوع بمعنى العثور ، أي أنه عثر له على هذه الرسالة التي يخاطب بها أخ مخدمه ، يريد أن يلتحق به ، فغار مخدمه وقتله .

وفي ص ٢٣١ :

وان أحمد في الدنيا وان عظمت لواحد مفرد في عالم أمم
بفتح همزة أمم وأظن أن الصواب ضمها ، واهله تطبيع .

وفي ص ٢٥٣ :

أربأ بنفسك أن تكون متابعا ما الحر إلا أن 'يوم' فينبع
ببناء يوم للمفعول فهو بمعنى يقصد ، وظهر لي أنه ربما كان يوم على صيغة المبني
للمفاعل من الإمامة وتأتي كلمة يتبع بعده أكثر تمكنا وأقرب مناسبة .

وفي ص ٢٥٥ :

الزؤ بز القفا وخلعته فاطلع علينا من ذلك البر
وقد ضبطت كلمة بز بالفتح على أنها فعل ماض ، والصواب رفعها على أنها اسم
بدليل عطف وخلعته عليها ، ولا معنى لفعل بز هنا ، وربما (ورب للتكثير)
كان ذلك الضبط تطبيعا .

وفيها ضبطت كلمة (وتهمت) بضم التاء وهي من تاه بنيد ، فحقها الكسر ،
ولا يبعد أن يكون ذلك خطأ من الطبع .

وفي ص ٢٦٧ :

ثماني خصال في الفقيه وعمره وثنان والتحقيق في الأ (مرشيق)
وهذا من شعر البكسى الشاعر الهجاء المشهور . ووضع الناشر الفاضل للحروف
الأخيرة في البيت بين عفتين بدل على أنها لم تثبت بالأصل وأنه هو الذي
تم البيت بها . وقد جاء البيت تاماً بما يقرب من عمل الناشر عند صفوان
ابن ادريس في زاد المسافر ونصه :

ثماني خصال في الفقيه وعمره وثنتان والتحقيق بالمرء أليقُ
ومن آيات القطعة في المغرب :

وبكذب أحياناً ويخلف حائناً وبكفر تقليدياً ويرشى و (يحقق)

هكذا بتتبع الناشر ، والبيت في زاد المسافر هكذا :

وبكذب أحياناً ويخلف حائناً وبكفر تقليدياً ويزني ويسرق

وفي الصفحة بعض اللحن في بعض الآيات الأخر ، ونظن أنه من خطأ الطبع .

وفي ص ٢٦٩ :

وصارم أبصرت ذي فلة فقلت يا صارم من فلان

فقال لي لحظ غلام رنا ونهد عذراء كما فلان

وقد ضبطت فلان الثانية بالبناء للمجهول والصواب بناؤها للفاعل ، يقال فلان

ثدي الجارية وتفلان . وما نظن الشاعر أتى بالبيت الأول إلا لاصطياد هذا

الجناس الكامل ، فلا يصرف عن قصده .

وفي ص ٢٧٢ : ذكر ابن سميد في ترجمة أبي الحسن جعفر بن الحاج أنه

هو والد أبي محمد عبد الحق الذي ارتضاه أهل لورقة للقيام بأرضهم ، فلم يرض . .

وفي الصفحة قبلها ذكر في ترجمة أبي محمد هذا أن اسمه عبد الله . . ولم يحقق

الناشر الفاضل في ذلك ، مع أنه أحال على مصادر كثيرة لترجمة أبي الحسن بن

الحاج هذا ما بين خطية ومطبوعة . وبما أن الخطية التي أحال عليها ليست بيدنا

فاننا أيضاً لم نستطع أن نقول كلمة فاصلة في الموضوع ، لا سيما والضي في البغية

وابن الابار في المعجم يسميان هذا الولد اسماً ثالثاً هو عبد الرحمن .

وفي ص ٢٧٩ ورد هذا البيت :

رويداً فلي قلب على الخطب جامد ولكن على عتب الأعبة دائب

بالدال المهمل في دائب ، ولا يخفى أن الصواب إعجام هذه الدال ، فكلمة

دائب هنا واقعة في مقابلة جامد من عروض البيت ، ولا معنى للدروب على معانبة

الأحباب بل المقصود ذوبان القلب من سماع عتابهم . وهذا كله إنما سببته نقطة سقطت من يد المنضد فيما نمتقد ، ولكنها نقطة هي مركز الدائرة في معنى هذا البيت .

وفي ص ٢٨٧ جاء هذا البيت :

وما هو غير أن أدعى وحسي حيا الإخوان أو موت الأعادي
بضم التاء من موت ، ولا شك أنه معطوف على حيا فحقه النصب . والشاعر
يتأسف على عدم إدراك مراده قبل الموت كما في البيت قبل هذا ، وما مراده
إلا ما ذكر . وفيها أيضاً هذا البيت :

أنكرت ان راع الزمان أدبي وهل رأيت ذا نهى مؤمنا
بنصب الزمان ، والصواب رفعه لأنه هو الفاعل الرائع .

وفي ص ٢٩٨ هذا البيت :

بلادي التي ريشت قويديني بها فربخا وآوتني قرارتها وكرا
وفيه تصغير قادمة على قويدية بزيادة الياء ، ولا تصح هذه الزيادة نحواً ولا عروضاً .
وفي ص ٣٠٢ وقع هذا البيت من قصيدة :

وأصدرت الرايات حمراً كأنها صدور حسان مسهن عبير
وقد نوت فيه صدور وحسان على وصف للصدور ، وأملح من ذلك أن تضاف
صدور الى حسان لتنفيذ أن هذه الصدور لغوان حسان لا مطلق صدور حسان
قد تكون على حسنها لرجال خشان .

وفي ص ٣٠٦ جاءت هذه العبارة : « إنه ما اختلف الليل والنهار إلا بنقص
وامرار » هكذا بالصاد في نقص وأظنه بالضاد .

وفي ص ٣١٠ أبيات في التوار المعروف بالخيري ويقول له العامة عندنا
الخبلي ، منها :

لك الخير أنحنفي بخيري روضة لأنفاسه عند المجرع هوب

أليس أدبُ النور يجمل ليله نهاراً فيذكو تحته ويطيب
والمقصود قوله أدب النور ، فانه بالنصب خبر ليس ، لا بالرفع كما ضبط في الكتاب ،
والشاعر يشير بذلك الى قولهم الليل نهار الأديب .
وفي ص ٣١١ من قصيدة في وصف بحيرة بلنسية :

إذا الناس حنوا للربيع وجدتنا بها في ربيع كل حسن من الزهر
هكذا ثبت هذا البيت باضافة ربيع الى كل حسن ، وبيان ذلك بقوله من الزهر ،
ويظهر لي أن صواب هذا البيت هو كما يلي :

إذا الناس حنوا للربيع وجدتنا بها في ربيع كل حين من الدهر
والضمير في بها يعود للبحيرة ، فهي ، كما قال المؤلف وردد ذلك الشاعر في أبيات
أخرى ، تكسب بلنسية جمالاً طبيعياً وخضرة ونضرة بحيث تجعلها كأنها دائماً
في فصل الربيع . وبعد هذا البيت يقول الشاعر :

تهب تمامها فيفهم أنفنا بأنفاسنا المذوذة البرد في الحر
وقد ضبط فعل يفهم بالبناء للمجهول وأنفنا صرفوع على أنه نائبه ، ثم ضبط البرد
بعلامة الرفع أيضاً . ولا شك أنه بعد أخذ الفعل فاعله لم يبق إلا جر البرد
بالإضافة الى ما قبله إضافة لفظية . فإن أردنا أن نرفعه فاعلينا أن نبتي فعل يفهم
للمعلوم وننصب أنفنا على أنه مفعول له ويكون البرد حينئذ فاعلاً صرفوعاً .

وفي ص ٣١٢ يقول الشاعر في صفة مذاب ماء ، من أبيات :

كالنصل إلا أنه لا يتقى كالظل إلا أنه لا يرهب
ولا شك أن الظل هنا محرفة عن النصل بالصاد وهو الحية الخبيثة بدليل قوله
لا يرهب ، وتشبيه الماء الجاري بالنصل معهود عندهم .

وفي ص ٣١٤ حكاية عن ابن عائشة الشاعر أنه كان يوماً مع ابن خفاجة
وجماعة من الأدباء تحت خوذة منشورة فهبت ريح صرصر ، أسقطت عليهم
زهرها . . الخ . ، وظاهر أنها خوذة منشورة لا منشورة .

وفي ص ٣١٦ وردت ترجمة الحافظ أبي الربيع الكلاعي ، وهو منسوب إلى
ذي الكلاع بفتح الكاف من أذواء اليمن ، فزَمَّ الكاف كما في الكتاب خطأ .
وأثبت له المؤلف أبحاثاً في مشط فضة ، منها هذا البيت :

’مشط الحسان بعظم ظلم لعمرى عظيم‘

وقد ضبط لفظ مشط بضم الميم ، وهو الآلة كما لا يخفى ، والمراد هنا الفسل
بدليل قوله بعظم ، فحق الكلمة إذن فتح أولها .

وفي ص ٣١٩ هذا البيت :

فبتُّ لأحالة كحالي ضجيعٌ بدرٍ صريعٌ سكرٌ

يرفع اللام من حاله ، وصوابه لأحالة .

وفي ص ٣٣٩ هذان البيتان من قصيدة :

يا يوسفاً أزرى يحسن الذي آمن في الجب وقوع الهلك

قطعت أبدي نساء له فكم قلوب قطع الناس لك

ويظهر لي أن آمن صوابها أمن ، وأن البيت الثاني سقط من أوله حرف الشرط
والتقدير إن قطعت ، وذلك ليتزن ولتكون الفاء من فكم واقعة موقعها من الجواب .

وفي ص ٣٤١ بيت من موشحة لابن حريق يقول فيه :

محمد اللنق يا غزالي يا صاحب العينين الكبار

وقد ضبط اللنق بالشدة المفتوحة على اللام ثم بتسكين النون والقاف معاً ،
وأظن أن الصواب تشديد اللام مع الضم وتسكين النون ورفع القاف ، أولاً -
لأنه بتسكين القاف يخلل وزن البيت . وثانياً - لأن اللنق لقب هذا الموصوف
وبه يعرف ، فحقه أن يكون تابعا في الإعراب لمحمد . وإنما قلنا إن اللنق لقب ،
لأن هناك من أعلام الأندلسيين من يعرف باللونكو ، فالغالب أن اللنق الذي
نحن بصده هو تعريب له . وانظر هل تكون هذه الكلمة (اللونكو) مأخوذة
من Long الفرنسية بمعنى الطويل ؟

وفي ص ٣٦٨ ورد هذا البيت ضمن قطعة :

والشمس تجنح للغروب صريضةً والبرق يرقى والغمامة تنفثُ
وضبط فعل يرقى بفتح القاف من الرُّقِيّ وهو بالكسر من الرُّقِيّة كما لا يخفى
بدليل ما بعده .

وفي ص ٣٧٤ هذا البيت من قطعة :

فلا رحلت إلا بقلي ظمينةً ولا حملت إلا ضلوعي هودجا
والظمينة المرأة المسافرة في الهودج فهي الراحلة بقلبه وهي الفاعل برحلت ، فتحقها
الرفع لا النصب كما ثبت في الطبع .

وفي ص ٣٧٦ جاءت هذه العبارة من كلام الفتح في القلائد : « وكانت
عنده (مناهل) تزف فيها للمنى أبكار نواهد » وقد توقفنا في مناهل هذه ،
لا لاختلال السجع ولكن لعدم وضوح المعنى أيضاً معها . ورجعنا الى القلائد
فاذا بها : مشاهد .

وفي ص ٣٨٦ في ترجمة ابن مغاور الشاعر أن بعض الأعيان وهب له
نصيبه من السقيا في يوم ماء فسقى جنته ، وجاء في ذلك اليوم ضيف فكتب اليه
بستسقيه خمرأ هذين البيتين :

سقيت أرضي بفيض ماء فاسقى ضلوعي بفيض راح

واترك جفائي يذهب جفأً واخفص جناحاً علي 'جناحي

وفد علق الناشر الفاضل على صدر البيت الثاني بقوله : « هكذا الشطر في الأصل » .
وأظن أن هذا الشطر واضح لا غبار عليه ، فان الشاعر أحسّ بقلّة الذوق في
كثرة السؤال فاعتبر ذلك جفأً وعدمَ ير ، فقال لمخاطبه المسؤول : « واترك
جفائي يذهب جفأً » أي غناء كغناء السيل مما لا يعتمد به ، قال تعالى : « فأما
الزبد فيذهب جفأً » فجفائي بفتح الجيم وجفأً بضمها ، وهما كذلك عند
الناشر الفاضل ، إلا أن همزة جفأً جاءت في الكتاب مضمومة ، وهو خطأ

مطبعي لاشك فيه ، فظهر أن الشطر صحيح المعنى واللفظ لا توقف فيه ، نعم في قوله جفائي زحاف يمكن تجنبه بجعله جفائي ، وربما كان كذلك عند الشاعر .
وفي ص ٤٢٩ هذا البيت من قطعة :

سروا كافتداء الطير لا الصبر بعدم جميل ولا طول الندامة بتفع
ولم أفهم لافتداء الطير بالقاف معنى . فرجعت الى (فلائد العقيان) التي أحال الناشر الفاضل عليها في تحقيق بعض ألفاظ القطعة ، فوجدتها كذلك ذكرت هذه الكلمة ، وقد وقع في وهمي أنها ربما تكون محرفة من اغتداء بالفين ، والمعنى أنهم سروا بكرة كما تبكر الطير في نهوضها . وفي الحديث : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير ، تغدو خصاصاً وتروح بطاناً » فهذا هو اغتداء الطير . وفي شواهد البلاغة :

إذا أنكرتني بلدة ونكرتها خرجت مع البازي ، علي سوار
وفي ص ٤٤٥ ثبت هذا البيت :

وحقك ما تركت الشعر حتى رأيت الجبل قد أزكى شهابه
بالبازي في أزكى ، فقلت ياليت المنضد أبدل ذال زاكون بزاي أزكى ، والذال المهجمة كثيراً ما ترد في مطبوعات الشرق زابياً ، لأن بعض إخواننا الشرقيين ينطقونها شبيهة بالبازي تماماً .

وفي ص ٤٥٠ ورد هذا البيت :

ثرات الأوس ترتاد عندي وهي من روضك تجني وتجي
بكسر همزة الأوس وحقها الضم ، وافتتح تاء ترتاد وحقها الضم أيضاً . وفي الصفحة التي بعدها هذان البيتان :

أخطأت في ير الذي لم ترعه وغدا بلا حظني بقلة ساخر
إن التواضع للذي يمتدده ضمة لجهل ماله من عاذر

وترعه لاشك أنه تصحيف صوابه يرعه ليجي الكلام كله على الفجبة في غابة الانسجام .

وفي ص ٤٦٢ وقع هذا البيت :

يقولون لا يبعد والله دره وقد حيل بين العير والنزوان
وقد ضبط يبعد فيه بضم العين وصوابه الفتح لأنه من البعد بفتحين بمعنى الهلاك ،
لا من البعد بالضم ضد القرب ، وبعض اللغويين يسوي بينهما ، والتحقيق التفرقة .
وفي ص ٤٥٤ ورد هذا المقطع من موشح :

بي جوى مضمري ليت جهدي وقفه
كلا بذكى ففؤادي أفته
ذلك المنظر لا يسداوى عشقه

وصواب بذكى كما لا يخفى بذكر وهو خطأ مطبعي ، وذكر المحقق الفاضل أن
هذه اللفظة وقعت في رواية دار الطراز يظهر وبأما أحسنها هنا . . .
وفي ص ٤٦٢ من قطعة في عدم الاعتداد بالأحساب والأنساب إذا لم يكن
صاحبها ذا مال :

فحرام المجد والعلم إذا لم يكن عندك شيء من ذهب
وعلق الناشر الفاضل على كلمة فحرام أنها في الأصل حرام . . ولا شك أن
الفاء التي زادها الناشر قصد بها إقامة الوزن . ولكن صواب الكلمة هو ما كان
في الأصل ، على أن تُقرأ : حرُّ أمِّ المجد والعلم . . . بكسر الحاء وضم الراء من
حر مع إضافتها للفظ أم ، وغير خفي ما يقصد بذلك من الفحش والإهراء .
وفي ص ٤٢٠ من بيتين في وصف الخيل :

هي الجور ولكن في كوائبها عند الكريهة منجاة من الفرق
والمراد بكوائبها أعاليها لا أسافلها كما فسرت في التعليق على أن المراد بذلك
أرجلها . . وفي الحديث يضعون رماحهم على كوائب خيلهم ، قالوا هي من الفرس
بجمع كفيه قدام السرج . ويرشح هذا المعنى أن الشاعر جعلها منجاة من الفرق ،
شأن من يجنب الفرق أن يطلب العلو لا السفلى .

وهنا ننتهي من هذه الملاحظات التي نرجو أن لا نكون أوغلنا فيها حتى
أصفنا وسفلنا ، على أننا قد تركنا بعض الكلمات لم يخامرنا شك في أن خطأها
من باب التطبيع . . . وأما قبل وبعد فإن قصدنا هو خدمة هذا الكتاب القيم ،
ولو يجزه من ألف ، من العناية التي حظي بها من حضرة ناشره الفاضل ، فليقبل
مننا جنابه هذا التفضل على عمله العظيم مع أصدق التحيات وأخلص التقدير .

عبر الله كنون

✍️

خريدة القصر وجريدة العصر

تأليف العماد الاصفهاني الكاتب

« قسم شعراء الشام ، الجزء الأول ، في ٦٨٨ صفحة متوسطة ما عدا الفهرس ، عني بتحقيقه
الدكتور شكري فيصل ، وطبع بالمطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م »

— ١ —

لا يزال المجمع العلمي العربي بدمشق دائماً على إخراج التراث العربي القديم
الزاهر بنشره رسائله ومخطوطاته ، في اللغة والنحو والأدب وتاريخ الأدب ،
ومن مآثره في هذا المجال إخراج الجزء الأول من القسم الثاني لشعراء « خريدة
القصر وجريدة العصر » للأديب الطائر الصيت قديماً وحديثاً « عماد الدين
الاصفهاني الكاتب » ، وقد أسندَ تحقيقه إلى الدكتور الأديب المحقق « شكري
فيصل » وهو أهل ثقة المجمع العلمي العربي في ذلك وأمثاله ، فحققه بطريقة
دلت على سلامة بحثه وبراعته فيه ، وطول باعه في معالجة هذا الكتاب العسير
النشر والتحقيق ، وهو لا يزال في عنفوان شبابه ، وقد طالعت هذا الجزء
مستفيداً مستجيداً ، ولم يستوقفني فيه استيقاف الرأبث ، عن المسير في الدماث ،
إلا أشياخ يسيرة أنا ذاكرها على الترتيب فأقول : . . .

١ - جاء في ص « ٢٠ » قول الشاعر الغزي :

مَثَقَّفَ الْأَسْلَ الظَّانُّ تَرْجِمُهُ دَرَعُ السَّكِيِّ حَطْبًا دُونَ مَرَّ تَشْفِيهِ
 يجعل « ترجمه » رباعياً ، والفصيح الذي هو لغة القرآن « تَرْجِمُهُ » بفتح التاء ،
 قال الجوهري في الصحاح : « رَجَعَ ^(١) بنفسه رجوعاً فَرَجَمَهُ غيره ، وَهُذَيْلٌ
 تقول أَرَجَمَهُ . وقوله عن وجل : (يَرْجِعُ بعضهم إلى بعضٍ القول) أي
 يتلاومون » . وقال الفيومي في المصباح المنير : « رَجَعَ من سفره وعن الأمر
 يرجع رجماً ورجوعاً ورجعى ومرجماً » قال ابن السكيت : هو تقيض الذهاب ،
 وبتعدى بنفسه في اللفظة الفصحى فيقال : رَجَعْتُهُ عن الشيء وإليه ، وَرَجَعَتْ
 الكلامَ وغيره أي رددته ، وبها جاء القرآن قال تعالى : فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ
 وَهُذَيْلٌ تُمَدُّ بِهِ بِالْأَلْفِ » .

فالفصيح هو الثلاثي ولم يكن الغزي الشاعر هذلياً فيصحح أن تنسب إليه
 لغة هذيل .

٢ - وورد في « ص ٢٤ » قول الشاعر الغزي أيضاً :

ولو حصل الإنجاز لم يبق مطمع وجودُ اشتعال النار داعي خمودها
 بفتح « الواو » من « وجود » واعتدالها واو ابتداء ، والصواب عندي أنها
 أصلية من كلمة « وُجُود » مصدر الفعل « وَجَدَ يَجِدُ وَوُجِدَ يُوجَدُ » ، ولغة الشاعر
 متأثرة بلغة المتكلمين ، ومنها كلمة « الوجود » . ألا تراه يقول بعد ذلك « ص ٢٥ » :
 وهل سأل العربان إلا مُنَبَّه على عدم الأشياء قبل وُجُودها ؟ !
 فراد الشاعر إذن هو أن الاشتعال إذا كان في النار سبب خمودها لأن

(١) وجاء في مختار الصحاح « رجع الشيء بنفسه من باب جلس ، ورجمه غيره من
 باب قطع ، وهذيل تقول ارجمه غيره بالألف » . وقوله « من باب قطع »
 خطأ لا أعلم أحداً قاله غير المختصر للصحاح هذا ، على أن مصدره وحده يشبه
 مصدر « قطع » .

الخمود نتيجة الاشتغال ، فهو قد أراد مطلق الاشتغال والاتقاد ، ولم يشترط الكرم ولا الجودة .

٣ - وجاء في « ص ٢٥ » قول الغزي المقدم ذكره :

يقولون ماسيرت ما يتسقى به مفايك غابت خلت من أسودها
 ببناء « يتسقى » للمجهول القائب ، ولا يتجه عندي له وجه ، والراجح عندي
 « ما يتسقى به » للمجهول ، وبإسناده الى مخاطب ، يعني : ما أطلقت أو قدمت
 ما يمشاك به الناس ، ويتحامون جانبك ، فحالك كغابت لا أسد فيها ، يجوس
 خلالها الشجاع والجبان وبنات آوى والثملبات .

٤ - وجاء فيها قوله :

فما يقنضي جدواك مورد مدحة لاسلافك الأثمان قبل ورودها
 بفتح الهزرة من « أسلافك » ولا وجه له عندي وإنما هو « اسلافك » بكسر
 الهزرة مصدر « أصله الشيء » أي أقرضه إياه بلا منفعة ، ومراد الشاعر بالبيت
 هو أن « مدوحه لا يجعل جدواه مكافأة للشاعر المداح له ، بل يحسن إليه ابتداءً
 قبل أن يعلم ما لديه ، وهذا تأويل البيت الذي جاء قبله :

وجدت ارتجالاً والفأمة طالما تكرر يحدوها ضجيج رعودها

فالشاعر إذن لا يسلف المدوح أثمان مدحه قبل ورود الجدوى عليه .

٥ - وجاء في « ص ٢٧ » قول الشاعر المذكور :

فهذه عذرة من أمسى تزيفاً بترك الكأس في كف المدير

فقال الدكتور المحقق في الحاشية « التزيف : السكران » ولا أرى له موضعاً ،
 وإنما المراد به العطشان ، الشديد العطش ، كقول الشاعر :

فكشمت فاما آخذاً بقرونها شرب التزيف يبرد ماء الحشرج

ثم إن الشطر الثاني لا ينصر معنى « السكران » ها هنا ، لأن الكأس تركت
 في كف المدير ، وتركها كذلك معطشة للمسقي ، كما هو معلوم .

٦ - وجاء في «ص ٣١» قوله :

فلم يبقَ دينار سوى الشمس لم يُنلْ ولم يبقَ غيرُ البدر في الناس درهمُ

وفي «ص ١١٧» قول القيسراني :

فضية جائرة ما لها غيرُ مجير الدين مُستأصلُ

والصواب في كلا البيتين «غير» بالنصب لأنه مستثنى مقدّم ، وهو كثير في الشعر ولا يصلح للنثر المرسل .

٧ - وورد في «ص ٤٣» قول الغزّلي في وصف القلم :

وأنّ الذي يسقيه حين يمجه لجانٍ وعافٍ منه حتفٌ ونائلُ

والصواب «تسقيه» والذي تسقيه إياه هو الحبر ، فحين يلقيه من فيه يكون حتوفاً للجنّة ونوائل للعنّاءة . فلا وجه لـ «يسقيه» لأن الذي يسقيه هو الإنسان فكيف يمجه من فيه ؟

٨ - وورد في ص ٥٩ قوله :

وما مشيبُ المرء إلا عُجْرَةٌ تملّقتُ من ركضٍ عمر قد عُجِرَ

بفتح الباء من «عُجِرَ» بمعنى «بقي» على الوجه الفصيح ، ولا وجه له ، والصواب «عُجِرَ» بكسر الباء من باب «فَرِحَ» أي أصابه العُجْرُ ، فالعمرُ لما أصابه العُجْرُ وهو صائر بقي من أثر ركضه الشيبُ الذي هو شعر أُعْجِرَ ، والشئ يشبه أصله وهو معنى شعري مليح .

٩ - وجاء في «ص ٦٤» قوله :

وبعجمِ الطلِّ ما يُحْطُ على صفحتهِ مرٌّ شمالٍ وصبا^(١)

يجمل «يعجم» ثلاثياً من باب نصر ، ولا وجه له عندي ، لأن مراد الشاعر أن

(١) أخذه منه بهاء الدين علي بن الساعاتي وزاد عليه فزاده جالاً بقوله من مقطوعة طالية :

والطلُّ في سلك الفصون كدؤلثو رطب يضافه النسيم فيسقط
والطير تقرأ والتدبير صحيفة والريح تكتب والنفامة تنقط

الريح يمرورها على الغدير تترك ما يشبه الخط على مائه فينزل الطل وهو المطر الضعيف فينقط ذلك الخط ، فالصواب إذن « يُعْجِمُ » الرباعي من « أَعْجَمَ الخط » أي أزال إعجامة بالنقط ومنه الحروف المعجمة كالباء والتاء .

١٠ - وورد في « ص ٦٩ » قوله :

ولما دخلت الري قلت لرفقتي 'خذوا حذرکم من داعسٍ وخوون'
 « داعسٍ » بالعين المعجمة ، والصواب « داعسٍ » بالعين المهملة وهو الخبيث والشاطر ، وهو من الدعارة أي الخبث والفسق ، والدُّعَار هم الشطار .

١١ - وورد في « ص ٨٨ » قول ابن منير الطرابلسي :

وكم له في كبدي لسعةٌ برودها الدرباقُ من فيه
 برفع « لسعة » والصواب نصبها ، قال أبو البقاء الحسيني في كليياته - ص ٢٩٩ - :
 « واذا فصل بين كم الخبرية ومميزها نصب مميزها نحو : كم في الدار رجلاً » .
 والشاعر قد فصل بين كم ومميزها . وقد كرر الدكتور الفاضل هذا الضبط في « ص ٥٣٠ » في قول الشاعر « هذا وكم للدهر عندي نكبةٌ » والصواب « نكبةٌ » .

١٢ - وجاء في « ص ٩٤ » قول ابن منير الطرابلسي ثراً : « بيد أن يجري القدر باذهاب الجفا ، وتقذيد ما في العين من قذى » .
 ولا وجه لقوله « تقذيد » عندي وإنما هو « التقذبة » يقال « قذى العين تقذبة أي أخرج منها القذى » كما في الصحاح ومخنارهِ وغيرهما ، فهو من الأفعال الرباعية الثلاثية الأصل ، التي ضعفت عنها للسلب ، مثل جرّضه تمريراً وعلله تعليلاً وقرّده تقرّباً » .

١٣ - وورد في « ص ١٠٣ » قول العماد الاصبهاني : « وقد أثبت منها ما عقدت عليه خنصر الاختيار ، وثبتت إليه عنان الانتقاد » . وأسلوب العماد المسجع يستوجب « الانتقار » بالراء دون « الانتقاد » بالدال ، وإن كان مقارباً

له في المعنى ، والانتقار يشاكل الاختيار ، قال الفيومي في « جفل » من
المصباح المنير : « والجفلى على فعلى » (بفتح الكل من ذلك) وهي أن تدعو
الناس الى طعامك دعوة عامة من غير اختصاص ، قال طرفة :

نحن في امثناة ندعو الجفلى لا نرى الآدب فينا ينتقِرُ

يقال : دعا فلان الجفلى لا النقرى ، والنقرى : الدعوة الخاصة ببعض
الناس . فالانتقار الوارد في قول العماد الاصبهاني هو مصدر الفعل « ينتقِر »
الوارد في بيت طرفة آنفاً .

١٤ - وجاء في « ص ١٠٩ » قول القيسراني :

فلا تحفلنَّ بصول الذئابِ وقد زار الأسدُ الباصِلُ

بفتح الفاء من « تحفلن » والصواب كسرهما ، قال الرازي في مختار الصحاح :
« حَفَلَ القوم من باب ضَرَبَ » ، وقال الفيومي في المصباح : « حَفَلَ القومُ في
المجلس حَفَلًا من باب ضرب : اجتمعوا » . ذكرنا ذلك للبرهنة على كسر الفاء
من مضارع « حَفَلَ » لأن معنى « لا تحفلنَّ بكذا » : لا تهتم به ولا تباليه .
١٥ - وجاء في « ص ١١٠ » قوله :

أرى القسَّ بأملُ فوت الرماحِ ولا بدُّ أن يضرب السابِلُ

وأرى صواب القسِّ « القُصِّس » أو « القُصِّص » كما جاء في « ص ١٥٨ »
وهو قوله :

كما أهدت الأقدار للقمص أسره وأسعدت قرن من حواء لك الأسرُ

قال الدكتور المحقق في الحاشية : ولعله يريد القمص صاحب طرابلس وكان
ممن أسره نور الدين ، انظر ابن الأثير في حوادث سنة ٥٥٩ هـ . قلت :
هذا هو الصواب الذي بعثنا على المشاكلة بين اللقبين وتخطئة الرسم الأول .

١٦ - وجاء في « ص ١٢٤ » قوله :

إذا جاذبهنُّ البوادي منبئةً من الحسن شبهن البراقع بالتقبِ

م (٩)

بفتح النون وتسكين القاف من « النقب » ، والصواب ضمّ النون وهو جمع « النقب » بكسر النون . وهو القناع تجمله المرأة على مارن أنفها وتستر به وجهها ، فالبراقع للبدويات « والنقب » للحضريّات ، وتسكين القاف من « النقب » جمع النقب جائز في النثر فضلاً عن الشعر .

١٧ - وجاء في « ص ١٣٧ » قول القيسراني أيضاً :

بما بعطفيك من تيمر ومن صلفٍ من دلّ ذلك يا هذا على تَلْفِي ؟
ولا نرى لاسم الإشارة « ذلك » موضعاً ها هنا ، والصواب « من دلّ ذلك » وهو من قولهم « دلّت المرأة دلاً ودلالاً تعنّجت » . وكان القيسراني مفرماً بالجناس ، ولا يخفى ما بين الفعل « دلّ » و « الدل » المصدر من التجانس اللفظي .

١٨ - وورد في « ص ١٤٤ » قوله :

ذاك على سفكٍ دميٍّ محبّبٍ أنا القتييلُ مفرّمٌ بمنّ قتلٍ
يرفع « مفرّم » ، والوجه نصبه لأنه حال من « القتييل » ، يعني أن حبيبه قتله وهو مفرم بذلك الحبيب . فان كانت النسخة الأصل قد جاءت بهذا الرفع فهذا خطأ قديم .

١٩ - وجاء في « ص ٢٠١ » قول العماد في ترجمة عرقلة السكبيّ : « وله من قطعة كتبها الي ابن السديد وقد سافر الي بغداد يطلب منه شقّة » بضم الشين وكسرها من « شقّة » ، والصحيح كسرها لأنها في الأصل مصدر ثلاثي للهياة مثل « القطعة من كل شيء » والرزمة من الثياب والخارقة من خرق الثوب ، والصبغة من الصبغ والطبيلة من الطول . والشقّة هي قطعة من النسيج طويلة ، أحسبها تسمى اليوم ببغداد « طاقة » .

٢٠ - وجاء في « ص ٢١٧ » قول عرقلة المقدم ذكره « ومن الشقيق جهنّمٌ لا تحرقُ » بكسر الراء من « تحرق » ، وورد في « ص ٣١١ » قول المهذب الدمشقي « تُردّي شياطين الرجوم وتجرّقى » بضم الراء ، والصواب الثاني

دون الأول لأنه بمعنى « يُحرق » الرباعي ، ولا يجوز كسر الراء إلا إذا كان « حرق » بمعنى « حك » كحرق نأبه على فلان : كناية عن شدة غيظه ولا محل له في البيت المذكور .

٢١ - وجاء في « ص ٢٣١ » قول نصر الهبتي من هيت حوران « تطوى وتُنشر والأدناسُ تَشْمَلُها » بضم الميم وكسرها كأنه من « شَمَلَ العَنْزَ يَشْمَلُها » أي غطى ضرعها بشيء يشبه الخلالة ، ولا وجه له هاهنا بمد قوله « وتُنشر » ، فالصواب « تشمَلُها » بضم الميم وفتحها من « شَمَلَهُمُ الأُمر : كفَرِحَ ونَصَرَ أي عَمَّهُم » كما جاء في قاموس الفيروزآبادي وغيره من معاجم اللغة .

٢٢ - وورد في « ص ٢٤٥ » قولٌ وحَيْش الأَسَدِي « قومُوا انظُرُوا حسنه أكبر » فقال الدكتور المحقق في الحاشية : « كذا في الأصلين وأصلها : فحسنه ، ليستقيم الوزن » . قلت : ولا يسلم البيت مع ذلك من الزحاف ، والذي أراه أن ضميراً أسقطه الناسخ من الشطر وأن الأصل « قومُوا انظُرُوا حسنه أكبر » .

٢٣ - وجاء في « ص ٢٥٢ » قول نتيان الشاغوري « ولا غروَ إنْ جادتْ جُفُونِي بِمِائِها » بكسر همزة « إنْ » . والفروُ : العجبُ فينبغي أن يأتي معه متعجبٌ منه مجرورٌ مِن ، وقد تحذف للتخفيف والتلطيف ، فالصواب « ولا غروَ أنْ جادتْ ٠٠٠ » بفتح همزة « انْ » لأنَّ « أنْ » والفعل الذي يليها جاء في تأويل مصدر مجرور في الأصل مِن ثم حذفت « مِن » للتخفيف ، والتقدير « فلا غروَ مِن أنْ جادتْ » .

٢٤ - وجاء في « ص ٢٦٧ » قول المشتهد المشقي :

يا أهل تَنيسٍ وتُونَةٍ قايِسُوا كَمَ بَيْنَ طَرْزِ كُمٍ وطَرْزِ الباري
وقال الناشر المحقق في الحاشية « في نسخة ح : طَرْزِكم » . وأرى أن يضاف إلى قوله جملة « وهو الصواب » ، لأنه أراد جمع « طراز الثوب » وهو عَلمُه ،

ويجوز علي بُعد إرادته المواضع التي تنسج فيها ثياب 'تونة' وتنبس علي سبيل
المجاز لأنها مصدر ذلك النسيج ، وضبط الناشر «الطرز» بفتح الطاء دون
كسرها ترجيح بلا مرجح ، وأحسب الفيومي صاحب المصباح التزم وحده الفتح .
٢٥ - وجاء في «ص ٣٢٢» قول ابن الزغليية :

فَنَ بِنَاوَتِكَ فِي هَذَا الْأَثَامِ وَفِي عَيْنِكَ الْمَاضِيَاتِ السِّيفِ وَالْقَلَمِ
يجزم «بناوتك» بغير جازم ، وتلك ضرورة شعرية لا داعي لها ، فالشاعر ، فيما
أرى ، سهّل همزة «بناوي» فصار «بناوي» فالأصل «فَنَ بِنَاوَتِكَ . . .»
ولا ضرورة معه .

٢٦ - وجاء في «ص ٣٤٦» قول المهذب المشقي : «بناغي النسائم بنغمة
مزماره ، ورنه أوتاره ، ودساتين حناجر كالخناجر ، وألحان أعذب من نقرات
المزاهر» . فقال الناشر الفاضل : «الدستان في اصطلاح أصحاب الموسيقى : الوتر من
العود أو ما يقابله في سائر الآلات» . ولم 'يجل' في نقل هذا الشرح علي كتاب
لغة حتى يسلم من تبعة النقل والمهذبة ، وأراه قد نقله من «المنجد» للناقل
الأب لويس معلوف اليسوعي . وهو خطأ لا شك فيه ، والصحيح أن «الدساتين
هي ما عليه أطراف أوتار العود من مقدمته وهي كلمة فارسية» . وقيل إن عريبتها
«العَتَب» (١) . وفي القاموس : «العَتَب . . . والعِيدان المعروضة علي وجه
العود منها تُمدُّ الأوتار الي طرف العود» . وكلام المهذب بعينه ينفي أن
تكون «الدساتين» أوتاراً ، ألا تراه يقول «ورنة أوتاره ودساتين حناجر
كالخناجر» عطف الدساتين علي الأوتار وشبهاها بالخناجر ، والأوتار لا تشبه الخناجر .
٢٧ - وجاء في «ص ٣٦٢» قول الأمير بغير بن عيسى : «وتَقَضَى

(١) راجع الأغاني «٥ : ٢٨١» طبعة دار الكتب المصرية وليه «ويده تصد
وتصدر علي الدساتين» .

أكثر النهار ، ولاح علينا دلائل الفرار » فقال الدكتور المحقق في التعليق على الفرار : « كذا في الأصل ولعلها : الفرار : القليل من النوم » . وأرى أنه « الفرار »^(١) وهو ضد الحركة والانزعاج ، ومقتضى الحال لا يتحمل القليل من النوم ، كما دل عليه سياق الخبر ، وقد يكون غير « الفرار » الذي ذكرناه ، إلا أنه لا يكون « الفرار » الذي اقترحه الناشر الفاضل .

٢٨ - وورد في « ص ٣٦٥ » قول الأمير المقدم ذكره : « ومن حصاب كحِصن ، أو بَرَق في مُزْن ، ومن حَجْر ذات حَجْر . . . » . فقال الناشر في الحاشية « الحَجْر : الأثني من الخيل » وفتح الحاء أيضا ، والصواب كسر الحاء أي « الحَجْر » ، قال الفيومي في المصباح : « والحَجْر بالكسر أيضا : الفرس الأثني وجمعها حجور وأحجار ، وقيل الأحجار جمع الإثان من الخيل ولا واحد لها من لفظها . وهذا ضعيف لثبوت المفرد » . وجاء في القاموس بعد ذكره « الحَجْر » : « وبالكسر : العقل . . . والأثني من الخيل وبالهاء لحن جمعها حجور وحجورة وأحجار » .

٢٩ - وورد في « ص ٣٦٨ » قوله « والحِجَلُ قد فارق تَبَجَهُ وضيَع مدخله ومخرجه » والصواب « تَبَجَهُ » كما ورد في « ص ٣٨١ » وهو في قوله « وعائِن الدَّرَاج مَدْرَجاً ، ورأى تَبَجاً ، وعزم على النزول به » قال الناشر الفاضل : « وفي أرجوزة أبي فراس الحمداني :

إن لَزها الباز أصابت تَبَجاً أو سَقَطَتْ لم تلق إلا مَدْرَجاً
تقل ذلك لشرح كلمة « التَّبَج » وهو الصواب ، فيجب أن نضبط الكلمة الأولى كالثانية .

(١) ويؤيد هذا الرأي قوله بعد ذلك « فحينئذ قَسِرْ لنا الفرار واطمأنت بنا الدار » ، ففي الأول لاحت دلائل الفرار » ثم حَقَّ الفرار .

٣٠ - وجاء في «ص ٤١٣» قول سعادة^(١) الأعمى :

وحولهم عُزَلٌ لو أنيتم قصدوا أضحى القنا وهو في لبائهم قصدٌ
وجاء في «ص ٤٢١» قوله أيضاً :

وبنثني ولها في كفه قصدٌ بثني عليه ثناءً غير منفصل

بفتح القاف من «قصد» في البيتين ، وهو خطأ والصواب كسر القاف اسم جمع «القصد» وهي كسرة الرمح المكسر ، قال الفيروزآبادي في القاموس «والقصد بالكسر : القطعة مما يكسر جمعه (قصد) كعنب ورمح قصد وقصيد وأقصاد منكسر^(٢)» .

٣١ - وجاء في «ص ٤١٩» قول سعادة أيضاً :

ملوك حُجُور الأريحيات مُدْ نشوا مُهودمُ والمكرمانُ لهم قِطْ

بكسر القاف من «قِط» والصواب ضمها لأنه جمع «قِطاط» وهو خرقة عريضة تلف على الطفل إذا كان في المهد ، وسكنت ميم «القِطط» جوازاً من أجل وزن الشعر ، ولا وجه للقِط الذي تُشد به قوائم الشاة للذبح كما هو ظاهر للناظر .

٣٢ - وورد في «ص ٤٥٤» قول ابن قسيم الحموي :

فأثار ذلك من زنادقة حسداً فسَمُوا حُبَّهم رِفْضاً

بكسر الراء من «رفضاً» والصواب فتحها ، لأنه مصدر «رفض» الثلاثي ولم يسمع فيه وجه كسر الراء ، وقد أُطلق اصطلاحاً على طائفة معلومة وهم «الرافضة» .

مصطفى حوار

٥٥٥٥٥٥٥٥

(يتبع)

(١) ترجمه الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات كما أشار إليه الشارح الناشر ، ولم يشر الى أنه ترجمه باسم «سميد بن عبد الله الحمصي» في كتابه نكت الهميان في نكت الهميان «ص ١٥٧» ، ونقل من الخريدة أيضاً .

(٢) كذا ورد قول الفيروزآبادي والصواب «مكسر» لأن المكسر ما ينكسر بنفسه .

مقدمة ابن خلدون (*)

- ٢ -

ونترك الآن الكلام على ما شُبه علينا من الكلمات والتعابير في هذه (المقدمة) على أن نعود إليها بعد أن نشير إلى بعض ما جاء من الأعلام مهملاً بلا ضبط ، ومضبوطاً على غير وجهه الصحيح . جمعناها الى بعضها ، وذكرنا صفحاتها في الطبعة القديمة ، وفي الطبعة الحديثة ، تسهيلاً للمراجعة :

المشهور	الطبعة الحديثة	الطبعة القديمة
مَيُورِقَة ^(١) بفتح وضم وسكون الواو والراء (فيلتقي فيها ساكنان)	مَيُورِقَة : ٧٥	مَيُورِقَة : ٤٦
مَنَرِقَة ^(١) بفتح فضم فسكون ...	مَإيرِقَة : ١٠٩	مَإيرِقَة : ٦٥
مَرْدَانِيَّة ^(٢) بفتح .	مَرِقَة : ١٠٩	مَرِقَة : ٦٥
هَرِقِلَة ^(٣) على ما في الطبعة القديمة	سَرْدَانِيَّة : ١١٢	سَرْدَانِيَّة : ٦٥
جُدَّة ^(٤) بضم	هَرِيقِلَة : ١١٢	هَرِيقِلَة : ٦٥
سُقَالَة ^(٥) على ما في الصفحة ٦٦ من القديمة .	جُدَّة : ٧٦	جُدَّة : ٤٧
مَدِين ^(٦) بفتحها بعدها ساكن .	سُقَالَة : ٧٦	سُقَالَة : ٤٦
		سُقَالَة : ٥٧
		مَدِين : ٥٧

- (*) انظر القسم الأول : (مج ٣٢ ، ج ٤ ، ص ٦٧٢ - ٦٨٠) .
- (١) مَنُورِقَة ومَيُورِقَة : أولاهما بالنون والأخرى بالياء : جزيرتان شرقي الأندلس .
- (٢) سَرْدَانِيَّة : جزيرة في بحر المغرب . وقال بعضهم : انها مدينة في صقلية .
- (٣) مدينة ببلاد الروم .
- (٤) جُدَّة : فرضة مكة .
- (٥) آخر مدينة تعرف بأرض الزنج .
- (٦) مدينة بين المدينة والثام .

المشهور	الطبعة الحديثة	الطبعة القديمة
الشجر ^(١) على ما في القديمة	٧٧ :	الشجر ٥٧ :
ظفار ^(٢) بفتح وفاء مخففة	٩٥ :	ظفار ٥٧ :
ودان ^(٣) بالدال المهملة المشددة	٩٦ :	ودان ٥٨ :
السراة ^(٤) بالفتح	١٠٣ :	السراة ٦٢ :
لسطة ^(٥) بفتح فسكون	٩٦ :	لسطة ٥٧ :
الضمان ^(٦) بكسر أوله	١٠٤ :	الضمان ٦٢ :
القفص ^(٧) بضم فسكون	١٠٥ :	القفص ٦٣ :
كرمان ^(٨) بفتح فسكون. وربما كسرت كافه	١٠٥ :	كرمان ٦٣ :
الختل ^(٩) بضم أوله بعدها تاء مشددة مفتوحة	١٠٧ :	الختل ٦٣ :
التبت ^(١٠) بضم أوله بعدها ياء مشددة مفتوحة	١٠٧ :	التبت ٦٤ :
البت ^(١١) بضم أوله بعدها تاء مشددة مفتوحة	١٠٧ :	البت ٦٤ :

- (١) ضُتِعَ علي ساحل بحر الهند من ناحية اليمن .
 (٢) ظفار بمنزلة قَطَامٍ وحذار : مدينة باليمن .
 (٣) ودان هذه : مدينة بافريقية افتتحها عقبة بن عامر سنة ٤٦ .
 (٤) السراة : جبل مشرف على عرفة .
 (٥) كلسطة : أرض بأقصى المغرب سميت باسم قبيلة من البربر .
 (٦) لم أجد الضمان الواردة في الطبعة الجديدة ، وأما الضمان في الطبعة القديمة : فوضع من نواحي الشام بظاهر البلقاء . وما أحسب ابن خلدون أراد ، وهو يقول : . . . والاحساء ، وفي غربها اخطب والضمآن (على ما في الطبعة القديمة) والضمآن (على ما في الطبعة الجديدة) والأقرب أن يكون الضمان وهو موضع بين نجد واليامة ولا سيما ان ابن خلدون يتابع كلامه هنا فيقول : وبقي أرض اليامة .
 (٧) القفص : وردت في مادة (بلوص) من معجم البلدان ، مضبوطة بالحركات لا بالحروف : بضم القاف وسكون الفاء والقفص : جبل كالأكراد وجبال القفص تعرف بهم .
 (٨) ولاية من بلاد فارس .
 (٩) كورة مما وراء النهر على تخوم السند .
 (١٠) بلد بأرض الترك .
 (١١) حصن ببلاد فرغانة .

المشهور	الطبعة الحديثة	الطبعة القديمة
الصُّغْد ^(١) بالضم	الصُّغْد : ١٠٧	٦٤ : الصُّغْد
امروشنه ^(٢) بنون مخففة	امروشنه : ١٠٧	٦٤ : امروشنه
فرغانة ^(٣) بالفتح	فرغانة : ١٠٧	٦٤ : فرغانة
مالقة ^(٤) بلام مفتوحة وقاف مخففة	مالقة : ١١٠	٦٦ : مالقة
المنكب ^(٤) بضم اوله وكاف مشددة	المنكب : ١١٠	٦٦ : المنكب
المريّة ^(٤) بفتح وراء مشددة مكسورة	المريّة : ١١٠	٦٦ : المريّة
إشيلية ^(٤) بكسر أوله وياء مخففة	إشيلية : ١١٠	٦٦ : إشيلية
غرناطة ^(٤) بالفتح	غرناطة : ١١٠	٦٦ : غرناطة
وادي آش ^(٤)	وادي آش : ١١٠	٦٦ : وادي آش
سرقسطة ^(٥) بفتح اوله وضم ثالته	سرقسطة : ١١١	٦٦ : سرقسطة
جبلة ^(٦) بالتحريك	جبلة : ١١٣	٦٨ : جبلة
مصياف ^(٧) آخره فاء أو باء مصياف	مصياف : ١١٣	٦٨ : مصياف
عين زربة ^(٨) بفتح أوله	عين زربة : ١١٣	٦٨ : عين زربة
المصيصة ^(٩) بتشديد الأولى	المصيصة : ١١٤	٦٨ : المصيصة

(١) الصُّغْد وقد تكتب بالسين . وهما صُغْدان : صُغْد سمرقند ، وصُغْد بخارى .

(٢) امروشنه أو اشروشنه كلاهما بالنون المخففة : بلدة كبيرة بما وراء النهر .

(٣) مدينة وكورة واسمه بما وراء النهر ، متاخمة لبلاد تركستان .

(٤) من مدن الأندلس .

(٥) مدينة بجزيرة صقلية .

(٦) مدينة بساحل الشام .

(٧) مدينة من أعمال اللاذقية بالساحل الشامي . وكانت حصناً للاجماعيلية .

(٨) عين زربة أو زربي : ثغر قرب المصيصة .

(٩) المصيصة : وفي رواية مرجوحة بتخفيف الصادين : مدينة على شاطئه جيطان من ثغور

الشام بين الطاكية وبلاد الروم .

المشهور	الطبعة الحديثة	الطبعة القديمة
حَرَآن ^(١) بالفتح وتشديد الراء	حُرَّان : ١١٤	حُرَّان : ٦٨
اللِّكَّام ^(٢) بالضم وتشديد الكاف	اللِّكَّام : ١١٤	اللِّكَّام : ٦٨
سَمَيْسَاط ^(٣) بضم أوله	سَمَيْسَاط : ١١٤	سَمَيْسَاط : ٦٨
هَيْت ^(٤) بالكسر	هَيْت : ١١٥	هَيْت : ٦٩
صَيْمَرَة ^(٥) بفتح أوله وباء ساكنة ثم ميم مفتوحة	صَيْمَرَة : ١١٦	صَيْمَرَة : ٦٩
خَوَنْجَان ^(٦) بالضم وفتح النون	خَوَنْجَان : ١١٦	خَوَنْجَان : ٦٩
بُنْدُكَان ^(٧) بضم أوله وثالثه	بُنْدُكَان : ١١٦	بُنْدُكَان : ٧٠
طَبْرَسْتَان ^(٨) بكسر الراء	طَبْرَسْتَان : ١١٧	طَبْرَسْتَان : ٧٠
مِهْرَجَان ^(٩) بكسر أوله وثالثه . وبكسر أوله وفتح ثالثه .	مِهْرَجَان : ١١٨	مِهْرَجَان : ٧٠
خَوَارِزْم ^(١٠) بكسر الراء	خَوَارِزْم : ١١٨	خَوَارِزْم : ٧١
حَجَنْدَة ^(١٠) بضم أوله وفتح ثانيه	حَجَنْدَة : ١١٨	حَجَنْدَة : ٧١
هُرْمِز ^(١٠) بضم أوله وثالثه	هُرْمِز : ١٠٥	هُرْمِز : ٦٣

* * *

- (١) قصة ديار مضر بين الرها والرفة .
(٢) اللِّكَّام : الجبل المشرف على انطاكية . وهو مخفف الكاف في شعر المتنبي :
بها الجبلان من صخر وفخر أنافا ذا المفتي وذا اللِّكَّام
(٣) مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم .
(٤) بلدة على الفرات من نواحي بئداد .
(٥) موضع بالبصرة على فم نهر مَعْقَل .
(٦) قرية باصبيان .
(٧) من قرى مرو .
(٨) من بلاد فارس .
(٩) مِهْرَجَان : بكسر أوله وثالثه : كورة . وبكسر أوله وفتح ثالثه قرية في بلاد فارس .
(١٠) مواضع مشهورة .

وقعت الطبعة الجديدة في خطأين :

- ١ - أهملت ضبط أعلام كان من الواجب ضبطها .
 - ٢ - صارت الطبعة القديمة مسايرةً مطلقة في ضبط الأعلام الأخرى .
- فأخطأت الجديدة في ما أخطأت فيه القديمة . وضبط هذه الأعلام ضبطاً تاماً صحيحاً ، كان ممكناً ، وإن كان متعباً ، وذلك بالرجوع الى دواوين اللغة ، ومعاجم الأعلام ، وكتب السير . وهو ما نرجو أن يكون في طبعة مقبلة إن شاء الله .
- عازف النكري

ثلاثة أزهار في معرفة البحار

لأحمد بن ماجد ، الملاح العربي

توافرت الأبحاث الحديثة عن الرُّبَّان العربي شهاب الدين أحمد بن ماجد ، فزاحت الستر عن آثاره المنعمورة ، وأظهرت ماله من فضل على حركة الاستكشاف في القرن الخامس عشر . وقد سبق لمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق أن عرّفت بابن ماجد ، ونوّعت برصائله العديدة في الملاحية ، ولا سيما « كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد » . وكان المستشرق الافرنسي فرّان (G. Ferrand) قد نشر الكثير عن « أسد البحر الهائج » ، وأوضح ارتفاع البرتغاليين به في رحلاتهم ، وعرض للمصطلحات الملاحية العربية ، ورجع بها الى أصولها . وأخرج الأستاذ محمد ياسين الحموي عام ١٩٤٧ بدمشق دراسة مستوفاة احتوت جملة ما بلغه الاستقصاء عن هذا النوتي العظيم .

وتتوثق معرفتنا بابن ماجد بهذا الكتاب الجديد الذي نشره في مطلع عام ١٩٥٧ معهد الاستشراق في المجمع العلمي للاتحاد السوفياتي . وعنوان الكتاب المثبت على الغلاف هو : « ثلاثة أزهار في معرفة البحار » . أما العنوان المطبوع على الصفحة الأولى فهو :

«ثلاث راهبات مجهولة»

وقد جاء تحت هذا العنوان :

لأحمد بن ماجد ربان رحلة فاسكو دي جاما

وهي مأخوذة عن النسخة العربية الفريدة

التي توجد في مكتبة معهد الاستشراق

عني بنشرها وتحقيقها وترجمتها

الى اللغة الروسية ووضع الفهارس

نيودور شوموفسكي

ويبدو لي أن العنوان الثاني من وضع الأستاذ الناشر . ولعلّ الصواب فيه :

«ثلاثة راهبات مجهولة»

وفي القاموس المحيط : الراهبات كتاب الطريق ، وهو الكتاب يسلك به
الرياسة البحر ، ويهتدون به في معرفة المرامي وغيرها . وهو يقابل كلمة
(Itinéraire) بالفرنسية .

والقسم الأول من الكتاب يتضمن تصويراً فوطوغرافياً لهذه الراهبات ،
وهي ثلاث رسائل مخطوطة منظومة شعراً . وأحسب أن القارئ العربي يود
لو كانت هذه الرسائل قد نُشرت بالحرف الطباعي ، مع الاجتهاد باتمام نقصها ،
واصلاح خطأ النساخين فيها ، وتذيلها بهوامش موضحة تلقي الضوء على ما فيها
من مصطلحات بحرية وفلكية ، وتضبط أسماء الأماكن وتحدد مواقعها ،
وتشير الى ما يقابلها في هذا العصر .

وقد ألقى الأستاذ المحقق بهذا القسم مصوراً ملوناً لمراحل الرحلات التي
تضمنتها الرسائل ، كتب عليها : «صورة بحر الهند ولها البنادر التي ندخها
أحمد بن ماجد» . وفي القاموس ندخ : صدم ، يقول راكب البحر : ندخنا
ساحل كذا ، واندخنا المركب الساحل . . .

ويطيب لي أن أطري الجهد الفذ الذي اضطلع به الأستاذ الناشر في عمل هذا المصوّر ، ووضع الأسماء عليه في مواضعها المحقّقة أو الموهومة ، معتمداً في ذلك على بعض الباحثين أحياناً ، وعلى التهرمي الذاتي أحياناً أخرى . ويزيد من فضله أن المعاجم الجغرافية المتوفرة لا تذكر إلا القليل من هذه الأسماء . ومعجم البلدان لياقوت يرجع الى أوائل القرن الثالث عشر ، ولا نجد فيه سوى النزر من الأماكن الواردة في رسائل ابن ماجد .

ويجئ إليّ أن الكسب العلمي من هذا المصوّر يزدوج لو أن واضعه الفاضل أرفق بكل اسم قديم مقابله في عرف الجغرافيين المحدثين ، إذن لكنا عرفنا مثلاً أن جزيرة الغور هي فورموزة ، وأن الفالات ليست سوى جزر لاكديش ، وديبجات هي جزر مالديش (وكان ابن بطوطة يسميها جزائر ذيبة المهل) ، وأن جزيرة القمر هي مدغسكر^(١) .

وليفقر لي الأستاذ الناشر أن أخالفه في تحقيق بعض المواقع ، كما أثبتتها على المصوّر ، اجتهاداً منه أو اقتباساً . فقد جاء بين يدي رسالة ابن ماجد الأولى ذكر ساحل الهند الغربي ، وما عليه من الكور والفرض ، بدءاً من جنوبه حتى شماله ؛ وقد عدّ عليه من الأسماء بالترتيب : مليبار (مالابار) وكبلن ، وجوزرات والسند ؛ ورُسمت كبلن مهلة الباء ، فأثبتها الناشر كبلن ووضعها في جزيرة جاوة ، على آلاف الكيلومترات من الهند . والذي يتراءى لي أنها كلسن ، ورسمها بالفرنسية Kalyan ، وهي الى اليوم قائمة شمال ساحل الملابار قرب بومباي . وغير بعيد عنها في الشمال تقع كورة الكجرات (Gujarat) ، ولا مجال للشك في أنها هي الجوزرات ، وتليها بلاد السند .

(١) يذكر ياقوت في معجمه (المجلد السابع ، ص ١٥٩) أن القمر جزيرة في وسط بحر الزنج ليس في ذلك البحر جزيرة أكبر منها . ولا يزال اسم القمر يطلق على مجموعة جزر صغيرة قائمة في شمال مدغسكر (Comores) .

ويبدو لي أيضاً أن مرفأ حمضة وجزر الفصليات في البحر الأحمر قد رُفعت على المصور الى أواسط الحجاز ، وهي من ساحل اليمن الشمالي أو العسير . فالفصليات تقع إزاء مرفأ شقيق ، وتعرف الآن بالوصلات . وأما حمضة فيذكرها ياقوت في أكثر من موضع ، ويقول انها في أرض اليمن من جهة قبلتها^(١) ، وقد وضعها الأستاذ الناشر محل فرضة الليث جنوبي جدة . وهي الى ذلك مشكولة في فهرس الأماكن حمضة ، وعند ياقوت بكسر الميم . وأرى من ناحية أخرى أن الالف واللام يجب إسقاطهما من كلمة القلزم في جملة « بحر القلزم العرب » المطبوعة على المصور فوق البحر الأحمر .

ويزدان القسم الأول من الكتاب أيضاً بدائرة الجهات الأصلية والفرعية بالنسبة الى مواقع النجوم ، استنتاجاً من رسائل ابن ماجد . وهي الجهات التي تدلّ عليها الابرة المغناطيسية أو الحُك^(٢) . وقد ذيل الناشر هذه الصورة بجملة لا تسلم من لبس ، فكتب : « ٣٢ خناً من الجدول أو دائرة الأرياح العربية » . واختر هنا هو الخانة أو الموقع ، ويستعملها ابن ماجد مجموعة على أخفاف ، وليس له بهذا المعنى أصل في العربية . والأرياح هي كالرياح جمع للريح . والقصد منها هنا مهاجها بالنسبة الى منازل النجوم والقمر . واصطلاح « دائرة الرياح » أو « وردة الرياح » مألوف عند المحدثين بمعنى دائرة الجهات (Rose des vents) ، وتنقسم الى ٣٢ قسماً .

والقسم الثاني من الكتاب يشتمل على ترجمة رسائل ابن ماجد الى الروسية ، وعلى عرض لتصانيفه ؛ ويفتحي بفهارس للمصطلحات الملاحية والأسماء الجغرافية والفلكية الواردة في الرسائل ، وجدول بالقوافي والأوزان الشعرية ، وثبت بالمصادر التي رجع اليها الناشر واعتمد عليها . وغنوة هذا القسم مقصورة على من يعرفون اللغة الروسية . وليس بوسعنا أن نعلّق عليه بشيء .

(١) المجلد ٣ ، ص ٣٤٢ ، المجلد ١٠ ، ص ٥٢٣ .

(٢) في القاموس المحيط الحُك : إبرة الملاحة .

أما الرسائل المصوّرة فلا يعسر على القاري الجزم بأنها متفاوتة الخطوط ،
وبجانبها في أكثر أبياتها لأبسط قواعد اللفّة وموازن العروض . وصيتمحقق
القاري بنفسه أن الخطأ فيها لا يقع وزره على النساخين - في الغالب - ،
بل على صاحب الرسائل . وهي - إن صحّت نسبتها إليه - لا تشهد بأنه « شاعر
القبيلتين » كما كان يجب أن يلقب نفسه . .

ولا ندري ما قصد إليه المؤلّف في نعمته نفسه يرابع الثلاثة ورابع الليوث
في المقدمات التي استعملها رسائله . ولعله أراد من سبّقه من البحارة المعاصرين ،
أو أنه عني أجداده ، وكلهم ملاح بارع .
وامم الرسالة الأولى « الأرجوزة السُفالية » نسبةً إلى سُفالة (Sofala) ؛
وهي إلى اليوم مدينة على شفير إفريقيا الشرقية البرتغالية (موزامبيق) ، قبالة
جزيرة مدغسسكر . ويقول عنها ياقوت أنها آخر مدينة تُعرف بأرض الزنج
(ج ٥ ، ص ٨٨) .

وتستهدف هذه الأرجوزة هداية الرابطة عبر المحيط الهندي ، بين ساحل
الهند وسواحل إفريقيا الشرقية ، وتبيان ما يقتضي ذلك من معرفة الاتجاهات
(الأُخنان) والقياسات والمراحل (البحاري) والطرق (الدير) . وهي تشتمل
على ٨٠٥ أبيات من بحر الرجز ، مطلعها :

الحمد لله الذي أنشأ الملا من عدم جلّ تعالى وعلا

ويضيق بنا المجال عن تسقّط زلات المؤلّف في هذه الرسالة ، وتتبع ما خالف
به أقبسة اللغة وأبجر النظم ، حتى ليتدبّر أحياناً كثيرة إلى مستوى الشعر
العامي الفج ، بالإضافة إلى ما مسخه الناسخون وما استعمله الناظم نفسه من
كلمات عامية أو أجنبية .

والحدس بأن المؤلّف توخّى عن قصد فائدة جمهرة الملاحين ، فكتب لهم
بلفتهم ، وخطبهم وفق مداركهم ، وأنه لم يرد أن يُخرج للمثقفين تحفة فنية

أو أدبية ، وإن تسكين أو آخر الكلم ليس إلا من دواعي هذه المحاولة في التبسيط ، أقول إن هذا الحدس يضعفه هنات أصيلة في النص ما كان تقويمها يحول دون الغاية المرجوة . ولعل ابن ماجد كان في الواقع خربت بحار ، لا صانع أعمار ، وإن رويت له أبيات قليلة تسمو إلى مرتبة الشعر الجيد .

وهذه بعض الأمثلة من أوائل الأرجوزة :

الى السواحل ^١ ونواحي القمر	الى سفالة ^٢ استمع واحر
بحراك في الجوزا معاً والنير	على قدر ^٣ ريجك في المسير (٨)
أوزحن أو طوفان أو أمطار	فذاك بالتدبير بالأسفار (١٣)
واجر على السماك ثم الكاثر	حتى يزيد الجاه اصبع ^٤ وافر (٢٢)
موسم السبعين في خروجه	وفي الثامن يكون ولوجه (٢٥)
ولم بلج من سار في التسعين	إلا أن يكون في نادر السنين (٢٦)
تلقا به السبيل والظلم	سته ^٥ ونصف كن به علم (٢٩)
أربع أصابع في قياس واحد	وثلت ^٦ أيضاً فوقهم زوايد (٣٢)
ورتب المجرا مع القياس	في نتخة ^(١) البر فكن ذوا بامي (٣٣)
ربان لا ينقص ولا يزيد	ورد ^٧ في الاكليل بالتوكيد (٤٣)
يزيد في المرزوم في التريف	اصبع ^٨ إلا ربع ^٩ يا حريفنا (٦٦)
وقس على المعقل والمربع	فهن معلومات ^{١٠} معكم ومعني (٦٩)
بكون ستة ^{١١} ثم الأربع اصبع	مثل قياس الأصل قسه واسمع (٧٩)
ان قياس النجوم الطالعة	والغاربات فيهم المنازعة (٨٠)
ذكرتهم لتعرف الأفلاك !	وصيرذي الكواكب الزواكي (٨٣)

والقصيدة الثانية هي المعلقة ، وذلك نسبة الى معلقة (معلقة) ، أي شبه جزيرة مالاكا ، ويستعمل ابن ماجد هذه التسمية أيضاً . وهو بعدد المراحل

(١) يستعمل ابن ماجد نَسَخَ بمعنى نَدَخَ أي رَسَا .

اليها من الهند ، فيقول في مقدمتها : من بر الهند الى بر سيلان ، وناك باري
(وقد رسمها الناشر على المصور نال باري ، والأصل أصح ، وهي تُعرف الى
اليوم بجزر نيكوبار) ، وشمطرة ، وبر السيام ، وملهقة ، وجاوه ، وما كان
في طريقهم من الجزر والشمبان ومناجتيهن وصفتهن والبلد فيهن ، وقفاصي (مضيق
مالاقا) وغيرها ، وجميع ما يتعلق به المشارق والجنوب والغور والصين ، الى
حدود الحرات الشارفة على البحر المحيط الذي لا خلفه سوى جبل قاف (امريكا ؟) .
وأبيات القصيدة ٢٧٣ ، وهي من الرجز أيضاً ، ومطلعها :

عزمت والعزم حميد في السفر لا سيما من بلدة فيها ضرر

وهي كأختها الأولى أشبه بزجل العوام ، وتماثلها في ضعف السبك وعوج اللفظة
وتعثر النظم ، وتزبد عليها في إقحام ياخي (يا أخي) وياخواني (يا إخواني)
في عشرات المواضع . . . وحسب القارئ هذه الأمثلة :

إن كان في هذا النجوم نفسا شرقياً وأشملاً لا تكون أحرصاً (١٤)

وان تكن ياخي بعيد عنها (١٨)

وفيهم الضيق فكن بالعالم حتى تكون للطريق لازمي (٣١)

أرسي بها إن شئت أخذ الماء والماء تحت القطعة الكبرا (٩٩)

وفوقهن جبلاً معروفاً له سنام وبه موصوفاً (١٥٠)

والماء يسقي داخل كن عارف عندك وإلا اطرح ولا تخالف (١٩٠)

الخ . . .

وآخر الرسائل وأقصرها هي الثانية ، ونصف طريق الملاحاة بين جدّة وعدن
(حمضة ، الفصليات ، صبيان ، الحديدة ، أرض الحُصيب [زيد] موشج ،
بقعة ، جزيرة زُقر ، عارة) . وتقع في ٥٥ بيتاً ، ويجرها الطويل ، ومطلعها :

سمرت نسمة الفردوس من أرض مكة بريح الصبا فاشتات السير حلبي

م (١٠)

وهي بالجملة أقوم لغةً ، وأمتن رصفاً ، ولكنها لا تبرأ من سَقَط ، أمثال :
 مسانتهم زامين والريح طيب كذا ستة للزقر كن مثلقت (٣٢)
 خصوصاً إذا ما كان ليلك ظمئي (٣٥)

* * *

وبعد ، تحمد العروبة للأستاذ شوموثسكي توفره على بحث تراثها ونشر
 ماثرها ، وقد بذل في إخراج هذا الكتاب أكرم الجهد .

(دمشق) الدكتور عزة النصي

•••••

رسالة الغفران^(١)

لأبي العلاء المعري

تحقيق الدكتورة بنت الشاطي

« الطبعة الثانية ، دار المعارف في القاهرة سنة ١٩٥٧ ، في ٦٢٤ صفحة »

— ٢ —

٤ — أورد أبو العلاء ص ١٦٨ قول الأعشى :

محباً زكرة وخبز رفاق وحباقا وقطعة من نون

وقال : « يعني بالحباق جرزة البقل » . وشرحت المحققة الحباق بأنه نبات طيب
 الرائحة^(٢) ، وما قاله الشيخ أولى وأجود ، يشهد لذلك أن البيت ورد في
 الأغاني ١١٩/٢ (طبعة السامي) في جملة أبيات عزها الحنين الجبري ، وروايته :

محباً ركوة وخبز رفاق وبقولا وقطعة من نون

(١) انظر القسم الأول : (مج ٣٢ ، ج ٤ ، ص ٦٨٥ - ٦٨٧) .

(٢) الحباق وزن كتاب جمع حَبَقَ عن ابن خالويه كما في اللسان ومستدرک التاج ،
 والحبق أنواع كثيرة ذكرها الأمير الشهابي في معجم الألفاظ الزراعية . (لجنة المجلة)

٥ - أورد الشيخ ص ١٨٥ آياتاً من قافية عدي بن زيد ، فيها :
لم يعبه إلا الأداحي فقد وبَّـر بمض الرئال في الأعلاق
وضبطت المحققة (الأداحي) بشدبد الياء وضمها ، والصواب - هنا - تسكينها
ليتن البيت .

٦ - أورد أبو الملاء ص ٢٦١ آياتاً من الرجز في وصف رحي اليد ، وهي :
أعددت للضيف وللجيران حربتين تتساوران
لا ترامان وهما ظئران

وقالت المحققة في كلتا الطبعتين : « . . . أما الحربة فلم نجد من معاني المادة ما يناسب المقام ، ويمكن أن تكون (حربتان) هنا مثنى حُرْبَة تصغير حراة وهي الجانب والشق والناحية ، وقد يفرض - على بعد - أنها (رُحَيْتَان) لا (حربتان) مثنى رُحَيْتَة مصغر رحي ، صحفها الناسخ تقدم الحاء على الراء ، وهذا الاحتمال الثاني لا قوة له ، لأن المعنى إنما يقوم على ما بين حجرى الرحي من التلازم دون التراؤم » .

ثم عقت - في الطبعة الجديدة - بذكر ثلاثة آراء في ضبط الكلمة وتوجيهها ، أحدها رأبي وخلاصته أنها (حَرَبَتَيْن) مثنى حربة ، نسبة للحرة ، وهي الأرض ذات الحجارة السوداء ، أي أن هذه الرحي متخذة من حجارة الحرة . والآخر للدكتور محمد يوسف ، أدلى به في كلمة عقب بها على مقالني في مجلة الكتاب عدد تموز (بولية) ١٩٥١ ، وخلاصته أنها مصحفة عن (جَرَبَتَيْن) ، والثالث للأستاذ السيد أحمد صقر ، ذهب فيه إلى أنها مصحفة عن (خِدَبَتَيْن) . وما كنت قلته - سنة ١٩٥١ - اجتهاداً قد وجدته مؤخراً منصوصاً عليه ، فقد أورد ابن قتيبة الأبيات - مع خلاف في بعض اللفظ - في الممانى الكبير ص ٣٧٦ وقال : « يعني رحيين من الحرة » . وقطعت جميزة قول كل خطيب .

٧- أورد الشيخ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ آياتاً من قصيدة حائية متدافعة بين
أوس بن حجر وعبيد بن الأبرص ، منها :
كَأَنَّ رَبِّقَهُ لَمَّا عَلَا شَطْبًا أَقْرَابَ أْبَلَقِ بْنِ الْخَيْلِ رَمَاحِ
وكانت المحققة ضبطت - في الطبعة الأولى - كلمة (شَطْبًا) بضم الشين وفتح
الطاء ، وشرحتها بأنها جمع شطبة وهي السعفة الخضراء . فصححت - في
مقالي السابق - ضبط الكلمة ، وذكرت انها ينبغي أن تضبط (شَطْبًا) بفتح
الشين وكسر الطاء ، أو بالتخريك ، بالاعتقاد على القاموس المحيط والملاوي
ومعجم البلدان ، وهو اسم جبل . فأصلحت المحققة - في الطبعة الجديدة -
الشرح على ما جاء في مقالي ، على حين أبتت الكلمة في متن الكتاب مضبوطة
كالسابق (شَطْبًا) .

٨- أورد الشيخ ص ٢٧٦ بيتاً من رائية الأفوه الأودي ، وهو :
رَبِّتْ جَرْمَ نَبِلاَ فَرْمِ جَرْمَا مَنَنْ فَوْقَ وَغَرَارِ
ثم أورد منها ص ٣٨٩ بيتاً آخر وهو :
كَشْهَابِ الْقَذْفِ يَرْمِيكُمْ بِهِ فَارَسَ فِي كَفِّهِ لِلْحَرْبِ نَارِ
وضبطت المحققة الروي في كلا البيتين بالسكون ، والصواب الضم ، فالبيتان
من قصيدة مطلقة الروي (انظرها في ديوانه ص ١١ - ١٣ في مجموعة الطرائف
الأدبية) وفيها :

يَحْلِمُ الْجَاهِلُ لِلسَّلْمِ وَلَا يَقْرَ الْحِلْمُ إِذَا مَا الْقَوْمُ غَارُوا
ومثل هذا البيت لا يمكن تقييده لأنه موصول بواو الغائبين .
٩- وقال ص ٣١٨ : « وكان سببويه ينشد هذا البيت بكسر الهجزة :
أَحِبُّ لِحْبِهَا السُّودَانَ حَتَّى أَحِبُّ لِحْبِهَا سُودَ الْكِلَابِ »
وضبطت المحققة (احب) الثانية بالنصب ، وكنت اقترحت - في مقالي
السابق - ضبطها بالرفع . فدفعت المحققة هذا الوجه . وحجتي في الموضوع أن

المضارع إنما ينصب بعد حتى إذا كان مستقبلاً بالنسبة إلى ما قبلها ، وأما إذا دلّ على الحاضر - كما هو الحال في هذا البيت - فالوجه الرفع .
١٠ - أورد أبو العلاء ص ٣٢١ قول علقمة بن عبدة :

يهدي بها أكف الخدين مختبر من الجمال كثير اللحم عيشوم
ثم قال : « فروي [يهدي] بالدال غير معجمة » .

وضبطت المحققة (غير) بالكسر ، والصواب فتحها ، فهي منصوبة على الحال ، ولا يصح - هنا - الوصف إذ لا توصف المعرفة بنكرة .

١١ - أورد الشيخ ص ٣٢٣ بيتين من معلقة عمرو بن كلثوم ، وهما :

فما وجدت كوجدي أم سقب أضلته فرجعت الحنينا

ولا شمطاء لم يترك شقاها لها من تسعة إلا جنينا

وذكر أن (شمطاء) - في البيت الثاني - يجوز عنده نصبها من وجهين ، ذكر أولهما ثم قال بذكر الآخر : « والآخر أن يكون من ولاء المطر . . »
ويقلب على الظن أن في الكلام سقطاً ، وأن الأصل « والآخر أن يكون [ولى] من ولاء المطر . . » ، ليستقيم وجه الكلام .

١٢ - أورد ص ٣٢٤ قول الراجز :

دار لظميا وأين ظميا أهلكت أم هي بين الأحياء

والصواب (دار لظميا . .) ليتزن البيت .

١٣ - ذكر أبو العلاء ص ٣٢٩ ميمية المرقش المفضلية (هل بالديار أن تحب

صمم) ثم قال : « على أن صرقشا خلط في كئنه فقال :

ماذا علينا أت غزا ملك من آل جفنة ظالم مرغم »

وقالت المحققة في الطبعة الأولى : « الشاهد هنا في كسر حركة ما قبل الروي

(مرغم) وهو في بقية القصيدة بالفتح ، وهذا عيب في القافية سماه أبو العلاء

هنا خلطاً . . وأما في الطبعة الثانية فقد أشارت إلى ما قالته في الطبعة الأولى ،

ثم أشارت إلى رأيي ، وخلاصته أن ما عناه أبو العلاء باخلاق هنا إنما هو محبي البيت من البحر الكامل الأخذ المضر ، لأن قوله (نة ظالم) وزنه (متفاعلن) على حين أن سائر الأبيات من السربيع . ولم تقطع المحققة بأحد الوجهين . وقد انخرقت المحققة في التعبير عن رأيي ، فذهبت إلى أني قلت : إن وزن البيت (مستفعلن مستفعلن متفاعلن) وهذا شيء لم أقله ، وهذه الصيغة التي جاءت بها ليست من الكامل الأخذ في شيء . وكل ما ذكرته ما صقته آنفاً من أن قوله (نة ظالم) وزنها (متفاعلن) . فخرج البيت بذلك إلى الكامل المضر الأخذ .

وهذه النقطة تحتاج إلى شيء من البسط ، فالرأي الذي أبديته ما أزال مصرراً عليه . والعيب الذي أشارت إليه المحققة هو ما يسمى في مصطلح القوافي (سناد التوجيه) ، ومن عادة أبي العلاء أن يسمي السناد - على مختلف أنواعه - باسمه الصريح ، كما فعل ص ٣٢٢ عندما عرض للسناد في معقبة عمرو بن كثوم ، ثم إن صراحة قد ساند في معظم أبيات القصيدة بالضم والكسر ، فلم عني أبو العلاء بذكر هذا البيت خاصة ؟ ومن هنا يبدو أنه إنما عني ظاهرة في هذا البيت لا يشاركه فيها سائر الأبيات ، وهو ما ذكرناه .

١٤ - قال أبو العلاء ص ٣٥٥ يحكي قول ابن دريد في بيتين بنسب إلى آدم عليه السلام في ثانيهما إقواء - : « فقال أول ما قال : أقوى » .

هكذا ضبطت المحققة هذه العبارة جمعت النقطتين بعد (قال) الثانية ، فجعلت (أول ما قال) ظرفاً لـ (قال) الأولى ، والصواب وضعهما بعد (قال) الأولى (قال : أول ما قال أقوى) فيكون (أول ما قال) ظرفاً لـ (أقوى) وداخلاً في مقول ابن دريد . والمعنى أن آدم قد وقع في الإقواء أول ما أخذ بقول الشعر . ويشهد لما ذهبت إليه أن الشريف ابن الشجري أورد القصة في أماليه ١ / ٣٨٤ (طبعة حيدر آباد) ، وعبارته في حكاية قول ابن دريد :

«هذا شعر قد قيل في صدر الدنيا وجاء فيه الإقواء» والقصة أيضاً أوردتها بافوت في معجم الأدباء ١٨٦/٨ وعبارته في حكاية قول ابن دريد : «أول من أقوى في الشعر أبونا آدم عليه السلام في قوله» ثم أنشد البيهقي .
١٥ - أورد أبو العلاء ص ٣٥٨ أبيات النابغة التي يذكر فيها قصة الحية « ذات الصفا» وفيها قوله :

كما لقيت ذات الصفا من خليلها
وكانت تديه المال غبا وظاهره
وكانت المحققة ضبطت (غبا) في الطبعة الأولى بكسر الغين ، وذهبت في مقالي - اعتماداً على ما ورد في الديوان ص ٦٢ (طبعة بيروت) - إلى أنها بضم الغين ومعناها : ما غمض من الأرض ، وهذا وهم قد وقعت فيه ، وتابعتني المحققة في طبعتها الجديدة ، والصواب أنها بكسر الغين ، والغيب أن ترعى الإبل يوماً وترد من الغد ، والظاهرة أن ترد كل يوم نصف النهار . وقد وردت الكتمان في حكاية المعري نفسه للقصة ص ٣٥٦ وشرحها المحققة ثمة شرحاً صحيحاً ، إلا أنها في شرح بيت النابغة تابعتني في الوهم الذي كنت انسقت إليه .
١٦ - عرفت المحققة ص ٣٦٦ بهذافر بن أوس قالت : «لعله عذافر القيمي ، أورد ابن قتيبة في (أدب الكاتب) رجواً له وقال : «وليس بججة - وهو قيمي ، وكان بكري إبله إلى مكة» . وهذا يوهم أن العبارة السالفة كلها من كلام ابن قتيبة ، وهو لم يقل إلا «وليس بججة» ، وأما سائر الكلام فلناشر الكتاب الأستاذ محي الدين عبد الحميد في حاشية الكتاب . انظر (أدب الكاتب ص ٣٩٩) .

١٧ - أورد أبو العلاء ص ٤٢٦ قول أبي نواس :

نديم قيل محدثه ملك

وضبطت المحققة الثاء من (محدثه) بالضم ، والصواب الفتح ، لأن الأصل (محدثه ملك) وهذه الهاء مزيدة للمبالغة كما هي في علامة ونسابة وراوية لا للتأنيث ، وسكنها الشاعر للضرورة .

١٨ - أورد أبو العلاء ص ٤٢٧ بيتاً من الرجز وهو :

يا بيذره يا بيذره يا بيذره

وكانت المحققة في الطبعة الأولى جعلته نثراً ، وكنتُ نبهتُ إلى ذلك في مقالي ، ولكن هذا التنبيه أسقط في جملة ما أسقط من المقال . وأزبد الآن أن البيت من أبيات في جمهرة ابن دريد ١ / ٢٣ ، و ٢١٩ وروايته (يا بيذره) بالدال المهملة .

١٩ - قال الشيخ ص ٤٥٧ : « . . . بقنت على رهط الإيجار ويسند إلى

عبد الجبار » .

وشرحت المحققة القنوت بما لا يفهم منه المقصود تماماً ، ومعنى العبارة - فيما نرى - أنه بقنت في صلواته ويدعو على الجبرية . وهذا ما كنت ذهبت إليه في تقدي للطبعة الأولى ، إلا أن المحققة لم ترضه ، وعاشت بقولها : « . . . صرف القنوت إلى الدعاء على فئة لا وجه يرجحه . والسياق أن الرجل مرء كاذب التدين يتمهد على طريقة رهط الإيجار ، ويروي أو يعتقد على طريقة المعتزلة » . ويشهد لما ذهبت إليه ما أشر عن رسول الله (ﷺ) أنه كان يدعو في قنوته لأسلم وغفار ، ويدعو على عضل والقارة . وما قالته المحققة من أن أبا العلاء أراد أن يصف الرجل بأنه مرء صحيح ، ولا بنافي ما قلت ، لأن أبا العلاء وصفه بأنه « . . . ما يزال يحتقب من المآثم عظام . . . » فهو يدعو على مخالفه من الجبرية ويقول بمقالة المعتزلة ، مع عكوفه على المآثم ، وهي - في نظر المعتزلة - تجعل الإنسان لا مؤمناً ولا كافراً وإنما في منزلة بين المنزلتين .

٢٠ - قال الشيخ ص ٥٢٣ « . . . فأخذ - أي ابن القارح - عن الكتابي

صور التنزيل » .

وكانت المحققة في الطبعة الأولى ص ٤٨٩ ذهبت إلى أنها (الكتابي) مستظهرة بقول أبي العلاء : « وما عنيت بالكتابي من نسب إلى توراة وإنجيل ،

دون من نسب إلى القرآن الجليل» . وذكرت أن نيكلسون قرأها (الكتاني) بالنون - ولكنه أخطأ معرفة المعنى بذلك ، وقالت المحققة : « وإذا صححت قراءة نيكلسون تبين أن يكون الكتاني هنا أبا حفص الكتاني أحد شيوخ ابن القارح . . . ولكن يبقى بعد هذا سؤال هو : لم عني أبو العلاء بذكر الكتاني دون بقية الشيوخ الذين ذكروهم ابن القارح وهم جميعاً من الأعلام ؟ » وكنت عاقت - في مقالي السابق - على هذا الكلام بقولي : « ما قرأه نيكلسون هو الصحيح ، وإن كان لم يوفق إلى معرفة المعنى بذلك ، وما قالته المحققة من أنه بتمين - إن صححت قراءة نيكلسون - كونه أبا حفص الكتاني صحيح أيضاً ، أما الجواب على سؤالها فغاية في البساطة ، وهو أن أبا حفص هذا شيخ ابن القارح في القراءة ، ويتضح هذا من قول ابن القارح في رسالته : « . . . وأبي حفص الكتاني صاحب أبي بكر بن مجاهد . . . » وأبو بكر هذا إمام القراءة في المئة الرابعة ، وهو الذي اختار القراءات السبع المعروفة .

هذا ما كنت كتبت في تلك الأيام ، إلا أن مجلة « الكتاب » أسقطته فيما أسقطت ، ويظهر أن المحققة رأت أصول المقال ، فعلمت في الطبعة الثانية مرجحة قراءتها (الكتاني) قالت : « . . . وهي بلا ريب أقوى وأرجح . . . » والكتاني هذا ذكره ابن الجزري في طبقات القراء فيمن أخذوا عن ابن مجاهد ، ثم ترجم له أيضاً وذكر من أخذوا عنه ، إلا أنه لم يذكر ابن القارح فيهم . ٢١ - أورد الشيخ ص ٥٣٤ آياتاً قيل إنها لطفيال الغنوي يمدح رسول الله (ﷺ) ، وأولها :

وأبيك خير إن إبل محمد غزل تناوح أن تهب شمال
هكذا جاء ضبطه في كلتا الطبعتين (خير) و (غزل) وصوابه كما رواه
المرنضي في أماليه ١١٦/٢ :

وأبيك خيراً إن إبل محمد غزل تناوح أن تهب شمال
ورواه أيضاً ابن رشيق في العمدة ٩٨/٢ ، وروايته :

وأبيك حقاً إن إبل محمد عزل نوائح أن تهب شمال
 وشرح المرتضى البيت قال: «أراد: أهلك الخيرة، فلما طرح الألف واللام نصب
 والعزل: التي لا سلاح معها، وسلاح الإبل سنامها وأولادها، وإنما جعلوا
 ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها إذا رأى سمها وحسن أجسامها ورأى
 أولادها تتبعها نفس بها على الأضياف فامتنع من نحرها، فلما كان ذلك صادراً
 عن الذبح، وما نفعاً منه، جرى مجرى السلاح لها، فكأنه يقول: هذه الإبل
 وإن كانت ذوات سلاح، من حيث كانت شحمة سمينة فهي كالعزل إذ كان
 سلاحها لا يفني عنها شيئاً ولا يمنع من عقرها». وانظر حول هذا المعنى وأمثاله
 المعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٣٩١ - ٣٩٢ وسمط اللآلي ٦٣١ - ٦٣٢،
 وأساس البلاغة ولسان العرب (رمح).

٢٢ - قال أبو العلاء ص ٥٦٢ «... ولا كالدبنار في البيت الذي أنشده
 أبو عمر الزاهد...»

وترجمت المحققة - في كتابنا الطبعين - لأبي عمر الزاهد هذا على أنه «أبو عمر
 الزاهد الدمشقي من كبار مشايخ الصوفية وصاداتهم...» وكنت استدركت
 في مقالي السابق على المحققة هذا وقلت: «ولا شأن لأبي عمر الزاهد هذا في رواية
 الشعر... والمراد هو أبو عمر الزاهد غلام ثعلب» وعلقت المحققة على كلامي بقولها:
 «الذي بدا لي أن هذا البيت بأبي عمر الزاهد المتصوف أشبه...» ولكن هذا
 لا ينهض حجة على ما قلنا، فالمعروف في الرواية والالفة إنما هو غلام ثعلب.

* * *

هذا ما عن لي من خواطر حول الطبعة الجديدة من رسالة الغفران، وإني
 لأشكر من رأى فيما أبدت خطأ فردني إلى الصواب، كما أشكر المحققة
 الأدبية جهدها وخدمتها للأدب ولغة العرب.

راتب النفاخ

مجموعة خطب الرئيس شكري القوتلي

رئيس الجمهورية السورية

خلال عامين من رئاسته (من ايلول ١٩٥٥ الى ايلول ١٩٥٧)

طبعت في دمشق عام ١٩٥٧ في ٢٢٨ صفحة من قطع الوسط

ويلي النص مجموعة من الصور التذكارية

رافق فخامة الرئيس الأول الفكرة التحررية منذ نشأتها وناضل مع المناضلين الأحرار في سبيل بث القومية العربية وتحقيقها ، ولم يتطرق الى نفسه رغم وعورة مسلكها اليأس ولا خامرها الوهن ، جالد الإرهاب وصاير الاضطهاد ، وقارع بأس الاستعمار في عنفوان سلطانه ، وله في كل مرحلة من مراحل نضال الأمة ونهضتها مآثر حميدة وقبس منير ، صارت بهديه البلاد ، وجنت بقيادته الرشيدة أطيب الثمرات .

أخلص فخامته لشعبه بأفعاله ، وصدقته القول ، ولم يخلف له وعداً ، ولم يحنث له بعهده ، فهو له الصادق الأمين والمرشد الحكيم ، شارك شعبية في آماله وآلامه ، وأفراحه وأتراحه ، ومنحنه الأمة ثقته طوعاً ، وألقت اليه باختيارها مقاليد أمورها .

ومن حسناته السماح بجمع هذه الخطب ونشرها للملا للذكرى وتخذ المهم ، وهي صفحات مشرقة نقية ، رائدها الصراحة والإخلاص والوفاء ، مجموعة خطب بل مجموعة حكم ألقاها فخامته خلال عامين اثنين في مناسبات مختلفة وأحداث هامة في حياة الشعب السوري ، وهي كما وصفها في مقدمته ناشر هذه المجموعة : « سجل وقائع ، وتوضيح مناهج ومبادئ ، ودعوة في كل مناسبة إلى النضال والعمل ، والدأب في سبيل حرية العرب ووحدتهم ، وفي سبيل تأمين حياة كريمة عزيزة ، موفورة الرخاء في ظل العدالة الاجتماعية لكل سوري ولكل مواطن عربي » .

أمد الله في حياته لأداء رسالته وتحقيق آمله .

جعفر الحسني

آراء وأبناء

انتخاب

رئيس المجمع العلمي العربي

انتهت مدة انتخاب معالي الأستاذ الرئيس السيد خليل مردم بك في ٣١ تشرين الأول سنة ١٩٥٧ ، فعقد المجمع العلمي العربي جلسة في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ ووجدد بالإجماع انتخابه لمدة أربع سنوات . وقد صدر بذلك مرسوم جمهوري رقمه ٣٥١٤ بتاريخ ١٢ كانون الأول سنة ١٩٥٧ .

— ١٥٥٤ —

— ١٥٦ —

أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م

الرؤساء العاملون

١ - الرئيس : الأستاذ خليل مردم بك

٩	الأستاذ عارف النكدي	٢	الدكتور اسمعيل الحكيم
١٠	عز الدين التنوخي	٣	الأستاذ جعفر الحسني (أمين السر العام)
١١	فارس الخوري	٤	الدكتور جميل صليبا
١٢	الشيخ محمد بهجة البيطار	٥	حسني سبيع
١٣	الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	٦	حكيم هاشم
١٤	مرشد خاطر	٧	سامي الدهان
١٥	الأستاذ مصطفى الشهابي (نائب الرئيس)	٨	الأستاذ شفيق جبيري

١٦ - الدكتور منير العجلاني

الرؤساء المرسلون

١٢	الأب اس. مرمجي الدومنيكي فلسطين	١	الدكتور عبد الرحمن الكيالي سورية
١٣	الأستاذ قدري حافظ طوقان	٢	الأستاذ عمر ابوريشة
١٤	محمد الشريفي	٣	الأستاذ محمد سليمان الأحمد
١٥	احمد حامد الصراف العراق	٤	الدكتور قسطنطين زريق
١٦	الدكتور داود الجلي	٥	الأستاذ أنيس المقدمي لبنان
١٧	الأستاذ ساطع الحصري	٦	بشارة الخوري
١٨	طه الهاشمي	٧	الشيخ سليمان ظاهر
١٩	عباس العزاوي	٨	الدكتور صبحي الحمصاني
٢٠	الشيخ كاظم الدجيلي	٩	عمر فروخ
٢١	الأستاذ كور كيس عواد	١٠	الأستاذ مارون عبود
٢٢	الشيخ محمد بهجة الاثري	١١	الدكتور نقولا فياض

٤٩	الاستاذ أبو الحسن علي الحسيني الندوي الهند	٢٣	الاستاذ محمد رضا الشيبلي العراق
٥٠	عبد العزيز الميمني باكستان	٢٤	الدكتور مصطفى جواد
٥١	يوسف البنوري	٢٥	الاستاذ منير القاضي
٥٢	الدكتور بلاشير (رجيس) فرنسا	٢٦	احمد حسن الزيات مصر
٥٣	الاستاذ دوسو (ربنه)	٢٧	الدكتور احمد زكي
٥٤	كولان (جورج)	٢٨	الاستاذ احمد لطفي السيد
٥٥	لاوست (هنري)	٢٩	خليل ثابت
٥٦	ناسه (هنري)	٣٠	الدكتور طه حسين
٥٧	ماسينيون (لويس)	٣١	الاستاذ عباس محمود العقاد
٥٨	أربري (أ. ج. ٠)	٣٢	الدكتور عبد الوهاب عنان
٥٩	جيب (٠.١.٠٥)	٣٣	الشيخ محمد الخضر حسين
٦٠	غليوم (الفرد)	٣٤	الدكتور منصور فهمي
٦١	ريتر (هلموت) المانية	٣٥	الأمير يوسف كمال
٦٢	هارتمان (ريشارد)	٣٦	الشيخ محمد نور الحسن السودان
٦٣	دبدرنغ (س. ٠) السويد	٣٧	الأستاذ حمد الجاسر المملكة العربية السعودية
٦٤	الدكتور ضودج (بيارد) الولايات المتحدة	٣٨	خير الدين الزركلي
٦٥	الاستاذ فيليب حني	٣٩	علي الفقيه حسن ليبيا
٦٦	غومز (اميليو غارميا) اسبانية	٤٠	حسن حسني عبد الوهاب تونس
٦٧	الدكتور اشتونز (كارل) النمسة	٤١	محمد الطاهر بن عاشور
٦٨	الاستاذ موجيك (هانز)	٤٢	محمد البشير الابراهيمي الجزائر
٦٩	ماهلر (ادوارد) المجر	٤٣	عبد الحمي الكتاني مراکش
٧٠	جبرائيل (فرنسيسكو) ايطالية	٤٤	عبد الله كنون
٧١	الدكتور شخت (يوسف) هولاندة	٤٥	علال الفاسي
٧٢	الاستاذ بدرسن (جون) الدانيمرك	٤٦	احمد انش تركيا
٧٣	كرسيكو (يوحنا هنتن) فنلاندة	٤٧	الدكتور علي أصغر حكمت ايران
٧٤	رشيد سليم الخوري البرازيل	٤٨	الاستاذ آصف علي أصغر فيضي الهند

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

٢٤	الشيخ راغب الطباخ	سورية	١	الشيخ طاهر الجزائري	سورية
٢٥	عبد الحميد الجابري	سورية	٢	مسلم البخاري	سورية
٢٦	عبد الحميد الكيالي	سورية	٣	مسعود الكواكبي	سورية
٢٧	محمد زين العابدين	سورية	٤	الاستاذ الياس قديمي	سورية
٢٨	الدكتور صالح قنباذ	سورية	٥	أنيس سلوم	سورية
٢٩	الشيخ سليمان الأحمد	سورية	٦	جميل العظم	سورية
٣٠	الاستاذ ادوار مرقص	سورية	٧	مسلم عنخوري	سورية
٣١	الشيخ سعيد العرفي	سورية	٨	عبد الله رعد	سورية
٣٢	البطيريك ماراغناطيوس افرام	سورية	٩	رشيد بقدونس	سورية
٣٣	الاستاذ حسن بهيم	لبنان	١٠	اديب التقي	سورية
٣٤	الأب لويس شينجو	لبنان	١١	الشيخ عبد القادر المبارك	سورية
٣٥	الشيخ عبد الله البستاني	لبنان	١٢	الاستاذ معروف الأرنؤوط	سورية
٣٦	الاستاذ جبر ضومط	لبنان	١٣	السيد محسن الأمين	سورية
٣٧	عبد الباسط فتح الله	لبنان	١٤	الاستاذ الرئيس محمد كرد علي	سورية
٣٨	الشيخ عبد الرحمن سلام	لبنان	١٥	محمد اليزم	سورية
٣٩	مصطفى الغلايبي	لبنان	١٦	سليم الجندي	سورية
٤٠	الاستاذ عمر الفاخوري	لبنان	١٧	الشيخ عبد القادر المغربي	سورية
٤١	بولص الخولي	لبنان	١٨	الأب جرجس شلحت	سورية
٤٢	امين الريحاني	لبنان	١٩	جرجس منش	سورية
٤٣	الامير شكيب ارسلان	لبنان	٢٠	الاستاذ قسطنطين الحمصي	سورية
٤٤	الشيخ ابراهيم المنذر	لبنان	٢١	الشيخ كامل الغزي	سورية
٤٥	الاستاذ جرجي بني	لبنان	٢٢	الاستاذ ميخائيل الصقال	سورية
٤٦	الشيخ احمد رضا	لبنان	٢٣	الشيخ بدر الدين النعساني	سورية

٢٢	الاستاذ داود بركات	مصر	٤٧	الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف	لبنان
٢٣	الدكتور امين المعلوف	"	٤٨	فيليب طرازي	"
٢٤	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	"	٤٩	الشيخ فؤاد الخطيب	"
٢٥	الشيخ عبد العزيز البشري	"	٥٠	الشيخ سعيد الكرمي	فلسطين
٢٦	الدكتور احمد عيسى	"	٥١	الاستاذ نخلة زريق	"
٢٧	الأ مير عمر طوسون	"	٥٢	الشيخ خليل الخالدي	"
٢٨	الشيخ مصطفى عبد الرازق	"	٥٣	الاستاذ عبد الله مخلص	"
٢٩	الاستاذ انطون الجميل	"	٥٤	محمد اسعاف النشاشيبي	"
٨٠	خليل مطران	"	٥٥	عادل زعبيتر	"
٨١	ابراهيم عبد القادر المازني	"	٥٦	محمود شكري الآلومي	العراق
٨٢	محمد لطفي جمعة	"	٥٧	جميل صدقي الزهاوي	"
٨٣	الدكتور احمد امين	"	٥٨	مهروف الرصافي	"
٨٤	الاستاذ عبد الحميد العبادي	"	٥٩	طاه الراوي	"
٨٥	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر	٦٠	الاب انتاس ماري الكرملي	"
٨٦	الاستاذ محمد الحجوي	مراكش	٦١	الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	مصر
٨٧	زكي مغامر	تركية	٦٢	رفيق العظم	"
٨٨	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	ايران	٦٣	احمد كمال	"
٨٩	الاستاذ عباس اقبال	"	٦٤	احمد تيمور	"
٩٠	الحكيم محمد اجل خان	الهند	٦٥	احمد زكي باشا	"
٩١	الاستاذ فران (جبرئيل)	فرنسة	٦٦	الدكتور يعقوب صروف	"
٩٢	هورار (كلبان)	"	٦٧	السيد محمد رشيد رضا	"
٩٣	بوفار (لوسيان)	"	٦٨	الاستاذ حافظ ابراهيم	"
٩٤	مالنجو	"	٦٩	احمد شوقي	"
٩٥	كي (أ. أ.)	"	٧٠	الشيخ احمد الاسكندري	"
٩٦	باسه (رينه)	"	٧١	الاستاذ اسعد خليل داغر	"

١١٥ الاستاذ آسفين بلاسيوس (ميكل) اسبانية	فرنسة	٩٧ الاستاذ ميشو بلير
١١٦ = لويس (دافيد) البرتغال	=	٩٨ = مارسيم (وليم)
١١٧ = جويدي (اغنازيو) ايطالية	=	٩٩ = صرجليوث (د.س.س) بريطانية
١١٨ = نالينو (كارلو)	=	١٠٠ = بفت
١١٩ = غريغيني (اوجينيو)	=	١٠١ = براون (ادوارد)
١٢٠ = مونته (ادوارد) سويسرة	=	١٠٢ = كرينكو (فريتز)
١٢١ = هس (ج.ج.ج)	الممانية	١٠٣ = هومل
١٢٢ = كوفالسكي (ت.ت) بولونية	=	١٠٤ = ساخار (ادوارد)
١٢٣ = موزل (الوا) تشكوسلوفاكية	=	١٠٥ = هوروفيتز (يوسف)
١٢٤ = هورغرينيه (سنوك) هولاندة	=	١٠٦ = هارتمان (مارتين)
١٢٥ = اراندوك (ك.ك)	=	١٠٧ = ميتفوخ (اوجين)
١٢٦ = هوتسما (م.ت.ت)	=	١٠٨ = بروكين (كارل)
١٢٧ = بوهل (ف.م.ب.ب) الدانمارك	=	١٠٩ « غولد صير (اغناطيوس) المجر
١٢٨ = استروب (ج.ج)	=	١١٠ « ماكديفالد (د.ب) الولايات المتحدة
١٢٩ = ستيرستين (ك.ف.ف) السويد	=	١١١ = هرزفلد (ارنست)
١٣٠ = سعيد ابو حمرة البرازيل	=	١١٢ = سارطون (جورج)
	=	١١٣ = كراتشكوفسكي (أ) الاتحاد السوفياتي
	=	١١٤ = برنلز (ابفيكين)

م (١١)

وفاة الأستاذ . ايفيكين برتلز

(١٨٩٠ - ١٩٥٧)

نهي إلينا معهد الدراسات الشرقية في موسكو الفقيه ١٠١٠١ برتلز أحد أساتذة
المعهد البارزين ، والعضو المراسل للمجمع العلمي العربي ومجمع العلوم السوفياتي ،
والعضو الفخري في مجي العلوم الأيراني والتركي . وقد خسر بوفاته الاستشراق
علماً من أعلامه الماملين . وكان الفقيه كأستاذة وضنوه المرحوم كراتشكوفسكي
حجة في اختصاصه ، عميق الفور في أبحاثه ، شملت معارفه ودراساته رقعة واسعة
من العالم الإسلامي الآسيوي ، وتمددت بقدرها خصائصه وتنوع مواضيعه .
ولد الفقيه برتلز في عام ١٨٩٠ ، وهو ابن طبيب من بطرسبورغ ، انصرف
في بادئ أمره الى العلوم الطبيعية ، وألف على حدائته أبحاثاً فيها ، ثم درس
الحقوق وانتسب في ذات الوقت الى المعهد الموسيقي ثم توجه أخيراً الى الاستشراق ،
فدخل في عام ١٩١٨ الكلية الشرقية في جامعة بتروغراد ، وكان من أبرز
أساتذته : بارتولد وكراتشكوفسكي وفرمان وروماسكيفتش وسميرنوف وغيرهم
من أفاضل المستشرقين ، فنال منها شهادة الدكتوراه في علوم اللغات . وما كاد
يتخرج من الكلية الشرقية حتى لمع اسمه وتبوأ مركزاً سامياً بين علماء الاستشراق
وتميز عنهم بتعدد اللغات التي يحسنها ، وكان يتقن أربعاً وعشرين لغة غربية
وشرقية استعملها في أغراضه العلمية . وعهد اليه في سنة ١٩٥٠ مديرية شعبية
تاريخ الشرق السوفياتي وثقافته ، ومنح تقديراً لعمله جائزة ستالين .
وقد يطول بنا سرد مفردات مؤلفات الفقيه البالغة (٢٣٠) بحثاً أكثرها
باللغة الروسية ونقتصر على التعريف بموضوعاتها :

ترجم كثيراً من النصوص العربية والسوسكرينية والطادجيكية والبوشتو والاوزبكية والتركانية والازربجانية والفارسية والتركية ، ووضع كتابين في قواعد اللغتين الفارسية والبوشتو ، وأشرف على وضع المعجم التالية : روسي طادجيكى ، وطادجيكى روسي ، وأفغانى روسي ، وله دراسات واسعة عن تاريخ الأدب الفارسي والطادجيكى والاوزبكي والتركاني والأدب العربي في القرون الوسطى . وله أبحاث طويلة عن التاريخ الإسلامى والمذهب الصوفى . ويعتبر الفقيه رحمه الله باعث النهضة الثقافية بين شعوب آسيا الوسطى وما وراء القفقاس . وكان فى طليعة المستشرقين العاملين إنتاجاً ومن أوسعهم آفاقاً ، وافاه أجله قبل أن يستنفد نشاطه وتفتر همته فأدى على أكل وجه رسالته ، وخلد بتصانيفه ذكره .
رحمه الله رحمة واسعة .

— — — — —



المرحوم الأستاذ عادل ابن الشيخ عمر زعيتر
(١٨٩٧ - ١٩٥٧)

وفاة الأستاذ عادل ابن الشيخ عمر زعيتر

فجع المجمع العلمي العربي في دمشق بعضو من خيار أعضائه المرسلين في فلسطين ، وهو المرحوم عادل زعيتر ، وخسرت الثقافة العربية بفقده أحد أعلامها العاملين ، كان رحمه الله من رجال القانون اللامعين والساسة المناضلين المخلصين ، اكنسب في فلسطين ثقة مواطنيه وتقديرهم .

ولد الفقيه في نابلس سنة ١٨٩٢ وأتم فيها دراسته الابتدائية ، ثم انتقل الى المدرسة الاعدادية في بيروت وحصل الآداب في السكينة السلطانية بالآستانة .

دُعي الى الجندية في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٦ ، وكان من ضباط الاحتياط في الجيش العثماني . ولما اضطره الترك العرب انضم الى الجيش العربي بقيادة الأمير فيصل بن الحسين ، فحُكم عليه الترك بالإعدام غيابياً سنة ١٩١٢ . ناب في عام ١٩١٩ عن نابلس في المؤتمر السوري ، وكان في جملة من نادوا بملكية فيصل على سورية ، وساهم في وضع دستور المملكة السورية لذلك العهد ، واشترك في جميع المؤتمرات الفلسطينية .

دخل في سنة ١٩٢١ كلية الحقوق في جامعة باريس ونال في سنة ١٩٢٥ شهادتها ، ثم عاد سنة ١٩٢٧ الى فلسطين وامتهن فيها المحاماة ، ودرّس من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٣٦ الاقتصاد السياسي والمالي والفقه الدستوري والدولي وقانون المرافعات المدنية والجزائية في معهد الحقوق بالقدس . ثم استقال من التدريس وانقطع الى العلم والأدب والسياسة المثالية . انتخب في سنة ١٩٥٣ عضواً في المجمع العلمي العراقي ، وانتخب في سنة ١٩٥٥ عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في دمشق .

ونقل الى العربية من روائع المؤلفات الغربية الكتب التالية :

- | | |
|-----------------------------------|--------------------------------------|
| ١٧ - ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية | ١ - روح الشرائع (جزآن) لمونتسكيو . |
| • لبوتول | ٢ - العقيد الاجتماعي . |
| ١٨ - النيل . | ٣ - أصل التفاوت بين الناس . |
| ١٩ - البحر المتوسط . | ٤ - إميل أو التربية لجان جاك روسو . |
| ٢٠ - كليوباترة . | ٥ - حضارة العرب . |
| ٢١ - بسمارك . | ٦ - حضارات الهند . |
| ٢٢ - نابليون . | ٧ - روح الجماعات . |
| ٢٣ - ابن الإنسان . | ٨ - السنن النفسية لتطور الأمم . |
| ٢٤ - الحياة والحب لإميل لودفيغ . | ٩ - فلسفة التاريخ . |
| ٢٥ - حياة محمد لإميل درمنغم . | ١٠ - روح التربية . |
| ٢٦ - تاريخ العرب العام لسيدبو . | ١١ - حياة الحقائق . |
| ٢٧ - الآلهة عطاش . | ١٢ - الآراء والمعتقدات . |
| ٢٨ - حديقة أبيقور لآنا تول | ١٣ - روح الثورات والثورة الفرنسية . |
| • فرانس | ١٤ - روح الاشتراكية . |
| ٢٩ - كنديد أو التفاضل لقولتر . | ١٥ - روح السياسة . |
| ٣٠ - أصول الفقه الدستوري | ١٦ - اليهود في تاريخ الحضارات الأولى |
| • لايسمن | • افوستاف لبون |

وله في الموضوعات التي ألقاها في معهد الحقوق بالقدس مؤلفات لم تطبع .
كان الفقيه في طليعة المترجمين ، أميناً في نقله ، سليماً في أسلوب إنشائه ،
رحمه الله رحمة واسعة .

— 2000 —

مؤتمر الأدباء العرب

خلال الأسبوع الثاني من هذا الشهر (٩ - ١٥ كانون الأول سنة ١٩٥٧) انعقد في القاهرة المؤتمر الثالث للأدباء العرب ، وقد دعت إليه جمهورية مصر ، ولبت الدعوة وفود الدول العربية ، وجمعت مقرها قاعة المتحف الزراعي ، واتخذت موضوعها « الأدب والقومية العربية » يتحدث فيه الأدباء من كل قطر عربيّ خلال ستة أيام كان أولها للافتتاح وآخرها للاختتام ، وفيما بينهما انقسمت الأحاديث إلى عناوين أربعة هي : الشعر ، والنثر ، والنقد ، وحماية الأدب ، وصلتها كلها بالقومية العربية .

وكان لا بد أن يذهب الأدباء مذاهب شتى في فهم هذه العناوين والتعبير عنها ومناقشتها ، يحملون في أفواههم ثقافة قطريهم ومشربه ومناه ، يختلفون باختلاف أمتانهم من شباب ، وكهولة ، وشيخوخة ، ومن انصراف إلى بعض الأدب القديم ومثاقبه وروعته إلى عكوف على بعض الأدب الحديث في سهولته وطلاقة ألوانه وغرابته فنونه ، ومن نظرة إلى لغة العرب على أنها مقدسة كريمة من نبع عظيم ، ونظرة أخرى على أنها واسطة للتعبير لبس غير ، صالحة للتأويل والتبديل لعلها تشبه الألوان المستحدثة في لغات الغرب .

وكانت فرصة لمؤرخ الأدب العربي الحديث أن يستمع إلى شباب يجدون الشعر في أقوال لا يربط بينها وزن ولا يحددها بحر ، ولا يصلها معنى بماني الشعر العربي الموروث . ويستمع إلى آخرين يربدون العامية في الحديث والكتابة ، ويرون أن المسرحية أو القصة تسقط حين تكتب في الفصحى ، وتسمو إلى ذرى القوة حين ترمم في العامية ، ثم يستمع إلى نقد هذه الآراء كلها . وكانت كذلك مناسبة فريدة أن يستمع مؤرخ العصر إلى ألوان الفهم عند الشباب وغير الشباب في موضوع القومية العربية ، فهي ترتبط حيناً بالدين ،

وحيثما بالعرق ، وأحياناً بالعنصرية والتاريخ . فبعض يرى القومية في تراط
العرب ، وبعض يراها في اتحاد المسلمين ، وبعض يرى أن تكون في أهدافها
إنسانية عالمية تجمع العالم بأقوامه وأقطاره .

وطبعي أن نتحدث الأدباء عن نظريات الأدب المختلفة في قوالبه الجمالية
والمثالية ، أو في خدمته وأنواعه ، وأن بتطرقوا إلى نظرية الفن للفن أو الفن
للشعب . وأن يتساءلوا هل يرتفع الأديب إلى مستوى المثالية ، ويرفع إليه
قراءه من الشعب ، أم ينزل من مستواه إلى أبناء الشعب ليفهموه ويدركوا أقواله .
وقد تحدث الدكتور طه حسين عن القومية العربية في الشعر القديم ، ورأى
أن تمسك بالقطامي والأخطل لأنها عريبان ، ثم نظر إلى الأدب فجعل له
الحرية في فنه وقوله لأن إنتاجه وعبريته ونبوغه مفخرة لقومه وأمته فلا سبيل
إلى أن تفرض على الفنان طريقة أو منهجاً . ولكنه رأى أن يقوم الأديب
بواجبه نحو أبناء وطنه يشعر بمشاعرهم ويتحسس بآلامهم ، وأن تنهض الأمة بواجبها
نحو أدبائها . وتحدثت الدكتورة سهير القماوي عن تطور القومية العربية وصلتها
بالأدب فرسمت السبل الواضحة البيّنة لأدب المستقبل . وارتفع الأستاذ محمود
المسعودي إلى ذروة النقد والفن المثالي في تحليل الأدب والقومية العربية وحرية
الفنان وصلته بالإنسانية ، فكان مع زميليه الذين ذكرنا واسطة العقد من هذا المؤتمر .
واشترك في الخطابة أدباء وعلماء كالشيخ محمد بشير الإبراهيمي عن الجزائر ،
والأستاذ عبد الله كنون عن المغرب ، والدكتور عبد الرزاق عحي الدين عن
العراق ، فكانوا في مباحثهم على هدوء العلماء وأناة الباحثين وعمق المفكرين
الناقدين ، فاستحقوا إعجاب السامعين وثناءهم .

وكان من الطبيعي كذلك أن يتحدث المؤتمر عن الوعي القومي والسياسة
التحررية والنضال الشعبي والحياد الإيجابي ، وموقف الأدباء العرب من هذه
المفاهيم المستجدثة في ألفاظها ، القديمة في أوانها ، وتطرقوا إلى الأوطان
السليبية والرابع المهتدة كالجزائر الحبيبة وفلسطين المنكوبة ، وسوربة ومصر

المجاهدين ، مما استثار الحماسة والأسي والوطنية ، وانتهى بالسامعين إلى قرار الدفاع عن الوطن العربي بأقلام الأدباء والكتاب للحفاظ على قوميتنا وتراث شعبنا . ولا شك في أن هذا المؤتمر كان سوقاً للشعر والخطابة والحديث والمناقشة ، يستحق التسجيل على أنه يمثل بعض التيارات المعاصرة ، ويصور بعض الآراء المستحدثة في النصف الأول من القرن العشرين ، ولعل هذا بفتح الأذهان إلى ضرورة البحث والدرس والتأليف ، وبدفع إلى التفكير بإنشاء فروع في الجامعات العلمية العربية بدمشق والقاهرة وبغداد لبحث هذه النظريات ، وتأليف كتب في تاريخ القومية العربية ومختارات للأدب العربي القومي ثره ونظيمه ، في أناة عاقلة وحكمة بالغة ودرس طويل . فليس الارتجال طريقاً إلى صنع المناهج الدائمة ، وليس النقاش السريع من أسس البحث المنظم العاقل ، لأن نتائجه تذهب بذهاب الزمن الذي قيات فيه . ولعل مجامعنا العربية تصفي إلى ندائنا فتقدم للشباب خيرة دراستها وعميق فهمها وواسع اطلاعها ، لعلهم يستنبطون جهديها يأخذون بنظمها ، قبل أن تستولي عليهم بعض منازع الفكر الأجنبي المرتجفة وثورات الأدب العصبية فبهدمهم عن جذور التراث الكريم ، وتربطهم بفرع من فروع التفكير التي لا تتصل بماضينا ولا تصلح لحاضرنا ولا تمكن للأسس السليمة في مستقبل أدينا وقوميتنا .

الدكتور سامي الدخان

ابن سينا الشاعر

الشيخ الرئيس ، وإن كان رجل حكمة وفلسفة وطب ، اشتهر اسمه بها ، وقبس به سواء فيها ؛ حتى قال ابن عنين ، أدب الشام (المتوفى سنة ٦٣٠ هـ) بمدح الإمام فخر الدين الرازي ، في قصيدته اللامية :

غلط امرؤ بأبي علي قامه هيهات قصر عن مداه أبو علي (١)

(١) ديوان ابن عنين (طبعة دمشق ١٣٦٥) ض ٥٤ ، من كلمته التي أولها :
ريح الشمال عساك أن تتحملي خصمي إلى المولى الإمام الأفضل

هو أيضاً ، منتظر ف يطرب إلى الأدب ، ماجن لا يلبيه الدرس عن الشراب^(١) والفناء .

رزق الشيخ ابن سينا صفاء الأدياء ، وتخلق بأخلاق أولي الظرف ، وقد أوتي حسن الطبع ، وبلاغة المنطق ، وفصاحة الكلام ، فنعاطى القريض ، وقال الشعر ، وعالج النظم . فقد حدثنا - وهو صادق - أن والده أحضر له معلم الأدب - وهو في غضاضة الغصن - وأنه بلغ ما بلغ أولو الكمال ، وهو في أوائل الصبا^(٢) .

ثم أتبع له أن يظفر بخزانة نوح بن منصور ، التي فتحت له أبوابها في بخاري ، فقرأ ما بها من كتب العربية ، واطلع على مجموعات الأدب ، ودواوين الشعر ، وهو لم يكمل ثمانين عشرة حجة^(٣) . وقد كان الشعر فسحته إذا ناب خطب ، وعوده إذا اشتد زمان ، بنفسه به كربه ، وبفرج باوئشاده همه^(٤) ؛ فقد قال - وهو بعاني ما بنوه بأمثاله من الغبن - :

لما عظمت فليس مصر واسمي لما غلا ثمني عدمت المشتري

وقال - وهو في السجن - :

دخولي في اليقين كما تراه وكل الشك في أمر الخروج

وقد كان - علي فضله - ماجناً (كما مر) ؛ قال تلميذه الجوزجاني : إنه كان يجمع تلاميذه في داره كل ليلة ، فكانوا إذا فرغوا ، حضر المغنون والشراب^(٥) . لقد بلغ هذا الطبيب الأديب - علي كل حال - مرتبة أكبر أئمة اللغة المحققين ، وقصته مع أبي منصور الجبان ، شاهد عدل ؛ استطاع أن يكتب ما يصح

(١) اعتذر ابن سينا عن نفسه بأنه كان يشربها تداوياً . (لجنة المحلة)

(٢) سرگذشت (طبعة طهران ١٣٣١ ش) ص ١ .

(٣) الموجع المذكور ص ٤ - ٥ .

(٤) المرجع نفسه ص ١٨ .

(٥) سرگذشت ص ٧ - ٨ .

انتسابه إلى الصائبي ، والصاحب ، وابن العميد ، ونظم أشعاراً في الغرب ، وألف معجماً سماه (لسان العرب) (١) ، وصنف رسالة في أسباب حدوث الحروف ومخارجها ، وعمل القصيدة المزدوجة في المنطق (٢) ، ومعتصم الشعراء في العروض (٣) ، وله خطب وتحميدات وأنشاج كثيرة (٤) ، وتم علي وفور فضله ، ونظم القصائد والأشعار في الزهد ، يصف فيها أحواله (٥) ، كما نضاف إليه أراجيز في الحكمة والمنطق والطب (٦) ، وله - كذلك - رسائل بارعة بالعربية والفارسية ، ومخاطبات ، ومكاتبات ، ومراسلات ، وهزليات ، ويمدّون في رسائله (كتاب الملح في النحو) (٧) .

وقد استشهد الرضي الاستربادي - المتوفى سنة ٦٨٦ - بشيء من شعره في باب الحروف العاطفة من كتاب (شرح الكافية) (٨) ؛ وهو قوله :

سيان عندي إن برتوا وإن فجروا إذ لبس يجري على أمثالهم قلم (٩)

وهذه منزلة رفيعة ، لم يرزقها إلا الأقدمون من فحول الشعراء ، قبل طبقة بشار بن برد .

(١) فهرست نسخة هـ من مصنفات ابن سينا ص ٢٠١ .

(٢) سرّ نذشت ص ١٦ .

(٣) المرجع المذكور ص ١٧ .

(٤) المرجع نفسه ص ١٨ .

(٥) المرجع نفسه ص ١٨ .

(٦) تراجع فهرست نسخة هـ من مصنفات ابن سينا ، تأليف يحيى مهدوي (طبعة طهران ١٣٣٣ ش) ص ٢٥ - ٨ ، ومؤلفات ابن سينا ص ١٧١ - ١٨٠ ، و ص ٢٢٥ .

(٧) سرّ نذشت ص ١٨ .

ومما يؤكّد اهتمامه بالأدب والشعر ، مقاله ابن ماكولا : انه رأى ديوان

شعر الإمام أبي بكر الزاهد ، وأكثره بخط ابن سينا (تراجع الجواهر المضية

في طبقات الخنفيه طبعة هيدر آباد الدكن ١٣٣٢ ، ج ١ ص ١٩٥) .

(٨) شرح الكافية (طبعة استانبول ١٣١٠) ج ٢ ص ٣٧٦ ، وتراجع خزانة

الأدب للشيخ عبد القادر البغدادي (مصر ١٢٩٩) ج ٤ ص ٤٦٤ .

(٩) البيت من كلمته المطولة التي أوّلتها :

ياربع نكرك الأحداث والقدم فصار عينك كالآثار تهم

تراجع خزانة الأدب ج ٤ ص ٤٦٥ - ٦ .

هذه نبذة صغيرة من مقام الرجل في العربية والأدب ، وهو الذي قال في
كلمته التي منها الشاهد المذكور آنفاً :
أما البلاغة فاسألني الخبير بها أنا اللسان قديماً والزمان فم^(١)
أما الشعر فإنه ذو اللسانين ، وله شعر جيد في العربية والفارسية^(٢) . ويوجد
في أبيصوفية ديوان صغير جداً^(٣) عدته ١٠ صفحات ، قوامه ١٨٨ بيتاً .
هذا وقد نسبت إلى ابن سينا أراجيز مختلفة ، وشعر كثير ، منه الرائية
الطويلة التي أولها :

يربك أيها الفلك المدار أقصد ذا المسير أم اضطرار
وهي ٥٠ بيتاً ، وقائلها ؛ هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن يوسف بن أحمد
ابن شبل ، البغدادي ، المتوفى سنة ٤٧٤ هـ^(٤) . والأرجوزة التي ذكرها الدميري
المتوفى سنة ٨٠٨ في كتاب (حياة الحيوان) ؛ وقال : قيل إنها لابن شيخ حطين^(٥) .
أما عينيته التي عني بها الناس قديماً وحديثاً ، فلعل أقدم أصولها الموجودة ،
يرجع إلى حدود سنة ٥٨٠ هـ^(٦) ، وهي عشرون بيتاً . وقد قال ابن أبي الوفاء ،
المتوفى سنة ٧٧٥ هـ : إنها ١٦ بيتاً^(٧) .

- (١) ديوان ابن سينا (وستأتي صفته) الورقة ٤٣ أ .
- (٢) خزانة الأدب ج ٤ ص ٤٦٧ .
- (٣) المجموعة المرقومة ٤٨٤٩ [الرسالة الثامنة] الورقة ٤١ أ - ٤٥ أ نسخة (ابصوفيه
كتبخانه سي) وقد تفضل صديقنا المحقق الجليل الأستاذ مجتبي المينوي فأذن لي
وصورتها على المايكروفلم الموجود عنده في خزائنه بطهران ، وقد تخن هو
تاريخ كتابتها سنة (٥٨٠ - ٦٠٠ هـ [ظ ؟]) . ويراجع كتاب مؤلفات ابن سينا
للأب جورج شحاته فنواحي (مصر ١٩٥٠) ص ١٢١ - ٢ .
- (٤) ارشاد الأريب لياقوت الحموي (طبعة مرغليوث ١٩٢٧ ، ج ٤ ص ٣٨ - ٤١)
ونسبها إل الشيخ ابن سينا من المتأخرين الشيخ محمد علي بن علي بن محمد عز الدين
الشامي الماملي الحناوي الصوري المتوفى سنة ١٣٠٣ هـ في الجزء الأول من كتاب
(سوق المادن والحلل وكل مايسر الأئمة ويقرّ المفل) نسخة الشيخ عبد الله
السيبي في الكاظمية . ويراجع - أيضاً - كتاب مؤلفات ابن سينا ص ٣٢١ .
- (٥) حياة الحيوان الكبرى للكامل الدميري (مصر ١٣١١) ج ٢ ص ٣٢٨ .
- (٦) المجموعة المرقومة ٤٨٤٩ في ابصوفية / الرسالة الثامنة - الورقة ٤٤ ب - ٤٥ أ .
- (٧) الجواهر المضية ج ١ ص ١١٥ .

وقد رواها : يحيى الدين بن عسري^(١) ، وابن أبي أصيبعة^(٢) ، وابن خلكان^(٣) ،
واليافعي^(٤) ، وابن كثير^(٥) ، والدميري^(٦) ، والبيهاء العاملي^(٧) ، وعبد الرؤوف
المناري^(٨) ، وابن العماد^(٩) ، والسيد نعمه الله الجزائري^(١٠) ، والسيد عباس
الموضوي المكي^(١١) ، والحاج ملا هادي السبزواري الحكيم^(١٢) وفئة كثيرة
من المتأخرين^(١٣) .

وقد شرحها طائفة من الأفاضل^(١٤) ، وقلدها كثير من الشعراء ، وردت عليها

- (١) محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار (مصر ١٣٠٥) ج ١ ص ١١٩ .
- (٢) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء (مصر ١٢٩٩) ج ٢ ص ١٠ - ١١ .
- (٣) وفيات الأعيان (مصر ١٢٦٧) ج ١ ص ٤٢٢ - ٣ .
- (٤) صرآة الجنان وعبرة اليقظان (حيدر آباد الدكن ١٣٣٨) ج ٣ ص ٥٠ .
- (٥) البداية والنهاية (مصر ١٣٥٨) ج ١٢ ص ٤٢ - ٣ .
- (٦) حياة الحيوان الكبرى ج ٢ ص ٣٢٨ .
- (٧) الكشكول (مصر ١٢٨٨) ص ٢٤٥ - ٦ ، و (طهران ١٢٩٦) ص ٢٦٣ .
- (٨) شرح قصيدة النفس (مصر ١٣١٨) ص ٢٧ - ١٤٤ .
- (٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (مصر ١٣٥٠) ج ٣ ص ٢٣٦ - ٧ .
- (١٠) مقامات النجاة (نسخة حكمت آل اقا . في طهران ، المخطوطة سنة ١٢٢٨)
الورقة ١٤٤ ب .
- (١١) نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس (مصر ١٢٩٣) ج ٢ ص ٢٢٠ .
- (١٢) أسرار الحكم (طهران ١٢٨٦) ص ٢٩٠ - ٣٠١ .
- (١٣) دانشنامه ناصري (طهران ١٢٩٦) ص ٧٩ ، وتسع رسائل في الحكمة والطبيعية
(قسطنطينية ١٢٩٨) ص ١٢٩ - ٣٠ ، وكتاب بلوهر وبوذاسف (ببي ١٣٠٦)
ص ٢٨٧ - ٨ ، ومنتق المشرنيين (مصر ١٣٢٨) المقدمة صفحة كب - كج ،
ومطرح الأنظار في تراجم أطباء الأعصار لمبد الحسين الطيب التبريزي (تبريز
١٣٣٤) ج ١ ص ١٤٤ - ٥ ، وجشن نامه لادكتور ذبيح الله صفا (طهران
١٣٧١) ج ١ ص ١١٦ - ٧ : وشرح هبنية ابن سينا بتحقيق الدكتور حسين علي
محفوظ (طهران ١٩٥٤) ص ٣ - ١٢ .
- (١٤) تراجم فهرست لسخه هاي مصنفات ابن سينا ص ١٩٥ - ٧ ، وكشف الظنون
(طبعة تركية ١٩٤٣) ج ٢ ص ١٣٤١ - ٢ ، ومؤلفات ابن سينا ص ١٥٢ - ٥ .

بعض أشياخ الحكمة ، وأجازها شردمة من فحول الأدب والشعر ، وأكاد أميل
الى القول ان خير من ردّ عليها ، الأديب العراقي ، الشيخ عبد علي الحويزي
المشعشي ، البصري ^(١) ، في قصيدته المشهورة ، التي أوّلها :

لا ابتداء إلا له إنتهاء جلّ من كلّ شأنه ابتداء ^(٢)

وقد كنت عنيت أنا بإخراج الميضية وتحقيقتها في مهرجان ابن سيناء الألفي بطهران
سنة ١٣٧٣ هـ ، كما وازنت بين أشعار الشيخ العربية والفارسية ، والظن كل
الظن أن أشعاره الفارسية - وإن كانت قليلة - خير من شعره العربي ، وفور
معان ، وجودة إنشاء ، وفصاحة بيان .

الدكتور حسين علي محفوظ



- (١) هو الشيخ عبد علي بن ناصر بن رحمة الحويزي ، من أفاضل تلاميذ بهاء الدين
العاملي . كان فاضلاً بارعاً ، شاعراً فائقاً ، من أشياخ الأدب في عصره ، ويمدّد
من الطراز الأول في صناعة الكتابة ، قرّبه ولاة البصرة ، وأحسنوا إليه ،
فلازمهم حتى مات بها في أواخر القرن الحادي عشر ، وخلف آثاراً جليّة كثيرة .
له ترجمة في سلافة المصر للسيد علي خان المدني (مصر ١٣٣٤) ص ٥٤٦ -
٥٤) وريحانة الأدب لمحمد علي التبريزي الحياياني المدرس (طهران ١٣٦٦ - ٧١)
ج ١ ص ٣٥٧ - ٨ ، وروضات الجنات للسيد محمد باقر الخوانساري (ايران
١٣٦٧) ص ٣٥٤ - ٥ ، وأمل الأمل لمحمد بن الحسن الحر العاملي (ايران
١٣٠٧) ص ٤٨١ - ق ٢ ، وخلاصة الأثر للحمي (مصر ١٢٨٤) ج ٢
ص ٤٢٧ - ٣٢ ، وفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي (طهران ١٣٣٩ ش)
ج ١ ص ٢٣٧ - ٨ ، والتأسيس للسيد حسن الصدر (بغداد ١٣٧٠) ص ١٨٢ .
(٢) أئبها الشاعر نفسه في باب (حلي الأفاضل) من كتابه كلام الملوك ملوك الكلام
ص ١٤٧ - ٨ نسخة دار الكتب الوطنية (كتابخانه ملي) بطهران ، المرقومة
٩٠٧ / مخطوطات . المكتوبة سنة ١٢٨٤ هـ .

(الفواهيق)

في البيت السادس من عينية عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، القائل :
 فَمَعَالِفَهَا عَارِي الْفَوَاهِيَقِ سَنَسِيبُ أَخُو قَفْرَةٍ أَضْحَى وَأَمْسَى مُجَوِّعًا
 جاء التعليق على كلمة « الفواهيق » في الحاشية كما يلي : « كأنه أراد بالفواهيق
 جمع فهقة ، وهي عظم عند مركب العنق ، ولكن جمعها فهاق ، ولذلك رأى محقق
 الطبعة المصرية أنها مصحفة عن « النواهيق » وقال : « النواهيق : العظام الشاخصة بجوار
 العين . » ولكن يرد على ذلك أن النواهيق لذوات الحافر وليست للسباع المفترسة .
 وأرى أنها « الفواهيق » لا تصحيف فيها ولا لبس . وهي جمع « فاهقة »
 وقد جرت على القياس المعروف في جمع « فاعلة » . والفاهقة هي الفهقة ذاتها .
 يعزز ذلك أن كثيراً من أنحاء الشوف بلبنان ولا سيما بلدتنا ، تجري فيها هذه
 الكلمة « الفاهقة » على السنة الكبار والصغار ، حقيقةً ومجازاً . ولست أذكر أنني
 سمعتها من أحد إلا بهذا اللفظ . . يقول من يأتي الماء في يوم حرّ : « لفتت
 الماء على وجهي وفاهقتي » . ويقول المغيظ المنق : « امتلأت إلى فاهقتي » .
 إن المتكلمين باللغة العامية يغلب أن ينقلوا الألفاظ عنهم نقلاً أميناً ،
 جيلاً بعد جيل . وفيما نعلم أن عائلتنا جاءت لبنان من نواحي الأردن من نحو
 أربعائة سنة . وان أجدادنا من « هوازن » نزلوا في بعض أنحاء الأردن منذ
 الفتح العربي ، في مكان غير بعيد عن « الفلجّة » موطن الشاعر الحارثي .
 وعندني أن تلك الجماعات المتجاورة قديماً استعملت « الفاهقة » وتناقلتها بهذا اللفظ ،
 بدليل ورودها في قصيدة عبد الملك ، وبقاتها محفوظةً متناقلةً عندنا إلى هذه
 الأيام . وأرى أنه لا يقدح في هذا كون الكلمة لم ترد في المعاجم بهذا المعنى .
 وورد في البيت الثالث ص ٥٦٦ : « فما شَقَّ ضوءُ الفجرِ حتى تصدّعتُ » .
 وهنا استعمل فعل « شَقَّ » على نحو ما تحكيه جماعتنا باللغة العامية ، إذ تقول :
 « شَقَّ الضوءُ ، وشَقَّ الفجرُ ، وقت شَقَّةِ الفجرِ ، الخ » . لعل في هذا سنداً لذلك ،
 والله أعلم .

عارف أبو شقرا

www.alukah.net

فهرس الجزء الأول من المجلد الثالث والثلاثين

	صفحة
جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام	٣
مصطلحات الاجتماعيات البنائية	٢١
ضوء جديد على دانتى والإسلام	٣٦
المقل والنقل عند الإمام ابن تيمية (٢)	٥٦
ما سمعت وما رأيت في بلاد السوفيت (٤)	٨٠
كتاب النفس لابن باجة الأندلسي (١)	٩٦

التعريف والتقد

المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي	١١٢
خريدة القصر وخريدة العصر (١)	١٢٤
مقدمة ابن خلدون (٢)	١٣٥
ثلاثة أزهار في معرفة البحار	١٣٩
رسالة الغفران لأبي العلاء المعري (٢)	١٤٦
مجموعة خطب الرئيس شكري القوتلي	١٥٥

آراء وأنباء

انتخاب رئيس المجمع العلمي العربي	١٥٦
أعضاء المجمع العلمي العربي الماملون لعام ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ م	١٥٧
أعضاء المجمع العلمي العربي المرسلون	١٥٧
أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون	١٥٩
وفاة الأستاذ ا. ايفيكين برتلز	١٦٢
وفاة الأستاذ عادل زعير	١٦٥
مؤتمر الأدباء العرب	١٦٧
ابن سينا الشاعر	١٦٩
الفواهي	١٧٥